سيرة الحسين ×

في السيرة والتاريخ..

سيرة الحسين ×

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء السادس

المركز الإسلامي للدراسات

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث:

نِعْمَ الجمل جملكما..

نِعْمَ الجمل جملكما:

يرجى ملاحظة النصوص التالية:

١ ـ عن عبد العزيز، بإسناده عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه كان جالساً، فأقبل الحسن والحسين، فلما رآهما النبي قام لهما، واستبطأ بلوغها إليه، فاستقبلهما وحملهما على كتفيه، وقال: نِعْمَ المطي مطيكما، ونِعْمَ الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما(١).

٢ ـ وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» حمل الحسن والحسين على ظهره: الحسن على أضلاعه اليمنى، والحسين على أضلاعه اليسرى، ثم مشى وقال: نِعْمَ المطي مطيكما، ونِعْمَ الراكبان

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ و ٢٨٦ عن الخركوشي في شرف النبي. وعن توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل ص٧٠١ و ٧٠٣ و (نسخة مكتبة ملّي بفارس) ص٣٥٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٢١ وج٢٢ ص٥٤٩ وج٢٦ ص١٢٠ وذخائر العقبى ص١٣٠ وراجع: شرح الأخبار ج٢ ص٣٧٤ والطرائف لابن طاووس ص٩٢.

أنتما، وأبوكما خير منكما(١).

٣ ـ ابن بطة في الإبانة من أربعة طرق، عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر قال: دخلت على النبي «صلى الله عليه وآله» والحسن والحسين «عليهما السلام» على ظهره، وهو يجثو لهما ويقول: نِعْمَ الجمل جملكما، ونِعْمَ العدلان أنتما(٢).

وفي نص آخر عنه: دخلت على النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو يمشي على أربع الخ..(٣).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣٨٧ و ٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٦ عن تفسير الفسوي، وراجع: شواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٤٥٥ والمحاضرات والمحاورات ص٤٣٨ وعن وسيلة المآل ص٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٧ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣٨٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ ولواعج الأشجان ص١١.

(٣) راجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١٨٢ والمعجم الكبير ج٣ ص٥٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٦٤ والكامل لابن عدي ج٥ ص٢٥٩ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٣٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢١٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٦ ولسان الميزان ج٦ ص٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٩٨ والوافي بالوفيات ج١٢ ص٦٧ والمحاضرات والمحاورات ص٣٥٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٩٣ و ٩٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ض٧١٤ وج١٩ ص٢٠٤ و ٢٠٥

٤ ـ ابن نجيح: كان الحسن والحسين يركبان ظهر النبي ويقولان: حَلْ حَلْ، ويقول: نِعْمَ الجمل جملكما[١].

٥ ـ السمعاني في الفضائل، عن أسلم مولى عمر، عن عمر بن الخطاب قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي رسول الله، فقلت: نِعْمَ الفرس لكما (تحتكما).

فقال رسول الله: ونِعْمَ الفارسان هما[٢].

وج٢٦ ص١٣٢ و ١٣٣ وج٣٣ ص٤٢٠ و ٤٢١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٢٤٧ و ٢٧٠.

(١) مناقب آل أبي طالب ٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٨١ ونظم درر السمطين ص٢١١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٥٨ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٦٢ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص١٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧١٩ وج١٩ ص٢٠٠ و ٢٨٤ وج٢٦ ص١٣٥ و ٢٨١ و ٢٨٢ عن منتخب كنز العمال (المطبوع بهامش المسند ـ ط الميمنية بمصر) ج٥ ص١٠٧ وعن المتفق والمفترق للبغدادي (مخطوط) و (النسخة مصورة من مخطوطة مكتبة استانبول) ج١٠ ص٢٦ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج٧ ص١٢٢ وعن جامع الأحاديث (ط دمشق) ج٢ ص٣٨ .

٦ ـ ابن حماد، عن أبيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» برك للحسن والحسين، فحملهما، وخالف بين أيديهما وأرجلهما، وقال: نِعْمَ الجمل جملكما(١).

بيان: لعل المعنى: أنهما استقبلا أو استدبرا عند الركوب، فحاذى يمين كل منهما شمال الآخر، أو أنه جعل أيدي كل منهما أو أرجلهما من جانب كما سيأتي في رواية أبي يوسف(٢).

ونقول:

علينا ملاحظة الأمور التالية:

النبي ﷺ هو المبادر:

إن صريح أو ظاهر الرواية الأولى، والثانية، والسادسة: أنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي حمل الحسنين «عليهما السلام».

وظاهر، بل صريح الرواية الثالثة: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يستدرجهما «عليهما السلام» للركوب على ظهره.

والرواية الخامسة لا تذكر شيئاً عن ذلك، سوى أن هناك من رآهما يركبان على ظهره «صلى الله عليه وآله».

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٧١ و ١٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٢.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥.

وذلك يعطي: أنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي كان يبادر ويتصرف ويختار ويطلب منهما فعل ذلك، وكان يأخذهما ويجعلهما على عاتقه من دون إعطائهما الخيار في ذلك.

وهذا يعطي: أنه بالنسبة إليهما لا غضاضة عليهما فيما يفعلانه، بل كان عليهما طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والاستجابة لما يريد..

وبالنسبة إليه «صلى الله عليه وآله» نقول:

لا يلام الرجل على حمل ولده، وجعله على عاتقه، واستدراجه إلى ذلك، للتعبير عن محبته له، ورضاه به، وأنه جامع للصفات التي توجب له هذه المحبة منه..

قيام النبي ﷺ للحسين:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة برقم [١]: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما رأى الحسنين، قام لهما، واستبطأ بلوغهما إليه الخ..

ونقول:

إن تفسير قيام النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام» بأنه كان بسبب استبطاء بلوغهما إليه «صلى الله عليه وآله».. إنما هو من الراوي بحسب ما فهمه هو!!

ولكن الأمر لا ينحصر بما قال، إذ لماذا لا يكون المقصود هو إظهار الاهتمام بهما، والتكريم لهما، والتمهيد لإطلاق هذا الوسام

عليهما، بالشهادة لهما بنفس ما شهد به لنفسه «صلى الله عليه وآله». فكما أنه هو «صلى الله عليه وآله» نِعْمَ الجمل، فإنهما هما أيضاً نِعْمَ الراكبان، فهما مرضيان، كما أن الرسول نفسه مرضي، وإذا كانا مرضيين عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فهما موضع استحسان ورضى عند الله سبحانه؟!

ثم أشار «صلى الله عليه وآله» إلى أن الاشتراك في الحسن وفي الرضا عنده «صلى الله عليه وآله» وعند الله تعالى لا يعني المساواة في الفضل معه، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: وأنا خير منكما. بل نسب الخيرية لأبيهما، ليفهم من ذلك: أفضليته «صلى الله عليه وآله» عليهما بطريق أولى.. لأنه «صلى الله عليه وآله» ـ بنص آية المباهلة ـ نفس علي «عليه السلام»، ويزيد عليه بدرجة النبوة الخاتمة.

فإذا كان علي «عليه السلام» خيراً منهما، فالمساوي لعلي «عليه السلام» ـ وهو رسول الله ـ يكون خيراً منهما أيضاً، فما بالك إذا كان يزيد على علي «عليه السلام» بدرجة النبوة؟!

لا بأس بحمل الفاضل للمفضول:

هذا ولا بأس بالإشارة إلى أن هذا التصرف النبوي تجاه الحسنين، لم يكن مجرد استجابة لدواعي العاطفة الأبوية، والحنان للرحم.. بل هو واجب يقوم به «صلى الله عليه وآله» لتهيئة الجو لإطلاق كلمته في حقهما، والتي لا يرتاب أحد بأن الله تعالى هو الذي

يريد منه أن يقولها، بعد أن يمهد لها بهذه الأجواء بالذات.

وقد حدثتنا الروايات: أن حمل النبي «صلى الله عليه وآله» لغيره على كتفيه لا ينحصر بالحسين «عليه السلام»، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد حمل أباهما علياً «عليه السلام» أيضاً على كتفيه، وقام به، لكي يوصله إلى الأصنام التي على ظهر الكعبة، لكي يقتلعها من على ظهرها، ويرمي بها بعيداً، وتتحطم!

ولم يمانع علي «عليه السلام» في هذا الصعود، ولا تردد النبي «صلى الله عليه وآله» في طلبه هو من علي «عليه السلام» أن يفعل ذلك.. لأن رضاهما هو رضا الله سبحانه، وأنسهما، وعزهما، وكرامتهما هي في تنفيذ أوامره، وتحقيق أهدافه جل وعلا.

الحسنان على ظهر النبي ﷺ في الصلاة:

١ ـ روى زر بن حبيش، عن ابن مسعود قال: كان النبي «صلى الله عليه وآله» يصلي، فجاءه الحسن والحسين «عليهما السلام» فارتدفاه، فلما رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً، فلما عاد عادا، فلما انصرف أجلس هذا على فخذه وهذا على فخذه، وقال: «من أحبني فليحب هذين»(١).

٢ ـ عن عبد الله قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله»

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٢ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٥٤.

يصلي، حتى إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما قال: دعوهما. فلما أن صلى وضعهما في حجره وقال: «من أحبني فليحب هذين»(١).

٣ ـ عن أنس بن مالك قال: كتب النبي «صلى الله عليه وآله» لرجل عهداً، فدخل الرجل يسلم على النبي «صلى الله عليه وآله» والنبي «صلى الله عليه وآله» يصلي، فرأى الحسن والحسين يركبان على عنقه مرة، ويركبان على ظهره مرة، ويمران بين يديه ومن خلفه، فلما فرغ «صلى الله عليه وآله» من الصلاة قال له الرجل: ما يقطعان الصلاة؟!

فغضب النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: ناولني عهدك، فأخذه فمزقه، ثم قال: «من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا، فليس منا

---

(١) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٨ و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣٢ وفي هامشه عن مصادر كثيرة، وفضائل الصحابة للنسائي ص٢٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٧٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٥٠ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٤٣٤ وج٩ ص٢٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٠٠ والإصابة ج٢ ص٦٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٦٠ وينابيع المودة ج٢ ص٤٠ و ٤١ و ٢٠٧ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٩٠ وج١٩ ص٢٣١ وج٢٦ ص٣٧ و ٣٩ و ١٤٢ و ٤١٠ وج٢٧ ص٦٥ عن مصادر كثيرة.

ولا أنا منه»(١).

٤ ـ وروى الحافظ أبو بكر محمد اللفتواني، عن أبي هريرة: أن الحسن بن علي «عليهما السلام» قال: السلام عليكم.

فرد أبو هريرة، فقال: بأبي، رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي، فسجد، فجاء الحسن «عليه السلام»، فركب ظهره وهو ساجد، ثم جاء الحسين «عليه السلام» فركب ظهره مع أخيه وهو ساجد، فثقلا على ظهره، فجئت فأخذتهما عن ظهره ـ وذكر كلاماً سقط على أبي يعلى ـ ومسح على رؤوسهما وقال: من أحبني فليحبهما ثلاثاً(٢).

وفي نص آخر يقول أبو هريرة: فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره، وقال: من أحبني فليحب هذين(٣).

---

(١) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٦ و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣٢ وفي هامشه عن مصادر كثيرة، وينابيع المودة ج٢ ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٣٩ وج٢٦ ص١٤٠ عن توضيح الدلائل لشهاب الدين الشيرازي (نسخة مصورة من مخطوطة مكتبة الملي بفارس) ص٣٥٥.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص١٥٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٤ عنه.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٥ و ١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٨٧ عن ينابيع المودة (ط

أو قال: «ذروهما، بأبي وأمي. من أحبني الخ..»(١).

٥ ـ عن عبد الله قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي والحسن والحسين يتواثبان على ظهره، فباعدهما الناس، فقال «صلى الله عليه وآله»: «دعوهما بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هذين»(٢).

٦ ـ عن أبي ذر «رضي الله عنه»، أنه قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً يصلي بالناس، وأقبل الحسن والحسين

اسلامبول) ص١٦٧، وعن مسند أبي يعلى، عن ابن أبي شيبة، عن فضائل الصحابة للسمعاني.

(١) ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٢٣ و (ط أخرى) ج٢ ص٤٧ وفي هامشه عن فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١ ص٢٠ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٢٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٨٨ عن حلية الأولياء (ط السعادة بمصر) ج٨ ص٣٠٥.

(٢) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٥ و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣٢ عن أحمد، وفي الهامش عن مصادر كثيرة، وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٢٧ وموارد الظمآن ج٧ ص١٨٨ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٨٨ وج١٩ ص٢٨٧ وج٢٦ ص٣٦ وعن زر بن حبيش راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٢٦٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٠٢ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٦٢.

«عليهما السلام» ـ وهما غلامان ـ يثبان على ظهره إذا سجد، وأقبل الناس ينحونهما عنه، فلما انصرف قال: دعوهما بأبي وأمي هما، من أحبني فليحبب هذين(١).

٧ ـ وعن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع النبي «صلى الله عليه وآله» العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً، فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته، فأقعدهما على فخذيه.

قال: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله أردهما؟!

فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما.

قال فمكث ضوؤها حتى دخلا(٢).

٨ ـ عن الليث بن سعد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي يوماً في فئة، والحسين صغير بالقرب منه، فكان النبي «صلى الله عليه وآله» إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره، ثم حرك رجليه وقال: حل، حل.

فإذا أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرفع رأسه أخذه

---

(١) شرح الأخبار ج٣ ص٧٦ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١١.

(٢) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٥ وفي هامشه عن مصادر كثيرة، و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٣١ و ١٣٢ عن أحمد، وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٢٠٣ عن مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح للقاري (ط ملتان) ج١١ ص٣٧٩.

فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حل، حل.

فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي «صلى الله عليه وآله» من صلاته.

فقال يهودي: يا محمد، إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله، لرحمتم الصبيان.

قال: فإني أؤمن بالله وبرسوله، فأسلم لما رأى كرمه مع عظم قدره(١).

قال المجلسي «رحمه الله»: قال الجوهري: حلحلت القوم: أي أزعجتهم عن موضعهم، وحلحلت بالناقة إذا قلت لها: حل، بالتسكين، وهو زجر للناقة، وحوب زجر للبعير، وحل أيضاً بالتنوين في الوصل(٢).

ونقول:

معالجات سريعة:

لكي نعرف بعض ما أشار إليه هذا النص نذكِّر بالأمور التالية:

---

(١) شرح الأخبار ج٣ ص٨٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٢٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٦ و ٢٩٧ عنه، والعوالم، الإمام الحسين ص٣٩ و ٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٧.

١ ـ إن ارتداف الحسنين «عليهما السلام» ظهر النبي «صلى الله عليه وآله» في حال الصلاة يدل على أن هذه التصرفات للطفل الصغير مع المصلي لا تبطل صلاته.

٢ ـ أما ما ذكر في هذه الروايات، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «ذروهما، بأبي وأمي..»، فقد تقدم: أن الظاهر أنه يريد بهذه الكلمة بيان: أن إعزازه لهما، وتعلقه بهما، و.. و.. يوازي ما يكون فيه تجاه أبيه وأمه..

٣ ـ ليس في الروايات المذكورة: أن ارتدافهما لظهره «صلى الله عليه وآله» كان يطول بحيث يخرج الصلاة عن صورتها، بل صرحت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرفع رأسه حين يريد من دون أن يزعج الحسنين «عليهما السلام»، وينزلهما برفق.

٤ ـ لم يظهر من الرواية: أن تحريك الحسنين رجليهما، وقولهما: «حل، حل» مما يوجب تحريك جسد النبي «صلى الله عليه وآله» بحيث يختل استقراره «صلى الله عليه وآله» في سجوده.

وربما كان ذلك يحصل بعد انتهاء الذكر الواجب، وشروعه في مطلق الذكر الذي لا يحتاج إلى الاستقرار والطمأنينة.

وحتى لو حصل أثناء الذكر الواجب، فلعله «صلى الله عليه وآله» كان يسكت عن الذكر حين تختل الطمأنينة، ثم يستأنف الذكر حين تعود الطمأنينة.

٥ ـ قد يقال: إن ما يقوله أبو هريرة، من أنه هو الذي أنزل

الحسنين «عليهما السلام» عن ظهره «صلى الله عليه وآله» يدل على أن أبا هريرة لم يكن يصلي مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين حصل ذلك، لأنه «صلى الله عليه وآله» كان منشغلاً بالنافلة بين الصلاتين مثلاً. ولو كان النبي «صلى الله عليه وآله» يصلي صلاة مكتوبة، فمن البعيد أن يتخلف من حضرها عن الإيتمام برسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أن أبا هريرة قد تخلف عن الإيتمام لعذر له.

لكن رواية الليث بن سعد تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يصلي في فئة. أي في جماعة.. وهذا يشير إلى أنه كان يصلي الصلاة المكتوبة. وهذا يؤيد تعدد هذه القضية أيضاً..

٦ ـ إن إنزال النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام» عن ظهره برفق عدة مرات ليس من الفعل الكثير الماحي لصورة الصلاة.

٧ ـ يلاحظ: أن الروايات قد اختلفت مضامينها بشكل لافت، ولا مانع من تكرر هذه الواقعة أكثر من مرة، فالصلاة في مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» أمام أعين الحسنين «عليهما السلام» كانت تقام باستمرار، ولا أقل من تأدية النبي «صلى الله عليه وآله» الصلاة اليومية فيه خمس مرات، في كل يوم، مع ملاحظة: أن صغر سن الحسنين «عليهما السلام» قد استمر لعدة سنوات.

٨ ـ اختلاف الروايات، فعلى سبيل المثال تذكر بعضها أنهما كانا

يرتدفانه، فكان يأخذهما أخذاً رفيقاً حين يرفع رأسه، فإن عاد عادا إلى أن ينتهي من صلاته.

وفي نص أبي هريرة: أنه هو الذي أنزلهما عن ظهر النبي «صلى الله عليه وآله».

ورواية أخرى عن أبي هريرة أيضاً: أنه إذا أراد الناس أن يمنعوهما كان «صلى الله عليه وآله» يشير للناس أن دعوهما.

ورواية أخرى: ذكرت تمزيق النبي عهد الذي اعترض على ما رآه من فعلهما.

وفي رابعة: أن يهودياً كان حاضراً، وأنه أسلم بسبب هذه الحادثة.

فكل ذلك يدل على تعدد هذه الواقعة كما أشرنا إليه.. ثم إن بعض الروايات تذكر الحسنين «عليهما السلام، وبعضها تخص الأمر بالحسين «عليه السلام».

بقيت هنا بعض الأمور المرتبطة بهذه القضية، نذكرها ضمن العناوين التالية:

حل، حل:

ذكرت رواية الليث بن سعد: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا يحركان رجليهما، وهما على ظهر النبي «صلى الله عليه وآله»، ويقولان: حل، حل. وهو زجر للناقة لكي تسرع في السير، ونحن لا

نرى هذا الكلام صحيحاً، لسببين:

أولهما: أننا لو أردنا أن ننظر إلى الحسين «عليه السلام» نظرة الناس العاديين الذين يرونه بعمر الأطفال، ويعاملونه على هذا الأساس، فالمفروض هو أن تكون هذه القضية قد حصلت بعد ولادة الحسين «عليه السلام» بعدة سنوات، يكون فيها بنظر الناس العاديين قد كبر، أو صار قادراً على الصعود على ظهر جده النبي «صلى الله عليه وآله»، وصار يتكلم، ويميز بين الأمور. وإن كنا نعتقد أنه كان إماماً عالماً، معصوماً منذ ولد. ولا يصح احتمال أي نقص أو عجز في حقه.

ونحن نعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشهده على كتاب لثقيف(١)، وقبل منه البيعة في بيعة الرضوان التي كانت قبل الفتح، فقد بايع الحسنين «عليهما السلام»، ولم يبايع صغيراً (صبياً) غيرهما(٢).

---

(١) الأموال لأبي عبيد ص٢٨٩ و ٢٩٠ وراجع: التراتيب الإدارية ج١ ص٢٧٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨٤ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٧٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٤٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٨ وج٥٠ ص٧٨ والدرجات الرفيعة ص٢٤١ و ١٦٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٨٧ والاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٤٥ ومدينة المعاجز ج٧ ص٣٥٥ والدر النظيم ص٧٠٨ وكشف الغمة ج٣ ص١٥٠

وأخرجهما في قضية المباهلة[1].

والمحجة البيضاء ج٤ ص٣٠٠ وعن العقد الفريد ج٢ ص٢٤٣ وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص٤٠ والمعجم الكبير ج٣ ص١١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٨٠ والبداية والنهاية ج٨ ص٢٢٦ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢١٥ وينابيع المودة ص٣٧٥ عن فصل الخطاب لمحمد پارسا البخاري، عن النووي على ما يبدو وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص١٥٠ وفي هامشه عن المعجم الكبير للطبراني، ترجمة الإمام الحسين الحديث رقم ٧٧ وحياة الصحابة ج١ ص٢٥٠ ومجمع الزوائد ج٦ ص٤٠ عن الطبراني، وقال: هو مرسل ورجاله ثقات، والعقد الفريد ج٤ ص٣٨٤ من دون ذكر ابن عباس.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي، وابن الشيخ، والترمذي، والنسائي، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، ومسلم، وابن المنذر، والحاكم. وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٨٧ ـ ١٩٠. وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٦٤ و ٢٦٦ وج٣٧ ص٢٦٥ و٢٧٠ والدر المنثور ج٢ ص٣٩ وتفسير الآلوسي ج٣ ص١٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٤٢ والعمدة لابن البطريق ص١٣٢ و١٨٨ والطرائف لابن طاووس ص٤٥ وص١٢٩ والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ص٦٦٠ وتفسير العياشي ج١ ص١٧٦ و ١٧٧ وتفسير القمي ج١ ص١٠٤ والصراط المستقيم للعاملي ج١ ص١٨٦ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٦ و ١٨ و ١٩ وتفسير الثعلبي ج٨ ص٤١ وتفسير السمعاني ج١ ص٣٢٧

بل هو قد جعل لهما منصباً منذ صغرهما بقوله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»(١).. فإنه ظاهر في جعل مقام الإمامة

وأحكام القرآن وبن العربي ج١ ص٣٦٠ ومجمع البيان ج٢ ص٤٥٢ و (ط الأعلمي سنة ١٤١٥هـ) ص٣١٠ والتبيان ج٢ ص٤٨٤ و ٤٨٥ ونهج الحق (مطبوع مع دلائل الصدق) ج٢ ص٨٣ وتفسير الرازي ج٨ ص٨٠ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ج٢ ص٦٦٧ وحقائق التأويل ص١١٤ ودعائم الإسلام ج١ ص١٧و ١٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص١٨٧ وفقه القرآن للراوندي ج٢ ص٣٦٢ ومتشابه القرآن ومختلفه لابن شهرآشوب ج٢ ص٣٣ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٢٢٧.

(١) راجع: الكافي ج١ ص٢٨٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٦١ وفي الهامش عن: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص٤٧ وغنية النزوع ص٣٢٣ وجامع الخلاف والوفاق ص٣٦٨ و ٤٠٤ وتذكرة الفقهاء ج٥ ص٤٣٥ و (ط قديمة) ج١ ص٢٥٤ وج٢ ص٤٣٧ ومختلف الشيعة ج٣ ص٣٣٣ وج٦ ص٣٠٨ و ٣٣٠ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣١١ وج٨ ص١٦٥ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٧٠ و ٨٥٧ وتلخيص الشافي ج٤ ص١٧٠ ونور الثقلين ج٣ ص٢٩٠ وج٤ ص٢٨٤ والميزان ج٤ ص٣١٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٠ والمسائل الجارودية للمفيد ص٣٥ والمستجاد من الإرشاد للعلامة (المجموعة) ص١٥٧ والصراط المستقيم ج٢ ص١١٨ وج٣ ص١٣٠ والمحتضر لابن سليمان الحلي ص١٧٩ والتعجب للكراجكي ص١٢٩ والفصول المختارة للمرتضى ص٣٠٣ وروضة الواعظين ص١٥٦ وكفاية الأثر ص٣٨ و

لهما فعلاً، منذ تلك اللحظة، حيث لم يقل سيكونان إمامين مثلاً.

إلا أن يكون ـ كما قال أحد الإخوة الأفاضل ـ قد أطلق عليهما بلحاظ حال التلبس، وفعلية مقام الإمامة لكلّ واحد منهما، وهو إمامة الحسن «عليه السلام» بعد استشهاد أبيه، وإمامة الحسين «عليه السلام» بعد استشهاد أخيه. لا سيّما وأن الحديث المشار إليه مسوق لبيان أن قعود القاعد لا يعني فقده لمقام الإمامة.

---

١١٧ والفرق بين الفرق ص٢٥ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٤٣ و ١٦٣ والفضائل لابن شاذان ص١١٨ والطرائف لابن طاووس ١٩٦ وعوالي اللآلي ج٣ ص١٣٠ وج٤ ص٩٣ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٩١ وج٣ ص٢٩٠ وبحار الأنوار ج١٦ ص٣٠٧ وج٢١ ص٢٧٩ وج٣٥ ص٢٦٦ وج٣٦ ص٢٨٩ و ٣٢٥ وج٧٣ ص٧ وج٣٧ ص٢٩٨ و ٢٩١ وج٤٤ ص٢ و ١٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٠٧ و ٤٢١ وكشف الغمة ج٢ ص١٥٦ وج٢ ص٢٢٥ و ٢٤٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧١٧ و ٧٣٢ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص١٦٨ ونزهة المجالس ج٢ ص١٨٤ وفي السراج الوهاج للشبراوي الشافعي أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهما: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة، وغاية المرام ج٢ ص٢٤٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٤٨٢ وج١٩ ص٢١٦ و ٢١٧ عن أهل البيت لتوفيق علم (ط مطبعة السعادة القاهرة) ص١٩٥ وعن الرسالة في نصيحة العامة لابن كرامة البيهقي (النسخة المصورة في مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا) ص١٨ و ٦٧ وينابيع المودة ص٤٤٥.

وذلك كله وسواه يدل على أنهما «عليهما السلام» كانا وهما في تلك السن أهلاً للخطاب الإلهي، وأنهما يملكان من العقل والمسؤولية ما يكفي لتحمل المسؤولية في مثل هذه الأمور الكبيرة والخطيرة. ومن يكون كذلك لا يمكن أن يصدر منه ما يراه الناس إنقاصاً لقدر رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فالناس عادة يستحسنون صعود الطفل على ظهر أبيه أو جده، ولكنه إذا وصف أباه بهذه الكلمات وأمثالها، يزجرونه، ويوضحون له: أن التفوّه بمثل هذه الكلمات عيب، ويطلبون منه الاعتذار عنها، وأن لا يعود إليها.

تمزيق العهد لماذا؟!:

ولنا مع الرواية التي ذكرت تمزيق النبي لعهد الرجل في هذه المناسبة العديد من الاستفهامات والمؤاخذات.

فأولاً: لم يتضح لنا نوع ومضمون العهد الذي كتبه «صلى الله عليه وآله» لذلك الرجل. هل هو عهد أمان؟! أو عهد بعمل رصده له، بيَّن له فيه ما يجب عليه عمله؟! أو هو عهد تفويض تصرف ببعض الأراضي، واستثمارها، وأداء ما يترتب عليه إلى بيت المال؟!

ثانياً: إن ما صدر عن صاحب العهد هو مجرد طرح سؤال عن أن كثرة الحركة، أو أن هذا النوع من الحركات على ظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ألا يقطع الصلاة؟!

فلعل الرجل لم يكن يعلم بالحكم الشرعي لمثل هذه الحالة.. فهل

يصح مواجهته بهذا الزجر الحاد، وإهانته المتمثلة باسترداد عهده منه، وتمزيقه؟!

إلا أن يقال: لعل سؤال هذا الرجل لم يكن بريئاً، بل كان مشوباً بما يدل على التشكيك بالرسالة والإرتداد مثلاً، فاستحق العقوبة بتمزيق عهده لأجل ذلك، ربما لأن هذا السؤال منه قد استبطن اتهاماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه يقول للناس شيئاً ولا يلتزم هو به، فهو يعمل بالهوى، ويتلاعب بالأحكام.

غير أننا نقول:

إن الرواية لم تشر إلى هذا التعليل لكي يتم اعتماده، بل ذكرت أمراً آخر، جعلته علة وسبباً لهذه الحدة والشدة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعتبر قول ذلك الرجل ناشئاً عن عدم توقيره للكبير، وعدم رحمته للصغير، فتبرأ «صلى الله عليه وآله» منه لأجل ذلك، قائلاً: «من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا، فليس منا، ولا أنا منه».

ثالثاً: يسجل على هذا الاستدراك عدة أسئلة تحتاج إلى جواب، وهي التالية:

إن هذا الرجل لم يضمِّن سؤاله أية إشارة إلى القسوة أو الرحمة، بل سأل عن قاطعية فعلهما هذا للصلاة وعدمه..

رابعاً: إن منع الصبي من الصعود على ظهر النبي «صلى الله عليه وآله» ليتمكن النبي من إتمام صلاته ليس بأكثر من منع الصبي

من أكل ما يضره، أو من الاقتراب من النار، أو من اللعب في موضع يخشى فيه عليه من السقوط إلى مكان سحيق، أو منعه من ضرب أمه وأبيه، فلماذا يعتبر منافياً للرحمة للصغير، ولتوقير الكبير؟!

خامساً: ما هو الرابط بين هذا السؤال وبين الكفر والخروج من جماعة المسلمين، فإن عقوبة من يطرح سؤالاً استفهامياً ليست البراءة منه، والحكم عليه بالكفر؟!

سادساً: إذا كان على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعامل الناس على ما هو ظاهر حالهم، فإن ظاهر سؤاله أنه استفهامي، وليس ثمة ما يشير إلى أي شيء آخر، فما المبرر لتمزيق العهد؟!

ألا يحتمل أن يكون ذلك الرجل بحاجة إلى الرفق، وإلى التعليم، ورفع الجهل، بالحكمة والموعظة الحسنة؟!

سابعاً: لو فرضنا: أن ثمة نوعاً من الحركات المشبوهة قد بدرت من ذلك الرجل، وكانت دالة على أن الرجل كان من المنافقين، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يداري المنافقين، ويغض النظر عن كثير من أفعالهم، ولا يقدم على اتخاذ موقف حادٍ من أي منهم، إلا إذا بدر منه الكفر الصراح، والجرأة التي لا يمكن له إنكارها، ولا التملص منها، أو لا يمكن تأويلها.. وهذا ما لم تظهر لنا أية دلالة عليه، أو إشارة إليه.

اليهودي الذي أسلم:

ويستوقفنا حديث إسلام اليهودي، بسبب ما رآه من رفق ومداراةٍ ورأفة ورحمة لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالصبيان.. ولنا أن نتساءل عن مسوغ دخول ذلك اليهودي إلى مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ونجيب:

أولاً: لا شيء يدل على أن ذلك اليهودي كان في داخل المسجد. فلعله كان على مشارفه، وكان بحيث يرى ما في داخله، من باب مفتوح، أو من نافذة، أو كوة، أو خلل فيه.

ثانياً: لو سلم أن هذه القضية قد حصلت في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن ما يقال من عدم صحة دخول الكافر إلى مساجد المسلمين، فما بالك إذا كان المسجد هو مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله». إن هذا القول يحتاج إلى بيان، فقد يقال:

ألف: إن عدم جواز حضور الكافر الكتابي إلى المسجد يحتاج إلى ما يثبته، إذ هناك من يرى جواز دخول الكافر إلى المسجد، ويستدل على ذلك بدليلين:

الدليل الأول: إن ما استدل به على الحرمة ـ وهو قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)**(١)

---

(١) الآية ٢٨ من سورة التوبة.

ـ لا يدل على ذلك.

أولاً: المراد بالنجس: القذارة المعنوية، لا القذارة الحسية. أي أن كفرهم هو المانع من دخولهم المسجد، لا نجاستهم المادية، كنجاسة الدم وغيره. أي أن دخول المشرك والكافر بالله إلى بيت التوحيد والعبادة الخالصة هتك لحرمة المسجد، حتى لو لم يوجب دخوله له تنجيساً له.

ثانياً: لو سلمنا: أن المراد النجاسة الحسية بالمعنى المعهود عند أهل الشرع، فإن الحرام هو تنجيس المسجد بها، إما إدخالها إليه، فلا يحرم، إلا إذا استلزم هتكاً لحرمته.

ويشهد لذلك: أنه لا يحرم وضع الدم في كيس، ثم إدخاله إلى المسجد، كما لا يحرم إدخال قطعة ملوثة بالدم، والمرور بها منه.

ثالثاً: قد يقال: إن الآية خصصت الحكم بالمسجد الحرام. ولو كان المراد التعميم لكل مسجد، لقالت: «**فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسَاجِدَ**». فلعل للمسجد الحرام خصوصية.

ويلاحظ: أو يشهد لما نقول: أنها تقول: (**فَلَا يَقْرَبُوا**) الظاهر في التشدد البالغ في هذا الأمر، صوناً لحرمة المسجد الحرام. حتى عن اقتراب هؤلاء منه.. مع أن مرور الكافر بالقرب من سائر المساجد ليس فيه أي محذور.

رابعاً: وفيما يرتبط بالربط بين هذه الآية وبين ما يقال عن قصة اليهودي هنا، نقول:

لم يظهر لنا: أن قصته كانت بعد نزول هذه الآية، فلعلها كانت قبل نزولها، لأن الآية قد وردت في سورة التوبة التي هي من أواخر ما نزل من القرآن(١)..

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٠٧ و ٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن أبي داود في المصاحف، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه وابن حبان، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٣٠ و ٣٣١ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) والبرهان للزركشي ج١ ص٢٣٥ وراجع ص٦١ وفتح الباري ج٩ ص٣٧ و ٣٩ وكنز العمال (ط الهند) ج٢ ص٣٦٧ عمن ذكرهم في الدر المنثور آنفاً، وعن أبي عبيد في فضائله، وابن الأنباري في المصاحف، وأبي نعيم في المعرفة، وسعيد بن منصور، وفواتح الرحموت (بهامش المستصفى) ج٢ ص١٢ وعن أحمد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، ومشكل الآثار ج٢ ص١٥٢ ومسند أحمد ج١ ص٥٧ و ٦٩ والسنن الكبرى ج٢ ص٤٢ وجواهر الأخبار والآثار (مطبوع مع البحر الزخار) ج٢ ص٢٤٥ ومناهل العرفان ج١ ص٣٤٧ ومباحث في علوم القرآن للقطان ص١٤٢ والمرشد الوجيز لأبي شامة ص٦١ والمبسوط للسرخسي ج١ ص١٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٥ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٤٤٤ وتفسير البيضاوي ج٣ ص١٢٦ والغدير ج٨ ص١٠ وأبو طالب مؤمن قريش ص٣٤١ عن: البخاري، والكشاف، والبيضاوي، وتفسير ابن كثير، والإتقان، وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن الضرير، وابن المنذر، والنحاس، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وعين العبرة لأحمد آل طاووس ج٢

فإن نزولها كان في ذي الحجة سنة تسع(١). ولم يكن ـ بحسب الظاهر ـ قد ورد نهي عن دخول المشركين إلى المساجد، لحكمة اقتضت تأخير هذا التشريع. لو سلم أن هذه الآية تدل على حرمة ذلك..

الدليل الثاني: على جواز دخول الكافر إلى المسجد: إن وفد طيء حين قدم إلى المدينة «عقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ثم دخلوا وجلسوا قريباً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث يسمعون صوته

ص١٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٧ وسنن أبي داود ج١ ص١٨٢ وكنز العمال ج٢ ص٥٧٥ ومجمع البيان ج٥ ص٦ والبيان في تفسير القرآن ص٢٤٣ ومعاني القرآن ج٣ ص١٧٩ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٠ وأسباب النزول للواحدي ج٢ ص٨ وزاد المسير ج١ ص٣ وج٣ ص٢٦٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٩٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤ ص١٦٠ وج٨ ص١٧٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٤٤ و ٤١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٣٦٥.

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، والبخاري، والنسائي، وابن الضريس، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص١٠٣ وتفسير النسفي ج٢ ص٧٧ والتبيان في تفسير القرآن ج٩ ص ٣٢٥ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٥ والمنتخب من تفسير القرآن لابن إدريس الحلي ج٢ ص٢٦٨ وج٣ ص١٥١ والتفسير الصافي ج٢ ص٣١٨ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٥ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٤٣ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٤٠ والشافي في الإمامة ج٤ ص٣٨.

الخ..»[١].

كما أن وفد نجران ـ كما زعموا ـ «لما حانت صلاتهم قاموا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلون، فأراد الناس منعهم، فقال «صلى الله عليه وآله» دعوهم»[٢].

ولا بأس بمراجعة سائر الروايات التي تذكر وفود المشركين، وأهل الكتاب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودخولهم عليه.

ونجيب:

أولاً: لا دليل على أن المشركين قد دخلوا على رسول الله «صلى

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٥٨ والروض الأنف ج٤ ص٢٢٧ والإصابة ج٦ ص٤٧٨ والأعلام للزركلي ج٨ ص١١٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٥١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٨ ونهاية الأرب ج١٨ ص٧٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٦ و ٤١٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٨٧ و ١٨٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٣٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٦٥ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٦٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤١٣ وعيون الأثر ج١ ص٢٩٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٣ وتفسير البغوي ج١ ص٢٧٦ وتفسير الثعلبي ج٣ ص٦ وجامع البيان ج٣ ص٢٢١ وزبدة التفاسير ج١ ص٤٤٧ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٢٣٤ وتفسير أبي السعود ج٢ ص٣ .

الله عليه وآله»، وهو في المسجد المخصص للصلاة، فلعلهم دخلوا إلى سائر أقسام المسجد التي ليست مخصصة لذلك. كالباحة، والساحة، وغيرها من توابع المسجد ومتمماته، ومنها الموضع الذي يقال له: «الصفة». وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يُنزل في ذلك الموضع بعض الفقراء وغيرهم، فإن دخول الكافر والجنب إلى هذه المواضع ليس ممنوعاً، فإن أهل الصفَّة مثلاً كانوا يبيتون هناك. وربما حصلت لبعضهم جنابة حال نومه على الأقل.

والنوم في المسجد مكروه، والجنابة فيه حرام، ولا يسمح النبي «صلى الله عليه وآله» ولا يجيز تعريض المسجد لهذين الأمرين، فدل ذلك على أن هذا الموضع من ملحقات المسجد الذي يصلى فيه، والذي يكره فيه النوم، وتحرم فيه الجنابة.

وعلى هذا، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أمر الناس بعدم منع نصارى نجران من الصلاة في ذلك الموضع، يكون قد دلنا على أنه ليس من المواضع التي لها تلك الأحكام المعروفة بأحكام المساجد.. سواء ما كان منها محرماً، أو ما كان مكروهاً..

وخلاصة القول:

إنه لا دليل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يلقى الناس في الموضع المخصص للصلاة، فلعله كان يلقاهم في الباحات والساحات والصفَّة، وغيرها من المواضع الملحقة بالمسجد لأغراض أخرى غير الصلاة، التي يكون فيها التهيوء والاستعداد للصلاة، وقد يرفع

الأذان في بعض تلك المواضع، وفيها تكون المرافق، ومواضع الوضوء، والتروح في مهب الأهوية، ويبيت فيها من لا منزل له، ويوضع فيها آلات وفرش المسجد، والباحات والساحات، وغير ذلك. وإنما يطلق عليها أنها مسجد على سبيل التوسع، ولا يحرم دخول الكافر إلى هذه المواضع وأمثالها.

إيمان اليهودي بالله:

١ ـ ذكرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لليهودي: «أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله، لرحمتم الصبيان».. وهذا يثير أمامنا سؤالاً يقول: أليس اليهود يؤمنون بالله، وبأن له أنبياء، وقد أنزل كتباً، وما إلى ذلك؟!

إلا أن يقال: إن الجمع بين الإيمان بالله وبنبوة نبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله» هو الذي يترك هذا الأثر الذي ذكره «صلى الله عليه وآله» هنا.

أو يقال: إن الإيمان بالإسلام هو الذي يوجب الرحمة، ولا يوجبها الإيمان بالترهات والأباطيل.

ويجاب:

بأن فهم هذا المعنى من كلامه «صلى الله عليه وآله» يستدعي التساؤل عن كيفية حصول هذا الأثر لمجموع هذين الأمرين، فإنه سيبقى غامضاً بالنسبة لذلك اليهودي على أقل تقدير، كما هو غامض أيضاً بالنسبة لغيره.. فكيف قبل ذلك، ولم يسأل عن سببه، بل بادر إلى

إعلان إسلامه؟!

٢ ـ هل صحيح أن اليهود لا يرحمون صبيانهم؟! والحال أن حب اليهود للدنيا وزينتها يفوق الوصف، كما أن المال والبنين هما من أهم مظاهر زينة الحياة الدنيا. فالمفروض من الناحية الموضوعية، ومن الناحية الغريزية أن يحبوا صبيانهم، فإن حب الإنسان لأبنائه ـ ولاسيما الصغار ـ أمر طبيعي، ولا مجال للمماراة فيه.

ولا ندري لماذا لم يسجل ذلك اليهودي اعتراضه على هذه النقطة أيضاً، فلم يسأل النبي عنها؟!

أما فيما يرتبط بحب الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وفرض حبهما على الأمة، فسنتعرض له في الفصل التالي..

الفصل الرابع:

أحداث تحتاج إلى توضيح..

قبَّل زبيبته!!:

١ ـ قال المغيرة بن عبد الله: مر الحسين «عليه السلام»، فقال أبو ظبيان: ما له، قبحه الله!! إن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليفرج بين رجليه ويقبل زبيبته[١].

٢ ـ الجعفريات: عن محمد، عن موسى، عن أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قبل زبَّ الحسين بن علي بن أبي طالب «عليه السلام»، كشف عن أربيته، وقام فصلى من غير أن

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٦ وذخائر العقبى ج٢ ص٦٠ وليس فيه قوله: «ما له قبحه الله». وفي هامشه عن: التصنيف الفقهي لأحاديث الكنى والأسماء للدولابي ج١ ص٥١ وعن المعجم الكبير (نسخة جامعة طهران) ص١٣٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (ط مصر) ج٢ ص٢١٧ ونيل الأوطار للشوكاني، باب ستر العورة. والبداية والنهاية (ط مصر) ج٨ ص٣٣ وعن وسيلة المآل (مخطوط ـ نسخة مكتبة الظاهرية بدمشق) ص١٦٨.

يتوضأ(١).

٣ ـ الأزهري، عن المعافى بن زكريا الجريري، عن محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، عن علي بن مسلم الطوسي، عن سعيد بن عامر، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جده، عن جابر بن عبد الله قال:

وأنبأنا مرة أخرى عن أبيه، عن جابر قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يفحج بين فخذي الحسين ويقبل زبيبته، ويقول: «لعن الله قاتلك»

قال جابر: فقلت : يا رسول الله، ومن قاتله؟!

قال: «رجل من أمتي، يبغض عترتي، لا يناله شفاعتي، كأني بنفسه بين أطباق النيران، يرسب تارة، ويطفو أخرى. وإن جوفه ليقول: عق عق»(٢).

---

(١) مستدرك الوسائل ج١ ص٢٣٦ والنوادر للراوندي ص١٩٣ عن الجعفريات ص١٩ و ٣٠ ـ ٣١ والعوالم، الإمام الحسين ص٤٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٧ وج٧٧ ص٢٢٤ وعن شرح الأخبار ج٣ ص٧٧ وتاريخ بغداد ج٣ ص٢٩٠ عن جابر نحوه.

(٢) تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٧هـ ق) ج٤ ص٥٧ و ٥٨ و (ط السعادة بمصر) ج٣ ص٢٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٢٤ ولسان الميزان ج٥ ص٣٧٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٣٢٣ وج٢٧ ص٣٢٧

ونقول:

لا بأس بالإشارة إلى بعض ما يرتبط بهذه النصوص، فنقول:

الأربية: أصل الفخذ.

هل هذا تصحيف؟!:

يبدو لنا: أن الرواية الأولى، وهي رواية أبي ظبيان قد تعرضت للتصحيف من الرواة، فإن كلمة «أربيته» الواردة في الرواية الثانية التي تعني أصل الفخذ، صارت ـ فيما يبدو ـ زبيبته.

ولعل السبب في ذلك: هو تقارب رسم الكلمتين، فلاحظ كلمتي: «زبيبته» و «أربيته»، فإن التشابه في الرسم بينهما كبير.

والذي يدعونا إلى إبداء هذه الملاحظة: أن كشف عورة الإمام المعصوم أمام الناس، ولو في أيام طفولته أمر غير مستساغ، ولا مرضي، وله آثار سلبية على النظرة إلى ذلك الإمام، وعلى طبيعة التعامل معه.

وقد يعكر على هذه الملاحظة حول التصحيف اللفظي للكلمة: أن صدر الرواية الثانية يقول قبل ذلك: إنه «صلى الله عليه وآله» قبَّل «زب» الحسين بن علي.

ويجاب:

.

بأن في هذه الرواية الثانية أيضاً اختلالاً ظاهراً.. فقد صرح ذيلها: بأنه «صلى الله عليه وآله» كشف عن أربيته، فإذا كانت الأربية هي أصل الفخذ، فإن كان قد قبل ذلك الموضع، فإن الأربية ليست هي زب المولود، وإن كان قد قبل ذلك الموضع فعلاً، فلماذا اكتفى بالكشف عن أصل فخذه؟! فهل قبله دون أن يكشفه؟! فإن كان الأمر كذلك، فلا حاجة إلى الكشف عن الأربية التي هي أصل الفخذ.

ألا يدلنا هذا: على أن في الرواية اضطراباً وتصرفاً، إما نشأ عن وهم وقع فيه الراوي عن علي «عليه السلام»، فنسب ما توهمه هو إلى علي، لا على سبيل الحكاية لقوله، بل على سبيل الحكاية لفعله، بحسب ما توهمه، أو تخيله، أو ربما تعمد أن يشيعه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحاجة في نفسه.

لماذا الوضوء؟!:

ومما يزيد في وضوح الاضطراب، وحصول التصرف في هذه الرواية حتى بالزيادة فيها، قوله في آخرها: وقام فصلى من غير أن يتوضأ.. إذ لا يتوهم أحد أن تقبيل الرجل لولده يوجب الوضوء.

ولا يحتمل ذلك في حق الإمام الكاظم «عليه السلام» الذي كانت إمامته في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، فإن مذهب أئمة أهل البيت «عليهم السلام» وفقههم لم يكن خافياً على أحد، بل كان قد شاع وذاع، وطرق الأسماع.. وهم يرفضون ما تقوله بعض الجماعات من أن من قبّل امرأته ينتقض وضوؤه، ومسّ جسد الصبي

الصغير، أو تقبيل جده له حباً به ليس مما يوجب ذلك..

من المقصود بكلام أبي ظبيان؟!:

وقد ذكرت الرواية الأولى: أن أبا ظبيان قال حين مرّ به الحسين «عليه السلام»: «ما له؟! قبحه الله؟! الخ..». وظاهر الكلام أن المقصود بهذه الكلمة السيئة هو الإمام الحسين «عليه السلام» بالذات، وهذا يعني: أن أبا ظبيان كان من أعداء الحسين وأهل البيت «عليهم السلام»، ومن المكذبين للقرآن، الرادين على الله، الجاحدين للحق.. وحاله يصبح معلوماً.

وقد ورد في الروايات ما يدل على وجود هذا الانحراف فيه، فقد كذبه الإمام الصادق «عليه السلام»، كما في رواية أبي الورد، قال: قلت لأبي جعفر «عليه السلام»: إن أبا ظبيان حدثني أنه رأى علياً «عليه السلام» أراق الماء ثم مسح على الخفين.

فقال «عليه السلام»: كذب أبو ظبيان. أما بلغكم قول علي «عليه السلام» فيكم: سبق الكتاب الخفين؟!

فقلت: هل فيها رخصة؟!

فقال: لا إلا من عدو تتقيه، أو ثلج تخاف على رجليك(١).

---

(١) الإستبصار ج١ ص١٠٦ و (ط دار الكتب الإسلامية ـ طهران) ج١ ص٧٦ وتهذيب الأحكام ج١ ص٣٦٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٤٥٨ و (الإسلامية) ج١ ص٣٢٢ وقاموس الرجال ج٣ ص٥٦٠.

نقول هذا مع الإشارة إلى أن كلمة «ما له؟! قبحه الله» إنما وردت في بعض المصادر دون بعض[1]، كالمناقب ـ حسب نقل المجلسي في بحار الأنوار ـ، ولكن بعض المصادر الأخرى كذخائر العقبى وغيره[2]، لم ترد فيها هذه الفقرة..

وأما بالنسبة إلى الرواية الثالثة، فنقول:

إن هذا النص لا غبار عليه من حيث المضمون.. إلا ما أشرنا إليه من احتمال التصحيف لكلمة أربيته، حتى صارت «زبيبته».

لكن لنا كلام في سند هذه الرواية، فإن أبا ظبيان إن كان هو الحصين بن جندب، فقد صرح الشيخ في رجاله، والبرقي أيضاً: بأنه من أصحاب علي «عليه السلام»[3]. وهو الظاهر من روايته مسح

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٦ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٩.

(٢) ذخائر العقبى ج٢ ص٦٠ و (ط مكتبة القدسي بمصر) ص١٢٧ والمعجم الكبير ج٣ ص٥١ وج١٢ ص٨٥ ونصب الراية ج١ ص٤١٢ وتاريخ بغداد ج٤ ص٥٧ و ٥٨ وميزان الاعتدال ج٣ ص٣٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٥٨ و ٣١٣ .

(٣) قاموس الرجال ج١١ ص٣٨٥ وج٣ ص٥٦٠ ومعجم رجال الحديث ج٧ ص١٣٢ وج٢٢ ص٢١٩ وجامع الرواة للأردبيلي ج٢ ص٣٩٦ ورجال البرقي ص٦ ورجال الشيخ ص٦١ رقم ١٠ وخلاصة الأقوال ص٣٠٩ وراجع: رجال ابن داود ص٢١٩ .

علي «عليه السلام» على الخفين في الوضوء(١).

وعدَّه ابن منده وأبو نعيم من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» (وكنوه بأبي جندب)(٢).

إلا أن يقال: إن الاختلاف بالكنية يدل على تعدد الشخص.

وصرح ابن حجر العسقلاني وغيره: بأنه مات سنة تسعين(٣).

وهذا يدل أيضاً على أن حصين بن جندب بن الحارث الجنبي أبا ظبيان ليس أبا ظبيان الذي رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يفعل ذلك.

---

(١) قاموس الرجال ج٣ ص٥٦٠ والإستبصار ج١ ص١٠٦ و (ط دار الكتب الإسلامية ـ طهران) ج١ ص٧٦ وتهذيب الأحكام ج١ ص٣٦٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٤٥٨ و (الإسلامية) ج١ ص٣٢٢.

(٢) قاموس الرجال ج٣ ص٥٦٠.

(٣) تقريب التهذيب ج١ ص٢٢١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص٢٢٤ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٨٥ وشرح صحيح مسلم للنووي ج٢ ص١٠٣ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٧٢ وطبقات خليفة بن خياط ص٢٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٣٦٦ و ٣٦٩ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ وج٣٥ ص٤٣٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٥١٦ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة ج١ ص٣٣٨ وسير أعلام النبلاء ج٤ ص٣٦٢ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٨١٠ و ٢٨١٢ و ٢٨١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٦ ص٣٦ و ٢٣٩ و ٥٢٩ والوافي بالوفيات ج١٣ ص٥٨.

٢ ـ كما أن السند المتقدم للرواية يروي الحديث عن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جابر.. وهذا يشير إلى أن أبا ظبيان لم يكن معاصراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف يمكن تفسير ذلك؟!

لكن الاضطراب السندي لا يحتم الحكم بكذب المضمون السالم من أي إشكال، فهناك مضامين كثيرة تكون صحيحة في الواقع، حتى لو لم يكن لها سند أصلاً.

فالظاهر: أن جابراً هو الذي رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يفعل ذلك بالحسين «عليه السلام»، وقد خلط الرواة بينه وبين أبي ظبيان، أو أسقطوه من الرواية، واقتصروا على أبي ظبيان، فظن البعض أنه هو الذي رأى الرسول يفعل ذلك.

خلاصة وبيان:

وبعدما تقدم نقول:

قد ظهر مما تقدم: أن هذه النصوص لا يمكن الاعتماد عليها لإثبات تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك الموضع من الإمام الحسين «عليه السلام».

كما لا دليل يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد كشف عورة ولده، أو لامسها حين كان الإمام الحسين «عليه السلام» صبياً صغير السن.

التطهير من بول الصبي:

١ ـ محمد بن هارون الزنجاني، عن علي بن عبد العزيز، عن أبي عبيد القاسم بن سلام، عن هيثم، عن يونس، عن الحسن: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أتي بالحسين بن علي «عليه السلام»، فوضع في حجره، فبال عليه، فأُخِذَ.

فقال: لا تزرموا ابني، ثم دعا بماء فصبه عليه[(١)].

٢ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كنا جلوساً عند رسول الله إذ أقبل الحسين، فجعل ينزو على ظهر النبي وعلى بطنه، فبال، فقال: دعوه[(٢)].

٣ ـ إن الحسين «عليه السلام» بال في حجر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقالت لبانة (لبابة): أعطني إزارك حتى أغسله.

قال: إنما يغسل من بول الأنثى، وينضح من بول الذكر[(٣)].

---

(١) معاني الأخبار ص٢١١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٥ و ٢٩٦ وج٧٧ ص١٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٤٠٥ و (الإسلامية) ج٢ ص١٠٠٨ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٨٠ وغريب الحديث ج١ ص١٠٣ وعن قرب الإسناد.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٦ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٥٥٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٧ وبحار الأنوار

٤ ـ ذكر أبو عبيد في غريب الحديث: أنه «صلى الله عليه وآله» قال:

«لا تزرموا ابني». أي لا تقطعوا عليه بوله. ثم دعا بماء، فصبه على بوله(١).

ونقول:

يستفاد من هذه النصوص ما يلي:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد منعهم من أن يقطعوا على الحسين «عليه السلام» بوله، فدلنا ذلك على أن على الكبير أن لا يستفيد من

ج٤٣ ص٢٩٦ ونيل الأوطار ج١ ص٥٥ و ٥٦ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٩ وسنن أبي داود ج١ ص٩٣ وعمدة القاري ج٣ ص١٣٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص١٧٤ وتحفة الأحوذي ج١ ص١٩٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج١ ص١٤٤ و ١٤٥ وج٨ ص٣٧٦ والمعجم الكبير ج٢٥ ص٢٦ ونصب الراية ج١ ص١٩٤ وتهذيب الكمال ج٢٣ ص٣٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٢٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٢٠.

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٦ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٥٥٧ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٩ والفايق في غريب الحديث (ط مصر) ج١ ص٥٢٦ و (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج٢ ص٨٠ والنهاية لابن الأثير ج٢ ص٣٠١ والصحاح ج٥ ص١٩٤١ واللمعة البيضاء ص٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٣٠٩.

نفوذه، أو من موقعه العائلي أو غيره، ككونه أباً، أو أماً، أو أخاً أكبر، ولا من قوته الجسدية لحرمان الآخرين من حقوقهم، أو فرض سلوك معين عليهم، لمجرد أن هذا الأمر يريحه هو، أو يحفظ له موقعاً أو اعتباراً معيناً، يختص به، وغير ذلك من اعتبارات تعود إليه.. ما لم تكن تلك الاعتبارات مما خصه الله تعالى بها، وسوغ له أن يحفظها بمثل هذه التصرفات، التي يجب أن لا تبلغ حد العدوان، بل تبقى في دائرة تحديد الحقوق، وتمييزها، ووضع علائم لها تحدد مواقع ابتدائها وانتهائها.

فالصبي له الحق في كل تصرف تقتضيه طفولته، ويسوقه إليه إدراكه الطفولي، وليس لأحد أن يمنعه منه، بحجة أنه لا يطيق سماع الأصوات مثلاً، أو بحجة أن السماح له بأن يقضي حاجته، وينهي إدراره سوف يتسبب له بمزيد من الجهد، أو لأبيه أو أمه، أو قريبه.

بل على الأب والأم أو غيرهما أن ينظموا حياتهم ويدخلوا احتمالات التصرفات الطفولية في حساباتهم، وأن يضعوا لأنفسهم حلولاً معها، ليس من ضمنها قهر الطفل، وحرمانه من حقه في تصرفاته التي يقتضيها سنه، ومستوى إدراكه.

ولذلك قال «صلى الله عليه وآله» لمن أرادوا أن يتعدوا الحدود مع ولده حين بال على ثيابه: «لا تزرموا ابني».

بال على ثياب جده:

وقد يحلو لبعض الناس أن يسأل عن مدى إمكان أن يبول إمام،

وهو من يظهر الله تعالى المعجزات له في طفولته، وهي معجزات وكرامات تدل على إدراكه العميق للأمور، وعلى فضله، وعلمه، ومقامه عند الله، وما إلى ذلك.. هل يمكن ـ والحالة هذه ـ أن يصدر منه ما ينقص قدره، فيبول على ثياب جده أمام أعين الناس، فيزعجه ويضطره لتطهير ثيابه، وما إلى ذلك؟!

ويجاب:

أولاً: إن صنع المعجزة للإمام حتى وهو طفل لا ينافي أن تصدر منه أفعال يرى الناس أنها تصرفات أطفال. وإن كانت في واقع الأمر ليست كذلك، كما في قصة العناق المكية التي كان يقول لها الإمام: اسجدي لربك. وقد تحدثنا عما يقال، من أن الإمام لا يلهو ولا يلعب في فصل مستقل.

فالمعجزة تهدف إلى تعريف الناس بشخصه للاهتداء لنوره، والاستفادة من علمه، لأن هذا هو الذي ينجيهم من الويلات في الدنيا والآخرة، وهو الذي يحييهم ويحفظهم، وهو لطف من الله تعالى بهم، ورحمة لهم..

ثانياً: إن صدور أفعال منه «عليه السلام» تؤذن ببشريته، وتدل على صغر سنه، وتجعلهم يظنون منه أنه يتصرف وفق ما تقتضيه المرحلة العمرية التي هو فيها ـ إن ذلك ـ رحمة بالأمة أيضاً، وصيانة لكثير من الناس من أن يخرجوا عن طور الاعتدال في نظرتهم إليه، وتعاملهم معه، لتصل إلى حد الغلو والارتفاع فيه، والرضا

بالاعتقادات الباطلة، والنحل الفاسدة..

ابني!:

وقد جاءت كلمة «ابني» في قوله: «لا تزرموا ابني» للدلالة على بنوَّة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهو ما سعى مناوئوا أهل البيت إلى إنكاره أو إثارة الشبهات حوله. وقد تحدثنا عن هذا الأمر بشيء من التفصيل في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام»»، وفي كتابنا هذا أيضاً، فلا نعيد.

الغسل، والنضح:

ولا بد لنا هنا أيضاً من الإلماح إلى ما صرحت به الرواية، من وجود فرق في التطهير بين بول الجارية، وبول الغلام، حيث ذكرت: أن الحكم هو الغسل من بولها، ونضح الماء على الثوب إذا بال عليه الغلام.

والسؤال البديهي هنا هو: أننا نفهم حكم الغسل من بول الجارية، فإن الغسل تطهير حقيقي وتام.

وأما النضح من بول الغلام، أفلا يعد زيادة في التنجيس للثوب لا تطهيراً له؟! حيث إن النضح هو رش الماء على الثوب في موضع إصابة البول. فينجس الماء المرشوش على الثوب بالبول، وتزيد به بنجاسة الثوب سعة وانتشاراً.

ويجاب:

أولاً: إن الأحاديث الواردة بالطرق المعتبرة عن أهل البيت «عليهم السلام» تدل على لزوم الصب على بول الصبي، ثم العصر[1]. ولو كان يكفي الرش والنضح لأشير إليه في كلامهم «عليهم السلام».

أما بول الصبية، فليس في الروايات أن حكمه حكم بول الصبي، فيبقى مشمولاً لعمومات وجوب غسله مرتين.

إلا أن يقال: إن كلمة الصبي اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى. فعلى هذا يكون الحكم فيهما واحداً، فإذا قيل يكفي الصب والعصر في بول الصبي، فكذلك الحال في بول الجارية، لأن المراد بالصبي الأعم من الذكر والأنثى. ولكن هذا بعيد عن الاستعمالات العرفية في مثل هذا المورد.

فإنهم يفرقون بينهما بتاء التأنيث، فيقولون: صبي وصبية. ويبدو: أن الشارع قد جارى ما هو متداول في استعمالات الناس بملاحظة أنه قد فرق بين الصبي والجارية تارة، أو صرح بعدم الفرق بينهما أخرى، فلو لم تكن ضرورة لهذا التصريح، أو التفريق، أوجبتها

(١) الكافي ج٣ ص١٥٥ وتهذيب الأحكام ج١ ص٢٤٩ والإستبصار ج١ ص١٧٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٣٩٧ و (الإسلامية) ج٢ ص١٠٠٢.

الاستعمالات المتداولة لما احتاج الشارع إلى ذلك.. وذلك لكي تتضح الأمور للعامة، وتزول أية شبهة مهما صغرت، بالأخص فيما لو كان ذلك في بيان حكم شرعي.

ففي رواية الحلبي عن الصادق «عليه السلام»: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن بول الصبي؟!

قال: تصب عليه الماء، فإن كان قد أكل فاغسله بالماء غسلاً، والغلام والجارية [في ذلك] شرع سواء(١).

وفي رواية سماعة قال: سألته عن بول الصبي يصيب الثوب؟!

فقال: اغسله.

قلت: فإن لم أجد مكانه؟!

قال: اغسل الثوب كله(٢).

روايات الآخرين:

أما روايات غير أهل البيت فهي التي أكدت على الغسل من بول

---

(١) الكافي ج٣ ص١٥٦ وتهذيب الأحكام ج١ ص٢٤٩ والإستبصار ج١ ص١٩٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٣٩٨ و (الإسلامية) ج٢ ص١٠٠٣.

(٢) تهذيب الأحكام ج١ ص٢٥١ و ٢٦٧ والإستبصار ج١ ص١٧٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٣٩٨ و ٤٠٢ و (الإسلامية) ج٢ ص١٠٠٣ و ١٠٠٦.

الجارية. والنضح ـ هو رش الماء ـ من بول الغلام.

ففي إحدى رواياتهم عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «يغسل من بول الجارية، وينضح على بول الصبي ما لم يأكل الطعام (ما لم يطعم)»(١).

وفي أخرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخذ الحسين بن عليّ «عليه السلام»، فأجلسه في حجره، فبال عليه.

قالت: فقلت له «صلى الله عليه وآله»: لو أخذت ثوباً وأعطيتني إزارك لأغسله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إنّما يغسل من بول الأنثى، وينضح على بول الذكر»(٢).

---

(١) سنن أبي داود ج١ ص١٥٦ و (ط أخرى) ج١ ص١٠٣ و (ط دار الفكر سنة ١٤٠٤هـ ق) ج١ ص٩٣ وعمدة القاري ج٣ ص١٣ وتحفة الأحوذي ج١ ص٢٠٢ والمصنف للصنعاني ج١ ص٣٨١ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٢٣٨ والناصريات للشريف المرتضى ص٩٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤١٥ وسنن الدارقطني ج١ ص١٢٩ وكنز العمال ج٩ ص٥٣١ وغريب الحديث ج١ ص١٠٤.

(٢) راجع: سنن أبي داود ج١ ص١٥٦ و (ط أخرى) ج١ ص١٠٣ و (ط دار الفكر سنة ١٤٠٤هـ ق) ج١ ص٩٣ وتيسير الوصول ج٣ ص٥٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٠٣.

أبو الحسن، وأبو الحسين:

قالوا: كان الحسن والحسين «عليهما السلام» يدعوان رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا أبه..

ويدعو الحسن أباه علياً «عليه السلام»: يا أبا الحسين.

ويدعو الحسين أباه علياً «عليه السلام»: يا أبا الحسن.

فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعواه: يا أبانا، أو يا أبه(١).

ونقول:

١ ـ ليس لدينا ما يدل على أن اختيار هذا النوع من الخطاب كان بتعليم من أحد، بل هو تصرف طبيعي منهما «عليهما السلام»، ناشئ عن إدراكهما لمعنى في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يدعوهما لتخصيصه حتى على أبيهما بما يدل، أو يشير إلى ذلك المعنى.

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٠٧ ومقاتل الطالبيين ص١٤ والمناقب للخوارزمي ص٣٩ و ٤٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٠٦ و ١٠٧ وفرائد السمطين ج٢ ص٨١ و ٨٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١١ وألقاب الرسول وعترته للراوندي (ميراث حديث الشيعة) ص٣٤ وراجع: كشف الغمة ج١ ص٦٥ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٦٦ و ٦١ ـ ٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٠ ص١٤٥ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب « عليه السلام » في الكتاب والسنة والتاريخ ج١ ص٨٠.

والنبي «صلى الله عليه وآله» هو الأب الحقيقي للأمة كلها، فضلاً عن الحسنين «عليهما السلام»، وكل صلاح وفلاح ونجاح يحرزه أي إنسان، بل أي موجود، فإنما هو رشحة من رشحاته، وثمرة من ثمرات جهده وجهاده، وتضحياته، بل إن فضله هذا شامل حتى لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فهو الذي رباه، وكان يتبعه «اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به»(١).

ولأجل ذلك استحق أن يقول علي «عليه السلام»: أنا عبد من عبيد محمد. فلأجل عظيم احترامهما لرسول الله «صلى الله عليه

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٣٧ ـ ١٦٠ (الخطبة القاصعة) رقم ١٩٢ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٨ والطرائف لابن طاووس ص٤١٥ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص٢٢٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٦٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٢٣ وبحار الأنوار ج١٤ ص٤٧٦ وج١٨ ص٢٢٣ وج٣٨ ص٣٢٠ وج٦٠ ص٢٦٤ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٤ ص٣٠٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٦٨ والغدير ج٣ ص٢٤٠ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٣٩١ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٠٧ ونهج السعادة ج٧ ص٣٣ و ١٤٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٩٧ وخصائص الوحي المبين ص٢٨ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٣٢ وينابيع المودة ج١ ص٢٠٩ والأنوار البهية ص٣٥ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٣٣١.

وآله»، وعميق معرفتهما به، وخالص عرفانهما بفضله العميم ميزاه بهذا الخطاب، ومحضاه إياه في حال حياته، فكانا يدعوانه: يا أبة.

٢ ـ وبعد انتقال المسؤولية العملية المباشرة بعد استشهاد الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وصار هو المتولي لنفس المهمات التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتولاها، أصبح لا بد من إيفائه حقه، والتنويه بعظيم فضله، والإشادة بجليل تضحياته، فخاطباه بنفس الخطاب، الذي خاطبا به رسول الله حين كان «صلى الله عليه وآله» على قيد الحياة، لأن علياً «عليه السلام» أب لهذه الأمة أيضاً، فقد قال «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»(١).

---

(١) راجع: البرهان (تفسير) ج١ ص٣٦٩ ومعاني الأخبار ٥٢ و ١١٨ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٨٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص٩١ وعلل الشرائع ص١٢٧ وكمال الدين ص٢٦١ والأمالي للصدوق ص٦٥ و ٤١١ و ٧٥٥ والميزان ج٤ ص٣٥٧ وبحار الأنوار ج١٦ ص٩٥ و ٣٦٤ وج٢٣ ص١٢٨ و ٢٥٩ وج٢٦ ص٢٦٤ و ٣٤٢ وج٣٦ ص٦ و ٩ و ١١ و١٤ و ٢٥٥ وج٣٨ ص٩٢ و ١٥٢ وج٣٩ ص٩٣ وج٤٠ ص٤٥ وج٦٦ ص٣٤٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٣٨ والمراجعات ص٢٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٤٩ وج١٨ ص٣١١ و ٣١٢ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٢٦٤ وج١٠ ص٤٥٥ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٠٠ وروضة الواعظين ص٣٢٢ وخاتمة المستدرك ج٥

والحسنان «عليهما السلام» هما خير من استفاد من خيرات

ص١٤ والغارات للثقفي ج٢ ص٧١٧ و ٧٤٥ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٨٦ والعمدة لابن البطريق ص٣٤٥ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١٣٣ وسعد السعود ص٢٧٥ والعقد النضيد والدر الفريد ص٧٠ والمحتضر للحلي ص٧٣ والصراط المستقيم ج١ ص٢٤٢ و ٢٤٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٧ و ٧٤ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٦ و ٧٨٧ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص٨٠ و ٢٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٧ ص٢٤٣ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص١٥٩ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص٣٣٠ والصافي (تفسير) ج١ ص١٥٠ وج٤ ص١٦٥ و ١٦٦ وج٥ ص٥٢ وج٦ ص١٢ و ١٣ و ٥٢٠ ونور الثقلين ج٤ ص٢٣٧ و ٢٣٨ وكنز الدقائق ج١ ص٢٨٦ وج٢ ص٤٤٠ ومفردات غريب القرآن للراغب ص٧ وتفسير الآلوسي ج٢٢ ص٣١ وبشارة المصطفى ص٩٧ و ٢٥٤ ونهج الإيمان ص٦٢٥ و ٦٢٩ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج١ ص٧٤ و ١٢٨ وينابيع المودة ج١ ص٣٧٠ واللمعة البيضاء ص٨١ و ١٢٣ ومشارق أنوار اليقين ص٤٣ و ٢٨٩ وغاية المرام ج١ ص١٧٧ و ٢٥٠ وج٢ ص١٧٩ و ٢١١ وج٣ ص٧٠ وج٥ ص١١٨ و١٢٢ و ٢٩٩ و٣٠١ و ٣٠٣ وج٦ ص٦٦ و ١٥٥ و ١٦٦ و ١٦٧ وج٧ ص١٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص١٠٠ و ٢٢٧ و ٣٦٦ وج٥ ص٩٥ وج٧ ص٢١٦ وج١٣ ص٧٧ وج١٥ ص٥١٨ و ٥١٩ وج٢٠ ص٢٣٠ وج٢٢ ص٢٨٠ و ٢٨٢ و ٣٤٦ وج٢٣ ص٥٨٠ و ٦٢١.

وبركات، وتضحيات هذا الأب، الذي يوظف أبوته على النحو الذي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوظفه بالنسبة للحسنين «عليهما السلام» على الخصوص، وبالنسبة للأمة بأسرها بشكل عام.

٣ ـ ولعل الباعث على اختيار الإمام الحسن «عليه السلام»: أن يخاطب أباه «عليه السلام» في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: «يا أبا الحسين»، ويخاطب الإمام الحسين أباه بـ: «يا أبا الحسن» هو:

أولاً: إرادة كلٍ منهما تكريم أخيه، وتعزيزه، وبيان فضله، وتقدمه على سائر من عداه، فإن تكنية أبيه به دليل على أن هذا الابن من موجبات رضاه، ومن أسباب إدخال السرور على قلبه..

ثانياً: التنويه بفضل أبيهما «عليهما السلام»، والإشارة إلى أن ما كان يتوخاه لهما من بلوغ أرقى الدرجات في الفضل والعلم، والأخلاق، وسائر المزايا الرائعة والرائدة متجسد فيهما، بأبهى وأتم، وأجلى، وأقصى ما كان يتمناه.

وبمعنى آخر: إن وجود رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشدة تأثيره فيهما، وفي تجلي مزاياهما، لم يحجب تأثير أبيهما فيهما أيضاً في نفس تلك المجالات، بل كان النبي وعلي «صلى الله عليهما وآلهما» يتشاركان الجهد، ويتقاسمان البهجة بما يؤتيه من ثمار، وما يكون له من آثار..

٤ ـ وآخر ما نشير إليه هنا، هو: أن هذا التنويع بالخطاب، بما له

من دلالات، كان يفرح قلب النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي، وفاطمة «عليهما السلام»، ويقرُّ عيونهم، ويثلج صدورهم بأتم ما يكون. لأنه دليل عظمة الحسنين «عليهما السلام»، ومن تجليات التسديد والتأييد، والألطاف الإلهية فيهما.

الحسين × ودحية الكلبي، أو جبرئيل:

عن أبي الحسن عامر بن عبد الله، عن أبيه، عن الصادق «عليه السلام»، عن آبائه، عن الحسين «عليه السلام»، قال:

«دخلت مع الحسن «عليه السلام» على جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعنده جبرئيل «عليه السلام» في صورة دحية الكلبي، وكان دحية إذا قدم من الشام على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حمل لي ولأخي خرنوباً، ونبقاً، وتيناً..

فشبهناه بدحية بن خليفة الكلبي. وإن دحية كان يجعلنا نفتش كمه.

فقال جبرئيل «عليه السلام»: يا رسول الله، ما يريدان؟!

قال: إنهما شبهاك بدحية بن خليفة الكلبي، وإن دحية كان يحمل لهما إذا قدم من الشام نبقاً، وتيناً، وخرنوباً.

قال: فمد جبرئيل «عليه السلام» يده إلى الفردوس الأعلى، فأخذ منه نبقاً، وخرنوباً، وسفرجلاً، ورماناً، فملأنا به حجرنا.

قال: فخرجنا مستبشرين، فلقينا أبونا أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فنظر إلى ثمرة لم ير مثلها في الدنيا، فأخذ من هذا، ومن

هذا واحداً، واحداً، ودخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يأكل.

فقال: «يا أبا الحسن، كل وادفع إلي أوفر نصيب، فإن جبرئيل «عليه السلام» أتى به آنفاً»(١).

ونقول:

لا نريد أن نسجل ملاحظة على ما جاء في الرواية، من أن علياً «عليه السلام» قد دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يأكل، وكيف يأكل علي «عليه السلام» في الملأ العام، وفي الشارع، فإنه ينافي المروءة، لإمكان الجواب: بأن لا دليل يثبت أنه كان في الشارع، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد يكون في الحجرة، ويكون علي «عليه السلام» في حجرة أخرى، أو في الدار..

لكننا نشير إلى مؤاخذات أخرى، فنقول:

أولاً: ذكرنا في كتابنا هذا: أن لنا علامات استفهام حول استقامة دحية الكلبي، فقد بقي إلى زمان معاوية، ولم نسمع له ذكراً في حروب الجمل وصفين والنهروان، ولا رأيناه في جملة أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».

ونحن نعلم: أن معاوية لم يكن يدع وسيلة، إلا ويتشبث بها في

---

(١) الثاقب في المناقب ص٣١٢ و ٣١٣ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٦١ و ٢٦٢ وج٤ ص٢٠ و ٢١.

حربه لعلي «عليه السلام»، وكان بحاجة إلى أصغر رجل يسمى صحابياً ليكون معه. لكي يبرِّزه، ويتقوى به، مقابل علي «عليه السلام»، كما فعل بالنسبة للنعمان بن بشير، وغيره، فإذا استطاع أن يجند من كان جبرئيل يأتي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بصورته، ويدَّعون أن الناس قد رأوا جبرئيل على هذه الصورة، فإن معاوية لن يتوانى عن ذلك. ولن يدعه مقيماً في الشام دون أن يستفيد منه لمآربه.

ثانياً: إن سياق هذه الرواية لا يخلو من إيحاءات سلبية بالنسبة للحسنين «عليهما السلام»، فهل كان من أشهدهما النبي «صلى الله عليه وآله» على كتاب ثقيف، وربط أمن ومصالح، ومصير الناس بهما، وأخذ البيعة في بيعة الرضوان منهما، هل كانا يفتشان جيوب الناس، حتى لو كانوا أقرب الناس إليهما، فضلاً عن دحية الكلبي هذا، بحثاً عن التين، والخرنوب، والنبق؟!

وهل بلغ الأمر بهذين الإمامين، اللذين آثرا المسكين واليتيم، والأسير بطعامهما، وبقيا ثلاثة أيام صائمين نهارهما، ولا يذوقان غير الماء القراح في ليلهما، هل بلغ بهما الأمر في حب الدنيا أن يبحثا عن حبة نبق، أو خرنوب، أو نحوها في جيوب الناس، ثم يتبين أنهما قد أخطأا في تحديد الهدف؟!

ثالثاً: لماذا تعمد جبرئيل «عليه السلام» أن يأتي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» على صورة رجل يعرفه الناس، ويمنحه هذه الفضيلة مجاناً، من دون أن يكون له أي دور في صنعها، مع أن

الروايات حدثتنا عن ظهوره «عليه السلام» في صورة رجال غير معروفين مرات كثيرة؟!

وقد اشتهر أنه جاء في صورة رجل، وسأل علياً «عليه السلام»: أين جبرئيل في هذه الساعة، فنظر «عليه السلام» في السماء، ثم نظر إلى المشرق والمغرب، فلم يجد موطناً، فقال له: يا ذا الشيخ، أنت جبرئيل.

فصفق طائراً من بين الناس.

فضج من ذلك الحاضرون، وقالوا: نشهد أنك خليفة رسول الله حقاً حقاً(١).

رابعاً: إن جبرئيل قد أضاف السفرجل، والرمان على الخرنوب والنبق، كما لم يأتهم بالتين، فما الحكمة من تجاهل التين؟! والحال أن الحسنين «عليهما السلام» لم يبحثا في جيبه عن رمان وسفرجل، بل بحثا عن تين ونبق وخرنوب.

خامساً: لم نفهم المراد من قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «كل، وادفع إلي أوفر نصيب» هل أراد أن يقاسم علياً «عليه السلام» على الذي أخذه من ولديه؟!

---

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان ص٣٣ و ٣٤ وبحار الأنوار ج٣٩ ص١٠٨ عنه، وعن الفضائل لابن شاذان ص٩٨ و (ط أخرى) ص١٠٢ ومدينة المعاجز ج١ ص١١٢ عن البرسي.

ولو لم يكن في هذا غضاضة، فماذا نقول عن طلب النبي «صلى الله عليه وآله» من علي «عليه السلام» أن يخصه بالنصيب الأوفر؟! فهل ينسجم هذا مع أخلاق النبي «صلى الله عليه وآله» في إيثار غيره، ولاسيما علياً «عليه السلام» بكل ما يقدر عليه؟!

الباب الحادي عشر:

تكريم وتعظيم..

الفصل الأول:

لا يجير أحد على رسول الله ﷺ..

قريش تنقض العهد:

عرفنا أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عقد مع قريش عهداً في الحديبية، وقد نتج عن هذا العهد أن دخلت قبيلة خزاعة في عقد وعهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولكن قريشاً نقضت العهد، وأوقعت ببني نفاثة الخزاعيين، وقتلت منهم ثلاثة وعشرين قتيلاً. وقررت أن لا تعطي ديتهم، وإن أحرجت في هذا الأمر تبرأت ممن نقضوا العهد، وخلّت بينهم وبين النبي «صلى الله عليه وآله» ليتولى هو تحصيل الحق منهم.

ثم بادرت قريش إلى إرسال أبي سفيان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في المدينة، يطلب منه أن يشد العهد، ويزيد في المدة، وأبو سفيان يظن أن النبي لم يعلم بما جرى لبني نفاثة.

فلما طلب أبو سفيان من النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك سأله النبي «صلى الله عليه وآله» إن كان قد حدث حدث اقتضى هذا الطلب.

فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.

فقال «صلى الله عليه وآله»: فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.

فطلب أبو سفيان من أبي بكر، وعمر، وعثمان، وسعد بن عبادة، وعلي، وأشراف المهاجرين والأنصار: أن يشفعوا له عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يجبه أحد منهم.

فتوسل بالزهراء «عليها السلام»، ثم بالسبطين، الحسن والحسين «عليهما السلام»، طالباً منها ومنهما أن تجير، ويجيرا بين الناس، وكان الحسن غلاماً يدب بين يديها، فقالت: إنما أنا امرأة.

قال: قد أجارت أختك ـ يعني: زينب ـ أبا العاص بن الربيع، وأجاز ذلك محمد.

قالت: إنما ذاك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: مري ابنك هذا ـ أي الحسن «عليه السلام» ـ فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر.

قالت: والله ما بلغ ابني ذلك، أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي نص آخر أنها قالت: «ما يدري ابناي ما يجيران من قريش».

فطلب منها أن تكلم علياً.

فقالت: أنت تكلمه.

وكأنه يريد أن يستفيد من موقع الزهراء «عليها السلام» ليحصل من علي «عليه السلام» على ما يريد. فرفضت «عليها السلام» طلبه، لأنه لو كان يملك منطقاً صحيحاً، فلا يحتاج إلى وساطة أحد، فلماذا لا يبادر هو إلى إقناع علي «عليه السلام» بمنطقه؟! بل لماذا لا يبادر إلى إقناع النبي مباشرة به، ويلزمه بما هو حق.

ولكنه كان يعرف أنه يتعمد الباطل، وقد أراد أن يستفيد من الجو العاطفي، أو من دواعي النسب والقربى، والتماس رضا الأصحاب والأحباب، أو نيل الشهرة لتمرير خديعته، فباء بالفشل الذريع، والخزي المريع.

فكلم علياً «عليه السلام»، فقال له «عليه السلام»: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتئت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجوار الخ.. القصة.

وقد انتهت الأمور بعودة أبي سفيان خائباً(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣ و ٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص١٠٢ و ١٢٦ و ١٢٧ وج٢٢ ص٧٧ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٦٨ وإعلام الورى ج١ ص٢١٧ و ٢١٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٣٦٣ وراجع: تفسير البغوي ج٤ ص٥٣٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٢٤

ونقول:

إن الذي يهمنا هنا هو خصوص ما يرتبط بالحسنين «عليهما السلام».

أتتك بحائن(١) رجلاه:

أولاً: إن ابا سفيان قد وقع في تناقض واضح، فضح كيده، وأبطل مكره، وأبار جهده، حيث أراد أن يخدع الرسول والمسلمين في أمر لا يمكن الخداع فيه، فإن العهد الذي لم يجف مداده بعد لا يحتاج إلى تجديد، ولا إلى تمديد.

وأبو سفيان يدَّعي أن أحداً لم ينقض هذا العهد، فلا مبرر للحرب، فلماذا يحتاج إلى طلب الجوار لأجل منعها.

ولأجل ذلك سأله النبي «صلى الله عليه وآله» ـ العالم من خلال الوحي بمكرهم ـ: إن كان قد حصل ما يقتضي التغيير والتبديل في

والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٢٠ و ٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٠ و ٥٣٣ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٥٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٣ و ١٨٤ وراجع: الإرشاد ج١ ص١٣٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٢ وزاد المعاد ج١ ص١١٤٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧.

(١) هذا مثل يضرب لمن لا يوفق للرشاد. والحائن: الهالك.

العهد. فلما نفى ذلك.. أعلمه «صلى الله عليه وآله» بأن الأمر إن كان كذلك، فلا حاجة إلى التغيير والتبديل.

ولكن إصرار أبي سفيان على أن يحصل على جوار، وعلى تمديد للمدة كان يستبطن الاعتراف بنقض العهد. كما أن نفس مجيئه إلى المدينة للحصول على هذا الأمر يدل على حصول هذا النقض.

وعدم اعترافه بحصول شيء معناه: أنه يريد أن يستبق الأمور، ويضع النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين أمام أمر واقع، ويسد عليهم طريق المطالبة بالحق لأهله، وتصحيح الخطأ. وبذلك يتم تضييع حق المظلومين ومكافأة المجرمين.

كما أن هذا الجوار سوف يمنع من المطالبة بتسليم الجناة لمواجهة القصاص العادل.. فيذهب دم بني نفاثة المعتدى عليهم هدراً.

المنطق الجاهلي:

إن أبا سفيان أراد بهذا التحرك أن يجري الأمور وفق مفاهيم الجاهلية، وأن يلزم النبي والمسلمين بأحكامها الجائرة.

وقد أفهمه أمير المؤمنين «عليه السلام»:

أولاً: أن القرار كله لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قاعدة: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ**

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمِ)(١).

ثانياً: عرَّفه أن الإسلام لا يمكن أن يضيع دم المظلوم، استناداً إلى ترهات وخزعبلات تسعى لتأييد الظالم، وتصويب فعله، وحفظه وصيانته من أية مؤاخذة، أو المنع من أخذ الحق منه.. ولذا قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأبي سفيان: «والله لقد عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه».

وأفهمه ثالثاً: أن على أبي سفيان أن يفهم بعد هذا أن الاحتيال على الرسول «صلى الله عليه وآله» لا يجديه نفعاً.. وعليه أن يعلم من خلال هذا التلميح الذي هو كالتصريح: بأنه «صلى الله عليه وآله» عالم بحقيقة ما يخفيه من مكر وغدر..

ورابعاً: عليه أن يفهم من كلمة أمير المؤمنين «عليه السلام» هذه: أن ما يخفيه أبو سفيان لا يمكن ان يخفى على من هو مسدد بالوحي.. وأن الخبر اليقين عند الرسول، وأنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ قراره فيه، وأنه قرار حاسم لا يمكن التراجع عنه.

العواطف والمجاملات تضيِّع الحقوق:

وقد أظهرت الوقائع في هذه القضية: أن منطق أبي سفيان القاضي بالتوسل بالإثارات العاطفية، وبالمجاملات والكلام المعسول، وجعله ذريعة لتضييع حقوق المظلومين، وتكريس ظلم الظالم المجرم

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

لن يجديه نفعاً، فهو أمام قرار من نبي معصوم، لا يخدع، ولا يحابي على حساب الحق والدين.

نعم.. لقد حاول أبو سفيان أن يضرب على هذا الوتر حين قال لعلي «عليه السلام»: «يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني جئت في حاجة، فلا أرجع كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى محمد».

ولكن علياً أيضاً لا يمكن أن تخدعه هذه الخزعبلات، بل يلتزم بمنطق الإسلام وأهله القائم على نصرة صاحب الحق وضرورة حفظ حق المظلوم، ولزوم الاقتصاص له من ظالمه.. سواء أكان بعيداً أم قريباً، كبيراً أم صغيراً.

لعل فاطمة ÷ تخضع للمؤثرات:

وحين لم يجد لدى علي «عليه السلام» بغيته، ربما لأنه ظن أن علياً «عليه السلام» يتصلب في موقفه انطلاقاً من تاريخ شريف وكريم مثقل بالقتال والحروب، دفاعاً عن الدين والحق، ظناً من أبي سفيان أن حنق علي «عليه السلام» لا يبقى أي مجال للمرونة أو التساهل مع من لم يزل يبغي لهم الغوائل، ويحيك المؤمرات.

ولعله فهم من كلام علي «عليه السلام»: أن أمره مفضوح، وأن علياً «عليه السلام» لن يخدع بأباطيله.

فلجأ إلى من ظن أنها أكثر بعداً عن حقيقة ما يجري، وأنها أقرب إلى الانسياق إلى منطق العواطف، وأكثر خضوعاً للمغريات، وتأثراً بأساليب الإطراء والثناء، واستسلاماً لعبارات الاستعطاف، والتظاهر

بالحاجة والضعف.

فعرض عليها أن تجير بين الناس. فجاءه الجواب بالإباء والرفض، مرفقاً بحجة دامغة، وهي: أنها امرأة، وليس للمرأة أن تتدخل فيما يرجع أمره إلى غيرها، ولا أن تحرج الرجال بما يرون أن المصلحة فيه بخلاف ما تريد أن تلزمهم به، ولعلهم يعرفون أموراً لم تبلغها.

اعتراض أبي سفيان:

وربما يكون أبو سفيان قد وجد الفرصة ـ بزعمه ـ لإحراج الزهراء «عليها السلام»، فقال لها: إن مجرد كونها امرأة لا يمنع من أن تجير الناس، فإن أختها زينب قد أجارت زوجها أبا العاص بن الربيع، وأجاز النبي «صلى الله عليه وآله» جوارها.

فجاء الجواب: بأن زينب إنما أجارت زوجها على رسول الله، وهو «صلى الله عليه وآله» الذي يقرر القبول، أو يقرر الرد.

ولكن ما يطلبه أبو سفيان من فاطمة «عليها السلام» هو أن تحرج أباها في أمر غامض ومبهم المآل، ولا يرتبط بالنبي «صلى الله عليه وآله» من جميع الوجوه، فكيف يصح أن تلزم أباها بهذا الجوار، ولعل الأطراف الأخرى لا ترضى بالالتزام بما ألزمت به أباها، أو أن تلك الأطراف تريد أن تتخذ ذلك ذريعة لتضييع حق، أو نصرة باطل.. فيكون هو «صلى الله عليه وآله» ملزماً، ويكون غيره حراً طليقاً لا يرى نفسه ملزماً بأمر لم يتوجه إليه، ولا رضي به أو صادق عليه.

مري ابنك فيجير!!:

وحين سُدَّت أمام أبي سفيان سبل حمل الزهراء «عليها السلام» على الاستجابة لطلبه، اقترح عليها أن تأمر ابنها الحسن بأن يتولى هذا الأمر دونها.

وقدم لها إغراء يرغب فيه أهل الدنيا، وهو: أن ولدها إذا فعل هذا سيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

وهذا هو منطق أهل الباطل، فإنهم يريدون أن يذهب دم المظلوم هدراً، وأن يعطى الظالم مكافأة على جرائمه، ولو بأن يعطى من يساهم في هذا الإجرام وسام العظمة والشهرة والسيادة.

أما الإسلام، فيريد عكس هذا تماماً، كما أوضحته الزهراء «عليها السلام» لأبي سفيان، حيث أبلغته: إن كلامه في غاية الركاكة والسقوط.

أولاً: لأن موضوع الجوار ليس مجرد عنوان قشري وصوري لا واقع له، كما يعتقد أهل الجاهلية.. بل هو في الإسلام موقف يلتزم به الشخص المجير، ويرتب عليه مسؤوليات، وتنشأ عنه مهمات، فقد يحتاج المستجير إلى الحماية، وإلى الدفاع عنه، وتحصيل الأمان والسكينة، والطمأنينة. وقد يحتاج إلى بذل مال، أو إلى المجالدة بالسيوف، أو تقديم تضحيات.

ولعل هذا هو ما قصدته فاطمة الزهراء «عليها السلام» بقولها لأبي سفيان: «والله ما بلغ ابني ذلك، أن يجير بين الناس» .

وقد أقسمت بالذات الإلهية ليعرف أبو سفيان أن الأمر ليس مجرد شكليات، وعناوين فارغة.

ثانياً: إنه لا يصح أن يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي ينصف المظلوم من ظالمه، ويأخذ له حقه، ولا يظلم عنده أحد.

فما معنى أن يجار عليه إذا كانت الحالة هي هذه؟! فإنك إنما تجير المستجير لكي تمنع من لحوق الظلم الذي به ممن يخاف منه، فإن كان هذا المستجير ظالماً أو مجرماً، فإجارته تعني حماية ظلمه، وتضييع حق المظلوم، وتقوية الظالم ومعونته من أفحش الظلم.

ما يدري ابناي ما يجيران:

ثم أضافت السيدة الزهراء «عليها السلام» دليلاً ثالثاً على صحة ما قررته، فقد قالت لأبي سفيان: «ما يدري ابناي ما يجيران من قريش».

فإن هذا يدل على خطأ أبي سفيان في تقديراته حتى عند نفسه، فكأنها «عليها السلام» تقول له: إنك إما جاهل، أو أنك تتجاهل، لكي تخدع نفسك، أو تخدع غيرك.

فإن الحسن والحسين بنظرك مجرد طفلين صغيرين لا يدريان ـ بزعمك ـ ما يجيران من قريش، فإنهما لا يعرفان المقصود بالجوار، ولو عرفا معنى الجوار، وأنه هو التكفل بعدم القبول بتعرض شيء بعينه لأي سوء من قبل من يجار عليه..

فهما لا يعرفان ما الذي يراد حفظه من عدوان النبي «صلى الله عليه وآله» ـ والعياذ بالله ـ من قريش.

هل يراد حفظ مال قريش، أو حفظ مقامها، أو رجالها، أو حفظ المجرمين منها.. أو حفظ المجرم والبريء على حد سواء، أو مجرد حفظ أعراض القرشيين؟! الخ..

فإن كل ذلك لا يمكن أن يعتدي عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي هو رمز العدل، وعنوان الكمال والفضل.

وأما حماية المجرم الظالم والمعتدي الآثم، من أن يقتص منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويجري عليه أحكام الله، فذلك لا يمكن أن يقدم عليه أحد من الناس، فإن جميع الناس يجب ان يسعوا للاقتصاص من المعتدي. ويفترض فيهم: أن يكونوا عوناً للنبي «صلى الله عليه وآله» على إقامة حدود الله.

فأبو سفيان يعتقد: أن الحسنين «عليهما السلام» طفلان لا يقدران على حماية أحد.. كما أنه يعلم: أن حماية الظالم من القصاص، ومنع الأنبياء من إجراء أحكام الشريعة لا يقدم عليه عاقل، يحترم نفسه، حتى لو لم يكن معتقداً بالله، وبأنبيائه وشرائعه.

كما أنه يراهما طفلين لا يملكان من الإدراك والتمييز ما يمكنهما من معرفة ما يقدمان عليه..

وذلك كله يدل على أن أبا سفيان بصدد الخداع والتضليل، أو التجهيل والتغفيل.

هذا كله مع غض النظر عما أثبتته كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأيدته الوقائع، من أن الحسنين «عليهما السلام» أفضل وأكمل من عيسى ويحيى «عليهما السلام»، وأن لديهما من العقل والعلم، والعصمة، والوعي، وسائر صفات الكمال والفضل، ما لا يقاس به أحد.

الفصل الثاني:

النبي ﷺ ساقي العطاشى..

يرتويان من لسان النبي صلى الله عليه وآله:

روي عن علي «عليه السلام» أنه قال: عطش المسلمون عطشاً شديداً، فجاءت فاطمة بالحسن والحسين إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقالت: يا رسول الله، إنهما صغيران، لا يحتملان العطش.

فدعا الحسن، فأعطاه لسانه، فمصه حتى ارتوى.

ثم دعا الحسين، فأعطاه لسانه، فمصه حتى ارتوى(١).

ونقول:

علينا أن نلاحظ ما يلي:

الزهراء ÷: يا رسول الله!!:

إن أول ما يواجهنا في هذا النص الأمور التالية:

الأول: أن الزهراء «عليها السلام» لم تخاطب النبي «صلى الله عليه وآله» من موقع كونها ابنته، وهو أبوها، فلم تقل له: يا أبت، أو

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٦ وشرح الأخبار ج٣ ص٥٢٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٧٦.

يا أبتاه.

كما أنها لم تخاطبه بما له من مقام النبوة، فلم تقل له: يا نبي الله. بل اختارت مخاطبته بما هو رسول. فقالت: «يا رسول الله»!!

فهل هناك من سبب دعاها إلى مخاطبته على هذا النحو؟!

الثاني: إنها لم تطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً محدداً.

بل هي لم تذكر له اسم الحسنين «عليهما السلام» مثلاً.

ولم تذكر، ولم تشر إلى أنهما ابناه «صلى الله عليه وآله».

ولم تقل له: إنهما يعانيان من عطش، أو من جوع، أو أي شيء آخر.

بل اكتفت بإحضارهما إليه، ثم قالت: «إنهما صغيران، لا يحتملان العطش».

الثالث: قد كان يمكنها أن تكتفي بعبارة: «إنهما لا يحتملان العطش»، فلماذا أضافت إلى ذلك كلمة «صغيران»؟!

ويجاب عن السؤال الأول:

١ ـ إن العطش كان قد شمل جميع المسلمين، وكان شديداً. كما صرحت به الرواية، وليس للنبي في مثل هذه الحالة أن يخص أحداً من أهل بيته وأبنائه، وأرحامه بما يحرم منه سائر الناس. فإن ذلك ينافي سنة العدل، وفضيلة الإيثار على النفس. نعم، لو تبرع أحد من المسلمين

بنصيبه، كان إيثاراً مقبولاً ومحبوباً.

فلو أنها قالت له: يا أبتاه خص ولديك هذين بشيء من الماء، ثم أجاب طلبها، وفعل لوجدنا الكثيرين يتضايقون من هذا الفعل، ولراودتهم الشكوك والشبهات حول عدله، وإنصافه، وسلامة قراراته، وبعده عن الهوى والعصبية، وسلامته من عاهات أهل الجاهلية.

٢ ـ إنها لو خاطبته بالنبوة، التي تعني الإخبار عن الله سبحانه، من خلال الوحي، فإن استجابته لطلبها سوف تفهم على أنه قد تلقى من الله أمراً أبلغه إياه جبرئيل، يقضي بتمييز الحسنين «عليهما السلام» عن سائر العطاشى، وفيهم من هو في سن الحسنين، أو أصغر، أو أكبر، أو أقوى، أو أضعف. وسيثير ذلك حسرة الناس الذين قد يعجز الكثيرون منهم عن تفسير هذا التصرف الإلهي القاضي بتخصيص عطشان بالماء، وحرمان عطشان آخر منه، مع أن ذلك الغير قد يرى نفسه أحوج منه إلى الماء.

وربما أثار هذا شبهات وشكوكاً حول الحكمة والعدل الإلهي أيضاً، لاسيما من قبل أناس يعيشون مفاهيم الجاهلية، ولم يعرفوا الكثير من حقائق الإسلام.

٣ ـ إنها حين خاطبت أباها بكلمة: يا رسول الله، فإنها تكون قد وضعته «صلى الله عليه وآله» أمام مسؤولياته الشرعية والعقلية تجاه الأمة والرسالة، والعمل على حفظها، وحفظ كل من تحتاج إليه في البقاء والاستمرار، لأن الرسالة حق، ولطف، وضرورة لا بد منها،

ولا غنى عنها، لحفظ الأمة، وسلامة مسارها، وأي إخلال في حفظها سيكون تفريطاً بالأمة أفراداً وجماعات، وإلقاء بهم إلى التهلكة.

فإذا كان الحسنان «عليهما السلام» هما من الأركان التي يحفظ بها بناء الإسلام الشامخ، ويصان بها كيان الأمة، فيجب العمل على حفظهما ممن تكفل بحفظ الرسالة بهما.

ولا يحتاج هذا العمل إلى وحي إلهي، لأنه حكم العقل الصريح، والتدبير الصحيح، وهو مقتضى الحكمة، وقضاء الفطرة الذي لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه.

ويجاب عن السؤال الثاني:

إنها «عليها السلام» لم ترد توصيف الواقع بتقديم صورة تجريدية عنه، بل أرادت أن تقدم الواقع كما هو، ليكون هو الذي يعبر عن نفسه.

ولو أنها قدمت توصيفاً لأجاز كل واحدٍ من الناس لنفسه أن يتناول هذا التوصيف، على النحو الذي يروق له، ويطبقه على حالته، وربما لا يجدون فرقاً يذكر يميز الحالة التي تعرضها، وتطلب علاجها عن بقية الحالات القائمة لدى الآخرين.

فلو أنها سمت الحسنين «عليهما السلام» بأسمائهما، فكل طفل عطشان له اسم، وإن طلبت لهما ماءً، فكل عطشان يشتاق إلى الماء لنفسه، أو لولده.. وإن وصفتهما بأنهما ابنا الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو أبوهما، فجميع الأطفال العطاشى أبناء ولهم آباء.

ويجاب عن السؤال الثالث:

بأن قولها: إنهما صغيران لا يحتملان العطش، فيه إشارة إلى لازم الفائدة، دون أن تصرح بالفائدة مباشرةً. وهي دعوى مقترنة بالدليل. فصغر الحسنين «عليهما السلام» في السن دليل على صحة قولها: «إنهما لا يحتملان العطش».

وإذا جاءت الدعوى مقترنة بالدليل كانت أقوى في الحث على الإجابة بالإيجاب.

الكرامة الإلهية:

إن معاناة المسلمين ومقاساتهم البلاء والعناء بسبب العطش الشديد الذي حل بهم. بسبب قلة المطر الذي انتاب تلك المنطقة، يبدو أن ذلك هو الذي دعا الناس إلى الطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله تعالى ليغيثهم بالمطر.. فأكرم الله سبحانه رسوله باستجابة دعائه، فجاءهم الغيث الغزير والمتواصل، حتى ضج الناس من كثرة ما نزل منه بساحتهم، فطلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يتدخل للحد من هطوله.. فاستجاب الله تعالى له «صلى الله عليه وآله»..

فإن كانت قصة عطش الحسنين «عليهما السلام» قد حصلت في هذه المناسبة، فإن ذلك كله سيشكل دلالة تلو أخرى على ما لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من مقام وكرامة عند الله تعالى..

لماذا لم يعطه ماءً؟!:

وقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد تصرف هنا بما هو رسول، حافظ للدين، وللأمة في وجودها، وفي سلامة تفكيرها، وصحة انطباعاتها، واستفاد من الكرامة التي منحه الله إياها، لكي يوظفها في حفظ الرسالة، ويهيّئ لبقائها.

فكانت معجزة ارتوائهما «عليهما السلام» من لسانه الشريف، التي أكدت للناس عظيم فضلهما، وشدة حاجة الدين والناس إليهما. وأن لهما عند الله مقاماً خاصاً لا تناله الأوهام، ولا تصل إليه الأفهام..

ولكنه مع ذلك، لم ينبس ببنت شفة، بل كان الفعل هو الذي يقول، ويؤكد، ويستدل، ويشير إلى المعاني بصورة تلقائية..

لقد حفظ «صلى الله عليه وآله» أركان الإمامة بعد أمير المؤمنين «عليه السلام»، دون أن يفسح المجال أمام أي كان من الناس ليعترض، أو ليدور بخلده شبهة، أو سؤال، فكان فعله «صلى الله عليه وآله» هو الجواب الواضح، والصافي من أية شائبة، والكافي عن أي بيان، والشافي للنفوس من كل ريب، أو رين.

لقد ارتوى الحسنان من دون أن يرزأ المسلمين قطرة ماء واحدة، لعلها لو ترقرقت في فم الحسن أو الحسين «عليهما السلام» تصادف من يتحسر عليها، ويود لو انها كانت ترقرقت في فمه، لأنه قد يحسب نفسه أحوج من غيره إليها.. وكثير من الناس يفكرون بهذه الطريقة.

هل يجزع النبي صلى الله عليه وآله ؟!:

١ ـ حين استشهد النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، كان مما رثاه به أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع قبيح إلا عليك»(١).

٢ ـ إن الجزع نقيض الصبر على المكاره والشرور. أي أن عظم المصاب يجعل كل بكاءٍ وحزنٍ حسناً ومرضياً، لأنه يكون دون ذلك المصاب، وأقل مما ينبغي أن يكون.

وفقد إبراهيم، وجعله فداءً للحسين «عليه السلام» يدل على أن البكاء والجزع عليه يبقى أقل مما يفرضه فقده من ألم وأسى، ويجعل الحزن عليه جميلاً، لاسيما وأنه لو عاش لكان نبياً، لكن الأمر لا يبلغ بالنبي حد عجز النبي «صلى الله عليه وآله» عن الصبر على مصابه به.

٣ ـ إن الذي يذكر في كثير من المصادر: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال حين مات ولده إبراهيم: «تدمع العين، ويحزن القلب،

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٧١ وبحار الأنوار ج٧٩ ص١٣٤ ودستور معالم الحكم ص١٩٨ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص١٥٠ وغرر الحكم ص١٠٣ ونهاية الأرب ج٥ ص١٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٩٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص١٩٥.

ولا نقول إلا ما يرضي الله تعالى، والله إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»(١).

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٠ وج١١ ص٢٣ عن مسلم، وأبي داود، وابن سعد، وأحمد، وعبد بن حميد، والطبراني، وراجع: ابن ماجة، وابن عساكر، عن أسماء بنت يزيد، وبكير بن عبد الله، وراجع: الذكرى للشهيد الأول ج٢ ص٤٧ والحدائق الناضرة ج٤ ص١٦٣ وكشف الغمة (ط ق) ج١ ص١٥٨ والكافي للكليني ج٣ ص٢٦٢ ودعائم الإسلام ج١ ص٢٢٤ وتحف العقول ص٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٨٠ و (الإسلامية) ج٢ ص٩٢١ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٣٨٥ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٤٦٣ ومكارم الأخلاق ص٢٢ وذخائر العقبى ص١٥٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٩٤ وغوالي اللآلي ج١ ص٨٩ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص٥ و ٩٣ و ٩٤ والبحار ج١٦ ص٢٣٥ وج٢٢ ص١٥٧ و ٢٦٤ وج٢٤ ص٢٦٤ وج٦٥ ص٥٤ وج٧٤ ص١٤٠ وج٧٩ ص٩١ و ١٠١ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٠٥ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٨١ ومسند أحمد ج٣ ص١٩٤ وصحيح البخاري ج٢ ص٨٤ وصحيح مسلم ج٧ ص٧٦ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٠٦ وسنن أبي داود ج٢ ص٦٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٦٩ وعمدة القاري ج٨ ص٧٥ و ١٠١ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٥٥٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٦٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٨٥ والإعتبار لابن أبي الدنيا ص٤١ وكتاب الهواتف لابن أبي الدنيا ص٣٨ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٤٣ وصحيح ابن حبان ج٧ ص١٦٢ والمعجم الأوسط ج٨ ص٣٤٦ والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٧١ ومعرفة السنن والآثار ج٣

أو قال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، والله يا إبراهيم، إنا بك لمحزونون»(١).

ص١٩٨ والإستذكار ج٣ ص٧١ والإستيعاب ج١ ص٥٥ و ٥٧ و ٥٨ والتمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص٢٨٤ وج٢٤ ص٤٤٣ وتغليق التعليق ج٢ ص٤٧٢ وراجع: كنز العمال ج١٥ ص٦١٥ و ٦٢١ و ٦٢٥ وفيض القدير ج٢ ص٧١٧ وج٣ ص٢٩١ وج٦ ص٤٧٣ وكشف الخفاء ج٢ ص١٥٦ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٣٦٠ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٧٤ وج٤ ص٢٦٢ وتفسير القرطبي ج٩ ص٢٤٩ وفتح القدير ج٣ ص٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٩ و ١٤٥ وج١٠ ص١٠٧ وأسد الغابة ج١ ص٣٩ ووفيات الأعيان ج٢ ص٣٠٢ وتاريخ الإسلام ج٢ ص٦٩٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ و ٣٣٢ وج٦ ص٣٠٥ وج٧ ص٨٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٢٣ و ٣٣٨ و ٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٤ و ٦١٥.

(١) راجع: الكافي ج٣ ص٢٦٢ و ٢٦٣ ودعائم الإسلام ج١ ص٢٢٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٨٠ و (الإسلامية) ج٢ ص٩٢١ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ ومسكن الفؤاد ص٩٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص١٥٧ و ٢٦٤ وج٢٤ ص٢٦٤ وج٦٥ ص٥٤ وج٧٩ ص٩٠ و ٩١ و ١٠١ ومرآة العقول ج١٤ ص٢٦٧ والجامع الصغير ج١ ص٣٩٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٥ ص٦٠٩ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦٢١ وفيض القدير ج٢ ص٧١٧ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٣٦٠ والاستيعاب (ط دار الجيل) ج١ ص٥٧ وسبل الهدى

٤ ـ لكن الرواية المتقدمة برقم [١] ذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جزع لموت إبراهيم جزعاً شديداً . وقد قلنا: إن الجزع القبيح هو الذي لا يتناسب مع حجم المصيبة، بل قد يتعدى الأمر الحدود المعقولة، إذا تضمن استعظام المصاب إلى حد الاعتراض على الله، وعدم الرضا بوقوعه. فهذا الجزع لا يصدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي يكون دائماً راضياً بقضاء الله وقدره.

فالمراد بالجزع الذي جزعه «صلى الله عليه وآله» على إبراهيم

والرشاد ج١١ ص٢٣ والمعجم الأوسط ج٨ ص٣٤٦ والمعجم الكبير ج٨ ص٢٣٠ وج٢٤ ص١٧١ وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص١٣٤ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٧٢٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٤ ص٣٨٣ وأنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٤٥٢ و ٤٥١ وج٨ ص١١٦ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٨٣٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩٤ والتذكرة الحمدونية ج٤ ص٢٤٤ والضوء اللامع للسخاوي ج١ ص٥٤ والمستطرف للأبشيهي ج٢ ص٨٥٨ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٨ وراجع: سنن ابن ماجة ج١ ص٥٠٦ ومجمع الزوائد ج٣ ص١٧ و ١٨ وعمدة القاري ج٨ ص٧٥ و ١٠١ والتمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص٢٨٤ وتفسير النسفي ج٢ ص٢٠١ وفتح القدير ج٣ ص٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٤٢ و ١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٩ وج١٠ ص١٠٧ وفتوح مصر وأخبارها ص١٢٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ و ٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٤ وغاية المرام ج٣ ص٣٠١ .

هو الحزن القلبي الشديد، المتناسب مع حجم المصاب، وإن لم يدرك الناس العاديون هذا التناسب بسبب نظرتهم السطحية، وعدم معرفتهم بمستقبل هذا الولد.

ولعل هذا مراده بالجزع في قوله «صلى الله عليه وآله»: «القلب يجزع»، فإن القلب هو موضع الحزن والأسى.. أما استعظام المصاب، والرفض له إلى حد الاعتراض على الله ـ والعياذ بالله ـ فهو نتيجة توتر نفساني زائد على الحد المعقول والمقبول، وقد يكون قد لجأ إلى هذا التصرف عن سابق علم وتفكير وتدبير، لدوافع وحسابات دنيوية باطلة، وليس هو من ثمرات الحزن الذي هو مجرد انفعال نفساني، وتوهج عاطفي خال من الشوائب.

النبي يسقي الحسن فقط:

روى الخدري، وروى جماعة، عن أم سلمة، وعن ميمونة، واللفظ له، عن علي «عليه السلام» قال: رأينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أدخل رجله في اللحاف أو في الشعار، فاستسقى الحسن، فوثب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى منيحة لنا، فمص من ضرعها، فجعله في قدح، ثم وضعه في يد الحسن.

فجعل الحسين يثب عليه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يمنعه.

فقالت فاطمة: كأنه أحبهما إليك يا رسول الله.

قال: ما هو بأحبهما إلي، ولكنه استسقى أول مرة. وإني، وإياك، وهذين، وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد(١).

قال المجلسي «رحمه الله»:

«المنيحة بفتح الميم والحاء، وكسر النون منحة اللبن، كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك، يحتلبها ثم يردها عليك.

وقال الجزري: فيه: أنا خاتم النبيين في أم الكتاب، وإن آدم لمنجدل في طينته. أي ملقى على الجدالة، وهي الأرض، ومنه حديث ابن صياد: وهو منجدل في الشمس. انتهى. ولعله «عليه السلام» كان متكئاً أو نائماً(٢).

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

النبي يبادر ولا يكتفي بإصدار الأوامر:

تقول الرواية المتقدمة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» بمجرد أن أدخل رجله في اللحاف، واستسقى الإمام الحسن «عليه السلام»

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ و ٢٨٤ عن أحمد بن حنبل، والإبانة لابن بطة، وعن الأربعين للمؤذن، وشجرة طوبى ج٢ ص٢٥٦ و ٢٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٧٦ و ٢٧٧.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ و ٢٨٤.

بادر بنفسه لإجابة طلبه، ولم يكلف علياً «عليه السلام»، ولا أمر ابنته فاطمة «عليها السلام» بأن تجيب طلب ولدها.

ولو أنه فعل ذلك، لما كان فيه أي حرج، لأن كل من وجه طلبه إليه سيكون مسروراً، فهو النبي والرسول، والجد، والأب، والمربي، والمحامي عن هذا الجمع كله..

فحرصه «صلى الله عليه وآله» على أن يلبي طلب الإمام الحسن «عليه السلام» بنفسه.. ربما كان سببه أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بذلك. وأن يظهر مكانة هذين الشبلين، وأبويهما عند الله، بالإضافة إلى أمور أخرى قد نوفق للوقوف عليها.

ليس الحسن أحب إليه:

إن توثب الحسين «عليه السلام» طلباً للمشاركة في الماء الذي حصل عليه أخوه لم يكن عفوياً، بل ربما كان توطئة وتمهيداً لبيان أمر يرتبط بموضوع العدالة، ورعاية حق الأسبقية حتى بين الأطفال.

وبذلك يلغي الذريعة التي تؤدي إلى مناصرة الصغير، وإيثاره بالماء والعطاء على أخيه، فإنها ذريعة لا تستند إلى مبرر، سوى الانفعال العاطفي، الناشئ عن ملاحظة صغر السن، واعتباره سبباً كافياً لنقض الأولوية الطبيعية، التي أنتجتها الحاجة الطبيعية للماء، التي دفعت الابن الأكبر، وهو الإمام الحسن لطلب الماء.

في حين أن إصرار الأصغر على الاستئثار بالماء لنفسه، قد لا

يكون ناشئاً عن حاجة ملحة مماثلة للماء، فقد يكون الدافع لذلك ـ عند غير الإمام طبعاً ـ هو الغيرة، أو الرغبة بالعبث والتلهي بالماء، الذي يمنع منه عادة، فيرى الآن أن الفرصة قد سنحت له، وأن حصول أخيه على الماء يبرر حصوله هو عليه.

التمهيد للبيان:

فجاءت الضابطة التي قررها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لتؤكد لزوم رعاية الحق الطبيعي بالأسبقية بالطلب، الكاشف عن وجود حاجة حقيقية.

ولنا الحق هنا بأن نفسر وثوب الحسين على أخيه لأجل القدح بأنه قد كان على سبيل التوطئة العملية لصدور هذه الضابطة التي قررها الرسول «صلى الله عليه وآله»، لأن الحسين إمام معصوم، وعارف، وعادل، وحكيم، وعالم منذ صغره.

كما أن لنا الحق ونحن نعتقد بعصمة السيدة الزهراء «عليها السلام»، وبعلمها ومعرفتها، وعقلها وحكمتها أن نرى قولها لأبيها «صلى الله عليه وآله» عن الإمام الحسن «عليه السلام»: كأنه أحب إليك يا رسول الله!! لا يدل على أنها «عليها السلام» قد اعتقدت بذلك في حق الرسول «صلى الله عليه وآله». كما أنه ليس كاشفاً حقيقياً عن زيادة حبه للحسن «عليه السلام» على حبه للحسين «عليه السلام»، بل هو أيضاً توطئة وتمهيد للتصريح بهذا الأمر البديهي، الذي قرره الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» بقوله: «ما هو بأحبهما إليّ،

ولكنه استسقى أول مرة».

ويؤكد ذلك: علمنا بأن الزهراء «عليها السلام» تعرف أن أباها «صلى الله عليه وآله»، وهو خير الخلق أجمعين، كان لا يميز بحبه بين الحسن والحسين.

ولو فرضنا جدلاً: أنه يحب أحدهما أكثر من الآخر، ولو بمقدار ذرة، فلا بد من تبريره بما هو مقبول ومعقول.

يضاف إلى ذلك: أن عدله، وإنصافه، لا يسمح له بأن يميز بينهما في مقام العمل. ولا أن يشعر أياً منهما بهذا التمييز، إلا إن كان ذلك في سياق تحريض الطرف الآخر على استجماع الصفات الحميدة، والمزايا الفريدة، التي تساويه بأخيه، فتجعلهما في مستوى واحد.

وهذا يبقى مجرد فرض لا واقع له، بل لا مبرر له بالنسبة للرسول «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بالحسنين «عليهما السلام».

في مكان واحد يوم القيامة:

وذكرت الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن قرر أن الحق هو للحسن «عليه السلام». أضاف إلى ذلك قوله للسيدة الزهراء «عليها السلام»: «وإني، وإياك، وهذين، وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد».

فعلينا أن نستفيد من هذه الإضافة:

ألف: إن دخول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى بيت أخيه وزوج ابنته، لا يحتم جلوس علي «عليه السلام» طيلة الوقت، لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يدخل عليهما وهما نائمان، ويأمرهما بالاستمرار في نومهما.

ب: إنه «صلى الله عليه وآله» حين أضاف كلامه الأخير، وهو قوله: «وإني، وإياك، وهذين، وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد» أراد أن يقول: إن ما ذكر على لسان السيدة الزهراء «عليها السلام»، من احتمال أن يكون الحسن «عليه السلام»، أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وكذلك دعوى أن يكون الحق للإمام الحسن «عليه السلام». لا يعني أن فاطمة «عليها السلام» قد اخطأت في تصورها، ولا يدل على أن الحسين «عليه السلام» قد جانب الصواب في طلبه وتوثبه، وأن الاختلاف إذا حصل في الدنيا، فهو غير حاصل في الآخرة.. لأن هذا ليس اختلافاً واقعياً، بل هو طرح للاحتمالات لمعالجتها على بساط البحث، لأنها احتمالات تدور بخلد الناس العاديين.

وقد باشر «صلى الله عليه وآله» معالجة هذه الاحتمالات بصورة عملية حية، مرتبطة بوقائع عينية، ولم يكتف بالافتراض الذهني، ولا اعتمد على إطلاق النظرية بصورة تجريدية، وعلى شكل فكرة لا ربط لها بالواقع.

ج: إنه «صلى الله عليه وآله» قد قرر:

أولاً: أن الخمسة جميعاً الذين كانوا حاضرين في البيت في تلك اللحظة، سيكونون في الاخرة أيضاً في مكان واحد، وأن اختلافاً كهذا ليس واقعياً لكي يؤثر على واقعهم في الآخرة أيضاً.

ثانياً: إن الحسنين «عليهما السلام» كانا لا يزالان صغيري السن، فلولا أنه «صلى الله عليه وآله» قد علم بالوحي الإلهي بما سيكون عليه حالهما طيلة حياتهما، وأنه لن يعرض على حالهما أي تغير أو تبدل سلبي لما أخبر «صلى الله عليه وآله» بذلك. وهكذا يقال بالنسبة لعلي والزهراء «عليهما السلام».

ومن المعلوم: أنه «صلى الله عليه وآله»، لا يعلم الغيب بالذات، فلا بد أن يكون قد تلقى ذلك بالوحي عن الله عز وجل، فإنه لا **(يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى)**(١).

فهذا الإخبار إنما هو إعلام للأمة بعصمة هؤلاء، وأن بإمكان كل أحد الركون إليهم، والأخذ منهم وعنهم، والاقتداء بهم، من صغرهم إلى كبرهم.

د: يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: إن هؤلاء الخمسة سيكونون في مكان واحد يوم القيامة، ولكن ذلك لا يعني أن درجات نعيمها ستكون واحدة. إذ لا ريب في أن النبي «صلى الله عليه وآله» أفضل من الزهراء «عليها السلام» ومن الحسنين «عليهما السلام»،

---

(١) الآيتان٣ و ٤ من سورة النجم.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» إنما يزيد على علي «عليه السلام» بدرجة النبوة الخاتمة، كما أن علياً «عليه السلام» يزيد على ولديه بالفضل والكرامة.

وهذا معناه: أنهم، وإن كانوا في مكان واحد في الجنة، لكن درجة الإحساس بالنعيم تختلف وتتفاوت بحسب اختلاف المقامات في الفضل، والكرامة الإلهية، فيجعل الله تعالى درجة إحساس كل واحد منهم تابعة لدرجاته في العلم والمعرفة، ولمستوى إيغاله وتعمقه، وسعة اطلاعه على أحوال وأسرار الملكوت، ودرجة تفاعله معها في مشاعره، وفي عبوديته لله تبارك وتعالى.

الفصل الثالث:

تكبيرات الإفتتاح..

التكبيرات السبع في أول الصلاة كيف شرعت؟!:

إن الروايات تذكر: أن الحسين «عليه السلام» كان السبب في تشريع التكبيرات السبع التي تفتتح بها الصلاة، ونذكر من الروايات الدالة على ذلك ما يلي:

١ ـ محمد بن الحسن بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن النضر وفضالة جميعاً، عن عبد الله بن سنان، عن حفص يعني ابن البختري، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في الصلاة وإلى جانبه الحسين بن علي، فكبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يحر الحسين «عليه السلام» بالتكبير، ثم كبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يحر الحسين التكبير، فلم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكبر ويعالج الحسين «عليه السلام» التكبير، فلم يحر حتى أكمل سبع تكبيرات، فأحار الحسين «عليه السلام» التكبير في السابعة.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: فصارت سنة.

ورواه الصدوق في (العلل) عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن

أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد مثله. إلا أنه ترك ذكر حفص(١).

٢ ـ محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر «عليه السلام» أنه قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الصلاة، وقد كان الحسين «عليه السلام» أبطأ عن الكلام، حتى تخوفوا أنه لا يتكلم، وأن يكون به خرس.

فخرج به «عليه السلام» حامله على عاتقه، وصف الناس خلفه، فأقامه على يمينه، فافتتح رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصلاة، فكبر الحسين «عليه السلام»، فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» تكبيره عاد فكبر، فكبر الحسين «عليه السلام» حتى كبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبع تكبيرات، وكبر الحسين «عليه السلام»، فجرت السنة بذلك.

ورواه في (العلل) عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٢٠ و ٢١ وتهذيب الأحكام ج٢ ص٦٧ وعلل الشرائع (باب ٣٠) ص٣٣١ وراجع: مجمع البحرين ج٣ ص٢٧٩ ومستمسك العروة ج٦ ص٧٠ والحدائق الناضرة ج٨ ص٢٣ ومصباح الفقيه ج١١ ص٤٦٣ ـ ٤٦٥ وكتاب الصلاة للشيخ محمدعلي الآراكي ج١ ص٤٧١.

نحوه(١).

ونفس هذا الحديث مروي عن الإمام الحسن «عليه السلام»(٢). ولعل سبب هذا الاختلاف هو التصحيف بسبب تقارب رسم كلمتي «الحسن» و «الحسين» مع قلة الاعتناء بالنقط في تلك الحقبة.

٣ ـ ويؤيد هذه الرواية أيضاً: ما ذكره اليعقوبي، من أنه قيل للحسين:

«ما سمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال «عليه السلام»: سمعته «صلى الله عليه وآله» يقول: إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها (سفاسفها). وعقلت عنه: أنه يُكَبِّر، فَأُكَبِّر خلفه، فإذا سمع تكبيري أعاد التكبير، حتى يكبر سبعاً الخ..»(٣).

---

(١) ملاذ الأخيار ج٣ ص٥٠٢ ومصباح الفقيه ج١١ ص٤٦٣ ـ ٤٦٩ وتهذيب الأحكام (باب ١١) من صلاة العيدين، وسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٢١ و ٢٢ وعلل الشرايع ص٣٣٢ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١٩٩ و (ط أخرى) ص٣٠٥ و ٣٠٢ وراجع المصادر التي في الهامش التالي.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٧٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٥٧ وجامع احاديث الشيعة ج٦ ص٢٦٣ ومستدرك الوسائل ج٦ ص١٢٧ والنجعة شرح اللمعة ج٢ ص٣١٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٦.

هل الروايتان متناقضتان؟!:

وأول ما يقفز إلى ذهن قارئ هاتين الروايتين هو سؤال: أليست هاتان الروايتان متناقضتين، ولا يمكن الجمع بينهما؟!

ولا نقصد بقولنا هذا اختلافهما في الاسم، حيث إن إحداهما تنسب القضية إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، والأخرى تنسبها إلى الإمام الحسين «عليه السلام».

بل المقصود: أن إحداهما تقول: لم يحر الحسين التكبير إلى المرة السابعة، والثانية تقول: إنه «عليه السلام» قد أحرى التكبير من المرة الأولى.

ولأجل ذلك وجدنا العلماء قد حاولوا الجمع بين الروايتين كل على حسب ما خطر بباله، ونذكر من ذلك:

ألف: قال الشيخ النمازي: «ولعل عدم إنطاق الله عز وجل للحسين «عليه السلام» كان في هذا المورد الخاص لإجراء السنة بسببه»(١). انتهى.

ونقول:

قد يسجل على هذا القول مؤاخذة مرة، لا شك في أن الشيخ النمازي لا يقصدها، وهي:

١ ـ أن معناها: أن إجراء السنة مطلوب حتى لو لزم من ذلك

---

(١) مستدرك سفينة البحار ج٩ ص١٨.

إخراس الإمام الحسين «عليه السلام»، والانتقاص من مقامه، بل قد يقال: إن لازم عدم تمكنه من النطق بالتكبير من المرة الأولى، بعد أن أصبح قادراً على أن يأتي إلى المسجد، ويصلي مع الناس، هو الإخلال بشرط السلامة والكمال والتقدم على غيره في الأحوال والملكات.

والمفروض: أن العرف يرى أن نطق المولود بالكلمات في وقت مبكر من ظواهر تقدمه، ومن تجليات كمالاته، ومن أسباب الإعجاب به، واعتباره أشد ذكاءً، وأقوى عقلاً، وأن هذا امتياز يسجل له.

٢ ـ وماذا يفعل الشيخ النمازي نفسه بتكلم المعصومين وعيسى بن مريم منهم، وهم في المهد، والحسين «عليه السلام» أفضل من عيسى، بل قد ورد في الأخبار تكلمهم وهم في بطون أمهاتهم.

أجاب صاحب البحار عن هذا:

بأنه لعل ذلك كان عند الناس، فإن الناس هم الذين تخوفوا ذلك على الحسين أن يكون به خرس، ولم يكن التخوف من النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا من أهل بيته «عليهم السلام»(١).

ونجيب:

بأنه إن كان الحسين «عليه السلام» قد تأخر في كلامه حقيقة. فهذا يعد نقصاً فيه ـ والعياذ بالله ـ، وهو موضع الإشكال، وليس

---

(١) الحدائق الناضرة ج٨ ص٢٤.

الإشكال في تحديد الذي خاف عليه الخرس، هل هو الناس، أم هم أهله؟!

وإن كان «عليه السلام» يتكلم، فنحن نسأل هل كان يتكلم أمام أهله فقط، ولم يكن يتكلم أمام الناس؟! وعن سبب ذلك؟! فإن كان خجلاً، فهل الكلام نفسه بما هو لفظ وصوت يوجب الخجل؟!

أو هو يخجل من المضمون؟!

ولماذا يخجل هو، ولا يخجل أخوه الإمام الحسن «عليه السلام»؟!

أو أنه كان يتكلم، لكنهم لم يعرفوا بكلامه، لأنه كان محبوساً مثلاً، لا يخرج إلى الناس أبداً؟! فكيف إذن عرف الناس أنه لا يتكلم، وخافوا عليه؟!

وإن كان يخرج إلى الناس وهو بهذه الحالة، فإن كان الناس يسألون أهله عن سبب سكوته، فكيف وبماذا كان يعتذر أهله إليهم؟! أم يعقل أن لا يبادر أحد للسؤال عن سبب هذا الأمر؟!

ب: لعل المراد: أن الحسين «عليه السلام» وإن كبر في كل مرة، إلا أنه لم يفصح بها إلا في المرة الأخيرة، وبهذا يجمع بين الخبرين(١).

غير أننا نلاحظ على هذا التوجيه أيضاً:

---

(١) الحدائق الناضرة ج٨ ص٢٤.

١ ـ أن عدم الإفصاح هذا قد أدى إلى اتهامه بالعجز عن النطق.. فلماذا لم يكن يفصح؟!

٢ ـ إن الرواية نفسها تصرح بخلاف هذا الوجه، لأنها تقول: إنه «عليه السلام» قد أبطأ عن الكلام حتى تخوفوا أن لا يتكلم، وأن يكون به خرس.

ج: ومن التوجيهات التي ذكرت هنا: أن المقصود بـ «لم يحر التكبير»: هو أن الله سبحانه قد تركه يلثغ في الستة، حتى ألهمه، فنطق السابعة (الله أكبر)، بدون لثغ الأطفال(١).

ولكن يناقش في هذا: بأن كلمة «لم يحر التكبير» معناها: أنه لم ينطق به على الوجه المقبول، وكما ينبغي أن يكون عليه.. فيبقى الأمر في دائرة النقص. والإشكال إنما هو من هذه الجهة.

د: قال صاحب الحدائق: إنهم «عليهم السلام» في مقام إظهار المعجز لهم حالات غير حالات الناس، وأما في غير ذلك، فإنهم يقدرون أنفسهم بالناس في صحة ومرض وغناء، وفقر، ونزول بلاء، ونحو ذلك.

وهذا من جملته، فإنهم «عليهم السلام» لا ينطقون إلا إذا أنطقهم الله تعالى كما ينطق سائر الصبيان، ولا يطلبون منه إلا ما يقدره ويرده، فليس لهم إرادة زائدة على إرادته تعالى بهم «عليهم السلام»،

---

(١) الحق المبين في معرفة المعصومين ص٢٠٣.

وإن كانوا لو شاؤوا لفعلوا ما يريدون.

وهذا هو الجواب الحق في المقام، لا يعتريه نقض وإبرام(١). انتهى.

ونجيب:

بأن ما ذكره صحيح في نفسه، ولكن لا على إطلاقه، بل هو محدد بحدود، ومقيد بقيود، تجعل من انطباقه على هذا المورد أمراً غير ظاهر، بل غير حاصل، لأن الكبرى الكلية، وهي: أن إرادتهم لا تخرج عن إرادة الله سبحانه، وإن كانت مسلمة، ولا ريب فيها.. ولكن الله تعالى لا يمكن أن يريد ما يوجب الإخلال بمرامه، وينتهي بنقض غرضه، فهو تعالى هنا يريد للناس أن يعتقدوا بالإمامة وبالإمام، ثم يكون من شرط الإمام أن يكون سليماً من العاهات، بريئاً من النقائص والآفات، وأن يكون أكمل البشر، وأجمعهم لمزايا الفضل والكرامة، ومتقدماً عليهم في كل المزايا، وجميع خصائص الإمامة.

وأن تكون هذه الأكملية والأفضلية له في جميع الفئات العمرية.

ولا يمكن أن يريد هذا، ثم يريد أن يمنع هذا الإمام من النطق مدةً مديدة، تجعل الناس يتخوفون من أن يكون به خرس.

فإنه إذا أراد هذا مع كونه قد أراد ذاك يكون ـ والعياذ بالله ـ قد أغرق الناس بالجهل، ودعاهم إلى الخروج من الحق إلى الباطل، لأنه

---

(١) الحدائق الناضرة ج٨ ص٢٤.

يكون قد زين لهم أن هذا الذي يخبرهم النبي «صلى الله عليه وآله» بإمامته ـ قام أو قعد ـ فاقد لشرائط الإمامة، بل هذا يدخلهم في دائرة الشك في صدق النبي «صلى الله عليه وآله» في ما يخبرهم به عنه.

إلا إذا صرح لهم: بأن هذا التميز على الآخرين في مراحله العمرية ليس شرطاً للإمامة، بل قد يكون هناك من هو أعلم وأجمل، وأفصح، وأكمل منه في كل المراحل إلى أن يحين وقت إمامته.

وهذا ما لم يحدث، ولا أظن أن أحداً يرضاه، ويلتزم به.

هـ: وأريد أن أختصر الطريق على القارئ الكريم لأقول له: إن الذي يدور بخلدي: هو أن الوجه الأمثل للجمع بين هاتين الروايتين هو: أن يكون المراد يتمحور حول الحقيقة التالية:

إنه لا بد للنبي والإمام من أن يكون متميزاً عن جميع أقرانه من فاقدي هاتين الصفتين في جميع فئاته العمرية: وإن الله تعالى أراد أن يفعل بالإمام الحسين «عليه السلام» أمراً يهيؤهم فيه لمواجهة أمر هام يبقى مذكوراً، ومتداولاً فيهم، ثم في الأمم والأقوام من بعدهم إلى يوم القيامة.

ومن الطبيعي أن يكون هذا الأمر الذي يفعله به «عليه السلام» عارضاً، ومفاجئاً، وطارئاً عليه، ويترقبون تفسيره، وكشف سره، وبيان سببه.

فإذا كان الناس يعرفون أن الإمام الحسين «عليه السلام» هو الأفصح بين أقرانه بعد أخيه الإمام الحسن «عليه السلام»، وهم

يعرفون ذلك بالممارسة والعيان، فإنهم يرونه، ويعيش بينهم، فإذا امتنع عليه النطق بالتكبير فجأة، ثم انطلق لسانه به بعد تكرار تكبير جده ست مرات، فإن الأمر سيثير الأسئلة الكثيرة والملحة، وطلب الإجابة عليها من كل من حضر، ومن سمع.

فإذا كانت النتيجة هي الإعلان بأن الله تعالى قد جعل هذه السبع تكبيرات سنة في افتتاح الصلاة، كرامة من الله للإمام الحسين «عليه السلام»، وجعل ذلك سنة تثاب الأمة على فعلها إلى يوم القيامة. فإن ذلك يظهر ليس فقط لمن عاش في ذلك الزمن، بل لكل قوم وجيل في طول الدنيا وعرضها ممن ولد، أو سيولد إلى يوم القيامة، وسيظهر أن مقام الإمام عند الله لا يمكن قياسه بالأعداد، والأرقام، والأشكال والأحجام.

وأن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» حقيقة قائمة لا مجال للمراء ولا للريب فيها.

كما أن هذا الأمر يظهر خصوصية وأثراً ظاهراً للإمام الحسين «عليه السلام» في وجدان وضمير، وخلوص وإخلاص الناس، ويجعل له تأثيراً مباشراً في تربيتهم إيمانياً، وفي دعوتهم إلى الله تعالى، وأداء واجباتهم التي يعود نفعها ـ أولاً وأخيراً ـ إليهم.

ولعلك تقول: إن ما ذكرته إنما هو تفسير للرواية التي ذكرت أن الحسين لم يحر التكبير إلا في المرة السابعة، ولكنه لا يحل مشكلة التعارض بين هذه الرواية وبين الرواية الأخرى التي تقول: إنه قد

كبر التكبيرات السبع كلها، ولم يتلعثم، ولا تلكّأ في شيء منها.

فيجاب: بأن من الجائز أن يكون هذا الأمر قد تكرر مرتين:

الأولى: بالصلاة المكتوبة اليومية.

والثانية: في صلاة العيد.

فقد روى الشيخ «رحمه الله»: عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن علي «عليه السلام»، قال:

ما كان يكبر النبي «صلى الله عليه وآله» في العيدين إلا تكبيرة واحدة، حتى أبطأ عليه لسان الحسين «عليه السلام»، فلما كان ذات يوم عيد ألبسته أمه «عليها السلام»، وأرسلته مع جده، فكبر «صلى الله عليه وآله» فكبر «عليه السلام»، حين كبر «صلى الله عليه وآله» سبعاً.

ثم قام في الثانية، فكبر «صلى الله عليه وآله»، وكبر «عليه السلام» حتى كبر خمساً، فجعلها «صلى الله عليه وآله» سنة، وثبتت السنة إلى اليوم(١).

وقد احتمل بعض العلماء: أن تكون الرواية في الصلاة اليومية مع الإمام الحسين «عليه السلام»، والرواية في صلاة العيد مع الإمام

---

(١) تهذيب الأحكام ج٣ ص٢٨٦ باب ١١ من صلاة العيدين، وروضة المتقين ج٢ ص٧٥١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٧ ص٤٣٧ و ٤٣٨ و (الإسلامية) ج٥ ص١٠٨ وسنن النبي للطباطبائي ص٢٧٨.

الحسن «عليه السلام».

وهو احتمال يحتاج إلى شاهد. إذ لماذا لا يكون العكس؟! ولماذا لا يكون كلاهما للحسن مثلاً، أو للحسين «عليهما السلام»؟!

الروايات الأخرى:

وهناك روايات ذكرت: أن ثمة أسباباً أخرى لجعل التكبيرات في افتتاح الصلاة سبعاً، فقد روي:

١ ـ عن الإمام الكاظم «عليه السلام» أنه حين سئل عن ذلك، قال:

«إن الله خلق السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، والحجب سبعاً. فلما أسري بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى، رفع له حجاب من حجبه، فكبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعل يقول الكلمات التي تقال في الافتتاح، فلما رفع له الثاني كبر، فلم يزل كذلك حتى بلغ سبع حجب، فكبر سبع تكبيرات.

فلذلك العلة يكبر في الافتتاح (للافتتاح) في الصلاة سبع تكبيرات[1].

---

(١) علل الشرايع ج٢ ص٣٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٢ ومن لا يحضره الفقيه باب ٤ من أبواب الصلاة، ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٢٣ و (الإسلامية) ج٤ ص٧٢٢ و ٧٢٣ وبحار الأنوار ج١٨ ص٣٦٩ وج٨١ ص٣٥٥ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٤٨٩ وتفسير نور

٢ ـ عن الإمام الرضا «عليه السلام» قال: «إنما صارت التكبيرات في أول الصلاة سبعاً، لأن أصل الصلاة ركعتان ركعتان، وافتتاحهما بسبع تكبيرات: تكبيرة الافتتاح، وتكبيرة الركوع، وتكبيرتي السجدتين، وتكبيرة الركوع في الثانية، وتكبيرتي السجدتين.

فإذا كبر الإنسان في أول الصلاة سبع تكبيرات، ثم نسي شيئاً من تكبيرات الافتتاح من بعد، أو سها عنها، لم يدخل عليه نقص في صلاته(١).

فقد يقال: فإذا ضممنا هاتين الروايتين إلى روايتي الحسنين «عليهما السلام» يظهر التناقض والاختلاف بصورة أوضح وأتم..

ولنا أن نجيب على هذا بوجهين، ينسجم أحدهما مع الآخر، ويقبل الاندماج فيه:

أولهما: أن تكريم الحسن، أو الحسين «عليهما السلام»، وتعريف الأمة بما لهما من مكانة وفضل عند الله، وبما في متابعة خطهما، وحفظ نهجهما، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل ذلك من فوائد وعوائد لا تحصى ـ إن ذلك ـ لن يذهب هدراً، وفيه مصلحة كبرى

الثقلين ج٣ ص١٢٦ وتفسير كنز الدقائق ج٧ ص٣٣٠.

(١) راجع: من لا يحضره الفقيه (ط جماعة المدرسين) ج١ ص٣٠٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٢٢ و (الإسلامية) ج٤ ص٧٢٢ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص١٥٦ ومنتقى الجمان ج٢ ص٨.

للأمة كلها.

ولكن هذا، وإن كان أهم عنصر في علة التشريع، إلا أنه لا يعني أنه لا يوجد أيضاً في هذا العمل منافع أخرى، يكون لها حظ من القصد بالتشريع، لكي تحصل الأمة على تلك النافع.

وقد أشار الشيخ الصدوق إلى هذا حيث قال: «وهذه العلل كلها صحيحة، وكثرة العلل للشيء تزيده تأكيداً، ولا يدخل هذا في التناقض»(١).

الثاني: أن التعليلات الأخرى قد تكون صدرت بهدف حفظ هذه الكرامة الإلهية للإمام الحسين في ظروف بالغة الصعوبة، حيث كان الحكام الأمويون والسياسيون لا يألون جهداً في سفك دماء بني هاشم، وكل من يتشيع لهم، أو ينسب إليهم، أو يسير على خطهم.

فقد قتلوا الحسين بالذات، وسبوا آل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، بعد أن قتلوا أخاه الإمام الحسن بالسم، وبعد أن قتل أبوه أمير المؤمنين ـ ربما بدسيسة منهم أيضاً ـ بسيف ابن ملجم المرادي.

ثم تتبعوا باقي الأئمة، وسائر الذرية بنفس السياسة، ثم جاء العباسيون، فكان بطشهم أكثر هولاً، وأعظم أثراً، فقد عدوا على قبر الحسين «عليه السلام» بالهدم، وعلى زواره بالملاحقة، والقتل، والتنكيل، والتشريد، وبقطع الأيدي، وبغير ذلك..

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٥ ص١٨ و (ط جماعة المدرسين) ج١ ص٣٠٦.

ومن الواضح: أن أية عبارة أو إشارة إلى فضل، أو تقدم، أو علو مقام لأهل البيت «عليهم السلام» ستواجه بأشد أنواع البطش، فما بالك برواية فضائلهم «عليهم السلام»، وما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقهم؟!

وقد عرفنا ما جرى لابن السكيت حيث قال له المتوكل: أيهما أفضل عندك؟! ابناي هذان؟! أم الحسن والحسين؟!

فقال له: والله، إن شعرة من قنبر خادم علي خير منك ومن ولديك(١).

وحين بلغ هارون الرشيد أن منصور النميري قال:

آل النبي ومن يحبهم يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى واليهود وهم من أمة التوحيد في أزل

أمر أبا عصمة الشيعي بأن يخرج من ساعته إلى الرقة، ليسل

(١) النجوم الزاهرة ج٢ ص٣١٨ وراجع: وفيات الأعيان ج٦ ص٣٩٧ و ٣٩٨ وسير أعلام النبلاء ج١٢ ص١٨ وقاموس الرجال ج٩ ص٤٦٠ وج١١ ص١٢٨ عن السيوطي في الطبقات، والكنى والألقاب ج١ ص٣١٤ و ٣١٥ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٨٣ وعن بهج الصباغة ج٣ ص٣٣٨ وج٩ ص٣٨٣ عن المعجم، وتاريخ الخلفاء ص٣٤٨ وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج١٨ ص٥٥٢ وفلك النجاة للحنفي ص١٠٠.

لسان منصور من قفاه، ويقطع يده ورجله. ثم يضرب عنقه، ويحمل إليه رأسه، بعد أن يصلب بدنه، فخرج أبو عصمة لذلك، فلما صار بباب الرقة استقبلته جنازة النمري، فرجع إلى الرشيد فأعلمه.

فقال له الرشيد: «ويلي عليك يا بن الفاعلة، فألا إذا صادفته ميتاً فأحرقته بالنار»(١).

وقد هوجم الطبري في داره، ورمي داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم، لأنه روى حديث الطير(٢).

وبعدما تقدم نقول:

إذا ترددت رواية السبع تكبيرات، وتداولها الناس، وظهر أنها صريحة بفضل الإمام الحسين «عليه السلام» سواء في العيدين أو في الصلاة اليومية، فلا بد أن تبدأ الملاحقات المريرة، وستنتشر الجرائم المفجعة والخطيرة في كل اتجاه.

وسترى أن الحكام سيسقطون هذه التكبيرات من قاموسهم،

---

(١) طبقات الشعراء ص٢٤٤ و ٢٤٦ وراجع: زهر الآداب هامش ج٢ من المستطرف ص٢٤٦ والشعر والشعراء ص٥٤٧ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول ج١ ص٢٥٤ وراجع: قاموس الرجال ج١١ ص٥٢٦ وج١٢ ص١١٥.

(٢) راجع: معجم الأدباء ج١٨ ص٥٨ والوافي بالوفيات ج٢ ص٢١٤ الرجال للتستري ج٩ ص١٥٢.

وستصبح التهمة برواية أخبارها نحراً من الوريد إلى الوريد، وستكون ممارستها من أسباب القتل والتشريد، وستحرم الأمة من بركات هذا التشريع..

فإذا ذكرت عدة علل، فيمكن أن تتوزع الأمور، ويبقى التشريع سارياً حتى عند غير الشيعة.

وهذا ما حصل بالفعل، فإن في مذاهب أهل السنة من يصلي العيدين بالتكبيرات السبع في الأولى، والخمس في الثانية(١).

فحيثية حفظ حظٍ من الحياة لهذا الحكم الشرعي هي التي فرضت الإشارة إلى فوائد وحِكَمٍ أخرى تترتب عليه.

وقد ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» حالة مشابهة تماماً لهذه الحالة، وهي قصة تحويل بني

---

(١) الموطأ لمالك ج١ ص١٨٠ والتمهيد لابن عبد البر ج١٦ ص٣٨ والشرح الكبير لابن قدامة ج٢ ص٢٣٨ و ٢٣٩ والمحلى لابن حزم ج٥ ص٨٤ وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد ج١ ص١٧٣ ونيل الأوطار ج٣ ص٣٦٧ والمجموع للنووي ج٥ ص١٥ و ١٧ وروضة الطالبين ج١ ص٥٧٨ والإقناع للشربيني ج١ ص١٧٣ و ٣١٠ و ٣١٢ ومواهب الجليل ج٢ ص٥٧٢ والجوهر النقي للمارديني ج٣ ص٢٨٨ والمغني لابن قدامة ج٢ ص٢٣٨ والاستذكار لابن عبد البر ج٢ ص٣٩٤ ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص٢٦١ وفيض القدير ج٣ ص٣٧٣ وكتاب الأم للشافعي ج١ ص٢٧٠.

أمية القبلة عن الكعبة الشريفة إلى بيت المقدس، وذلك في أيام حكومة ابن الزبير، حيث إن ابن الزبير الذي استولى على الحجاز، ثم على العراق صار يحدث الناس في موسم الحج بمثالب بني أمية.

فتضايق الحكام الأمويون، ومنعوا الناس من الحج إلى مكة، وأمروهم عوضاً عن ذلك بالحج إلى بيت المقدس، وبنوا قبة على الصخرة، وزخرفوها بالأحجار الكريمة، وجعلوا الصخرة بديلاً عن الكعبة، وبنوا لهم مسعى، وجعلوا لهم منى وعرفات، وخصصوا مكاناً للنحر(١).

واستمر الناس يحجون إلى بيت المقدس على هذا المنوال عدة سنوات.

ثم إنهم من خلال عاملهم على العراق الحجاج بن يوسف قد حولوا قبلة مساجد العراق إلى جهة بيت المقدس عوضاً عن مكة، وقد بنى الحجاج مدينة واسط، وجعل مسجدها على بول حمار راهب(٢)،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٦١ والبداية والنهاية ج٨ ص٢٨٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٣٠٨ و ٣٠٩ ووفيات الأعيان ج٣ ص٧٢ وحياة الحيوان ج١ ص٦٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٥٨ ومآثر الإنافة ج١ ص١٢٩.

(٢) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٩ ص٦٣ والروض المعطار للحميري ص٥٩٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٢٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص١٨٤ و ١٨٥ والكامل في التاريخ

وجعل قبلته إلى بيت المقدس أيضاً.

فلأجل ذلك يذكر المؤرخون: أن عبد الملك حين أرسل أسد بن جاني قاضياً على مدينة واسط، وقدمها أسد، دخل المسجد ليصلي، فوجد قبلته رديئة جداً، فتحرى جهة القبلة وصلى إليها، فثار فيه أهل واسط، وقالوا هذا رافضي، وأرادوا البطش به. ولم يتخلص من أيديهم إلا بعد أن قيل لهم: إن هذا قاضيكم الذي أرسله عبد الملك، فكفوا عنه(١).

وقد ذكر الجاحظ في رسالة مفاخرة بني هاشم وعبد شمس عبارة مفادها: وتفخر بنو هاشم أنهم لم يحولوا القبلة(٢). فدل ذلك على أن هذا الأمر قد حصل فعلاً.

فترى أن تحري القبلة التي هي الكعبة والصلاة إليها ما أسرع ما صار يعد جريمة يعاقب عليها، وتهيج العامة ضد من فعل ذلك، متهمين إياه بالرفض.

ولأجل ذلك رأينا: أن الأئمة الذين يريدون حفظ الإسلام وحفظ أهل الإيمان، وهم شيعتهم المتمسكون به قد أمروا شيعتهم من أهل

ج٤ ص٤٩٦ ونهاية الأرب ج٢١ ص٢٦٢ و ٢٦٣ وراجع: تاريخ ابن خلدون ج٣ ص٥٤.

(١) نشوار المحاضرات ج٦ ص٣٦ وتاريخ بغداد ج٧ ص١٦.

(٢) آثار الجاحظ ص٢٠٥.

العراق خصوصاً بالتياسر.

فكان هذا الأمر مستغرباً. إذ لماذا التياسر؟! ولماذا أهل العراق فقط؟! فكانوا «عليهم السلام» حينما يسألون عن ذلك يذكرون عللاً لا تشير إلى موضوع تغيير القبلة، لأن الإشارة إلى ذلك ستكلفهم وتكلف شيعتهم ثمناً باهظاً جداً، فكانوا يقولون مثلاً: إن الحرم في مكة ليس على شكل دائري، وإنما فيه جهة أطول من جهة بالقياس إلى الكعبة.

فيذكرون هذا الأمر فقط، وهو صحيح في نفسه، ولكن من المعلوم: أن الذي يكون في العراق، ويبعد آلآف الكيلومترات عن مكة إذا تياسر بمقدار سنتيمتر واحد سيصير منحرفاً عن الكعبة أكثر بكثير من مقدار التفاوت في الحرم من جهتي الكعبة.

ولا شك في أن من يسمع الحكم باستحباب التياسر، سوف لا يتياسر سنتيمتراً واحداً. بل سيتياسر بمقدار فتر أو شبر، فكم ستكون النقطة التي سينتهي إليها توجهه بالقياس إلى موازاة الكعبة؟!

فصار واضحاً: أن هذا الحكم كان مرحلياً ومرهوناً بالعهد الأموي لا أكثر ولا أقل.

وربما يصح أن نطلق عليه أنه طريق تخلص من البغي الأموي بنحو ذكي.

الباب الثاني عشر:

الفصول الأخيرة في العهد النبوي..

الفصل الأول:

الإخبار باستشهاد الحسين ×..

رؤيا فاطمة ÷:

١ ـ [محمّد بن سليمان]، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبدالله، قال: حدّثنا عبيدالله بن موسى العنسيّ، عن فطر بن خليفة: عن أنس بن مالك، قال:

رأت فاطمة في منامها أنّ أعرابيّاً أقبلَ معه شاة حتّى دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ، فقال له النّبيّ: يا أعرابيّ! اذبح، فذبح، ثمّ قال: اسلخ، ففعل، ثمّ قال: حزّ، فحزّ، ثمّ قال: اطبخ، فطبخ.

ثمّ قال للحسن والحسين: قوما فكلا.

فقاما وأكلا، فلمّا أكلا ماتا!

فانتبهت فاطمة رضي الله عنها من منامها فزعةً مذعورةً، فلمّا أصبحت غدت إلى أبيها لتُعلمه برؤياها.

فلمّا صارت ببعض الطّريق إذ [هي] بالأعرابيّ بعينه معه تلك الشّاة بعينها، فدخلا على رسول الله ««صلى الله عليه وآله وسلم» »، فلمّا دخلا تبسّم النّبيّ ««صلى الله عليه وآله وسلم» »، وقال كما رأت فاطمة في منامها، ثمّ قال النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»

للأعرابيّ: اذبح، ففعل، ثمّ قال: اسلخ، فسلخ، ثمّ قال: حزّ، فحزّ، ثمّ قال: اطبخ، ففعل.

ثمّ قال للحسن والحسين: قوما فكلا.

فقالت فاطمة: يا أبتا! أحبّ أن تعفيهما، فما حرم رؤياي شيء إلّا أن يأكلا ثمّ يموتا!

ثمّ قال النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: لا بأس عليهما.

ثمّ قال لهما: قوما فكلا.. فقاما فأكلا.

ثمّ التفت النّبيّ «عليه السلام» عن يمينه، فقال: يا رؤيا يا رؤيا!

فأجابه صوت ولم أرَ الشّخص، وهو يقول: لبّيك وسعديك يا رسول الله.

فقال له النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: ما الّذي أريت فاطمة في منامها؟ فقصّ عليه القصّة كلّها ولم يذكر الموت.

فنادى النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا حلّام يا حلّام!

فأجابه: لبّيك وسعديك يا رسول الله.

قال: ما الّذي أريت بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»؟

فقال: والّذي بعثكَ بالحقِّ نبيّاً ما لقيتها البارحة.

فنادى: يا ضغّاث يا ضغّاث!

فأجابه: لبيّك وسعديك يا رسول الله!

قال: ما الّذي أريتَ فاطمة في منامها؟

قال: أريتها أنّ الحسن والحسين ماتا!

قال: فما أردتَ بذلك؟

قال: أردتُ أن أحزنها!

فقال النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: اعزب أحزنك الله تعالى واحمد ربّك.

ثمّ التفتَ النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى فاطمة رضي الله عنها، فقال: أجزعتِ إذ رأيتِ موتهما؟!

فكيف لو رأيتِ الأكبر مسقيّاً [بالسّمِ] «والأصغر مُلطّخاً بدمه في قاع من الأرض يتناوبه السِّباع؟

قال: فبكت فاطمة، وبكى عليّ، وبكى الحسن والحسين.

فقالت فاطمة «صلوات الله عليها»: يا أبتا. أكفّار يفعلون ذلك، أم منافقون؟!

قال: بل منافقوا هذه الامّة [و] يزعمون أنّهم مؤمنون!

قالت: يا أبتا! أفلا ندعو الله عليهم؟

فقال النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم»: بلى. فقام في القبلة، وقام عليّ، والحسن والحسين، وقامت فاطمة خلفهم، ثمّ قنتَ بهم وقال في دعائه:

اللهمّ اخذل الفراعنة، والقاسطين، والمارقين، والنّاكثين، ثمّ اجمعهم جميعاً في عذابك الأليم.

ثمّ أنزل الله: (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبّكَ فَتَرْضَى**)(١).

ثمّ خرج النّبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى أصحابه، ثمّ قال: أيّها النّاس! إنّ الرّؤيا على ثلاثة، فالرّؤيا الصّادقة بُشرى من الله تعالى، والأحلام من حديث النّفس، والأضغاث من الشّيطان(٢).

٢ ـ قال على بن إبراهيم القمي «رحمه الله»: حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

كان سبب نزول هذه الآية(٣): أن فاطمة «عليها السلام» رأت في منامها أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» همَّ أن يخرج هو، وفاطمة، وعلي، والحسن والحسين «عليهم السلام» من المدينة، فخرجوا حتى جاوزوا من حيطان المدينة، فتعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات اليمين، حتى انتهى بهم إلى موضع فيه نخل وماء.

فاشترى رسول الله «صلى الله عليه وآله» شاة كبراء ـ وهي التي في إحدى أذنيها نقط بيض ـ فأمر بذبحها، فلما أكلوا ماتوا في مكانهم.

---

(١) الآية ٥ من سورة الضّحى.

(٢) مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» لمحمّد بن سليمان الكوفي ج٢ ص٢٧٨ ـ ٢٨٠ وراجع: بحار الأنوار ج٤٣ ص٩١ وج٥٨ ص١٦٦ عن تفسير العياشي ج٢ ص١٧٨.

(٣) أي الآية ١٠ من سورة المجادلة: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ).

فانتبهت فاطمة باكية ذعرة، فلم تخبر رسول الله بذلك.

فلما أصبحت جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحمار، فأركب عليه فاطمة «عليها السلام»، وأمر أن يخرج أمير المؤمنين، والحسن والحسين «عليهم السلام» من المدينة كما رأت فاطمة «عليها السلام» في نومها.

فلما خرجوا من حيطان المدينة عرض له طريقان، فأخذ رسول الله ذات اليمين كما رأت فاطمة «عليها السلام» حتى انتهوا إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله «صلى الله عليه وآله» شاة كبراء كما رأت فاطمة، فأمر بذبحها، فذبحت وشويت..

فلما أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحت ناحية منهم تبكي، مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى وقع عليها وهي تبكي، فقال: ما شأنك يا بنية؟!

قالت: يا رسول الله [إني] رأيت كذا وكذا في نومي، وقد فعلت أنت كما رأيته، فتنحيت عنكم، فلا أراكم، تموتون.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصلى ركعتين ثم ناجى ربه، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد هذا شيطان، يقال له الدهار، وهو الذي أرى فاطمة هذه الرؤيا، ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغتمون به.

فأمر جبرئيل فجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال له: أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا؟

فقال: نعم يا محمد، فبزق عليه ثلاث بزقات، فشجه في ثلاث مواضع.

ثم قال جبرئيل لمحمد: قل يا محمد إذا رأيت في منامك شيئا تكرهه، أو رأى أحد من المؤمنين، فليقل:

أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون، وأنبياؤه المرسلون، وعباده الصالحون، من شر ما رأيت، ومن رؤياي.

وتقرأ الحمد، والمعوذتين، وقل هو الله أحد، وتتفل عن يسارك ثلاث تفلات، فإنه لا يضره ما رأى.

وأنزل الله على رسوله: **(إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ)** الآية[١]»[٢].

وسند الرواية حسن.

قال العلامة المجلسي «قدس سره»:

ما رأيت الكبراء بهذا المعنى فيما عندنا من كتب اللغة[٣].

وتعرض الشيطان لفاطمة «عليها السلام»، وكون منامها المضاهي للوحي شيطانياً، وإن كان بعيداً، لكن باعتبار عدم بقاء

---

(١) الآية ١٠ من سورة المجادلة.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٩٠ و ٩١ وج ٥٨ ص١٨٧ ـ ١٨٨ وراجع: ج٧٣ ص١٩٨ وتفسير القمي ج٢ ص٣٣٥ والبرهان (تفسير) ج٧ ص٤٧٤.

(٣) بحار الأنوار ج٤٣ ص٩١.

الشبهة وزوالها سريعاً، وترتب المعجز من الرسول «صلى الله عليه وآله» في ذلك، والمنفعة المستمرة للأمة ببركتها، يقل الاستبعاد. والحديث مشهور ومتكرر في الأصول، والله يعلم(١).

ونقول:

وقفة مع النص:

تقول الرواية الأولى: إن النبي «صلى الله عليه وآله» نادى أولاً: يا رؤيا يا رؤيا!، ثم نادى ثانياً: يا حلّام يا حلّام!، ثم نادى ثالثاً: يا ضغّاث يا ضغّاث!

وسأل كل واحد منهم عن رؤيا فاطمة، فاعترف الثالث بأنه هو الذي أرى فاطمة ما رأته في منامها.

وقال: إنه أراد أن يحزنها بذلك..

ثم ذكر في آخر الرواية ما دل على أن الرؤيا تكون صادقة، وهي بشرى من الله تعالى، وقد تقدم أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد نادى: يا رؤيا يا رؤيا، فأجيب، فسأله عن رؤيا فاطمة.. فأجابه، ولم يذكر له موت الحسنين «عليهما السلام».

٢ ـ ثم ذكر قسماً آخر سماه الأحلام وهي من حديث النفس. والظاهر أنه هو المعني بندائه: يا حلام يا حلام. فأجيب، فسأله عن منام فاطمة، فذكر أنه لم يلقها البارحة.

---

(١) بحار الأنوار ج٥٨ ص١٨٨.

ولا بد من الإجابة على سؤال: أنه إذا كان الحلام هو قسم الأحلام التي هي حديث النفس، فكيف صار حديث النفس موجوداً يتكلم، ويجيب على أسئلة الرسول؟! إلا إن كان ذلك من قبيل التمثُّل.

٣ ـ ثم ذكر: أن القسم الثالث: أضغاث أحلام، وهي من الشيطان. والظاهر أن هذا هو المعني بندائه: يا ضغاث، يا ضغاث. فسأله عما رأته فاطمة. فاعترف بأنه هو الذي أراها ذلك من أجل أن يحزنها..

وهذا يدل على ما يلي:

١ ـ أن الشيطان قد تسلط على السيدة فاطمة.

٢ ـ ويدل على أن النبي قد نادى ذلك الشيطان، فأجابه بقوله: لبيك وسعديك، وهو جواب ودود، لا يتوقع صدوره من الشيطان تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وتقدم عن العلامه المجلسي «رحمه الله» استبعاد أن يكون منامها المضاهي للوحي شيطانياً. ثم ذكر ما رأى أنه يخفف من استبعاد هذا الأمر، وكأنه «رحمه الله» يريد: أن المنام المضاهي للوحي، هو منام النبي والإمام، أما لو كان هناك معصوم وليس بنبي ولا إمام، فقد يقال: إن الشيطان يمكن أن يؤذي هذا المعصوم في بدنه بالمرض والجوع، وأن يجلب له الهم والغم، ولو بأن يريه في المنام موت ولده، كما حصل للزهراء «عليها السلام».

ويبقى هنا سؤال يحتاج إلى جواب، وهو: أنه إذا كان الشيطان الذي يُري الناس في المنام أضغاث الأحلام، كيف أراها الأعرابي،

ومعه تلك الشاة، ثم رأت في اليوم التالي نفس الأعرابي ومعه نفس الشاة التي رأتها عينها؟!

ومن المعلوم: أن الشيطان لا يعلم ما يحدث في المستقبل، فكيف تطابقت أضغاث أحلامه مع ما يحدث في اليوم التالي؟!

هذا كله فيما يرتبط بالرواية الأولى..

أما رواية القمي، والتي قلنا: إن سندها حسن، إن لم نقل إنه صحيح، فبعض ما ذكرناه آنفاً يقال فيها أيضاً.

متى يقتل الحسين ×؟!:

إن مراجعة المصادر والنصوص تظهر مدى الجهد الذي كان يبذله رسول الله «صلى الله عليه وآله» لإعلام الأمة، وإيصالها إلى درجة البداهة واليقين فيما يرتبط بما يجري على الإمام الحسين «عليه السلام».

ويدل على أن قضية الإمام الحسين «عليه السلام» هي الموضوع الأكثر حساسية، والأخطر في تاريخ نشأة الإسلام، وفي بقائه، وأن التهاون في فهمها، والتقصير في التعاطي معها يجعل الإسلام في خطر شديد وأكيد، لأنه سوف يؤثر على الرؤية ووضوحها، فيما يرتبط بالأجيال القادمة عبر العصور والدهور.

وقد بلغت دقة التحديدات، والاهتمام ببيان التفاصيل والجزئيات حدوداً تجعل الإنسان المؤمن إذا اجتمع لديه هذا الكم الهائل منها قادراً على توقع أحداثها قبل وقوعها، وذلك لشدة وضوحها لديه.

ويا حبذا لو يحاول بعض الإخوة الباحثين رسم ما جرى بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أحداث منذ استشهاده «صلى الله عليه وآله» وإلى ما بعد سنة ستين.. من خلال النصوص التي صدرت عنه وعن أهل بيت النبوة «عليهم السلام» قبل وقوع تلك الأحداث بزمان طويل.

ولأننا لسنا بصدد القيام بهذا الأمر، بالرغم من عمق شعورنا بأهميته، فإننا لم نخل كتابنا هذا من بعض الإشارات واللمحات المشيرة إليه بوضوح، بهدف زرع الفكرة وتكريسها، للاستفادة منها في الموقع المناسب، حيث تمس الحاجة إليها..

ولكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى النص الذي يحدد فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة الاستشهاد، بالاستناد إلى التاريخ الذي وضعه الرسول نفسه، حيث روي عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال ـ كما روي عن أم سلمة ـ: «يقتل الحسين بن علي على رأس ستين من مهاجري»(١).

---

(١) المعجم الكبير (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٩٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٩٠ عن الطبراني، ولم يُطعن في سنده إلا في سعد بن طريف، وليس ذلك إلا لتشيعه حسبما صرحوا به، وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص١٨٥ و (ط٢ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية سنة ١٤١٤هـ) ص٢٧١ وفي هوامشه عن مصادر أخرى،

ونحب لفت نظر القارئ إلى أمور:

الأول: التصريح هنا باسم المقتول، وباسم أبيه أيضاً، ربما لكي لا يتعرض النص للتلاعب، بزعم أنه قد يكون المقصود شخصاً آخر اسمه حسين.

الثاني: كلمة «رأس ستين» حيث لم يقل: في سنة ستين، بل قال: «رأس ستين» ليأتي النص ملائماً للحسابات التي سوف يعتمدها هذا أو ذاك، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» وإن حدد يوم هجرته مبدأ للتاريخ. لكن هذا التحديد قد تعرض لانتكاسة مبكرة، حيث لم يرض الخليفة عمر بن الخطاب باعتماد ربيع الأول مبدأ للتاريخ الهجري. فأرجع الناس إلى شهر المحرم، الذي كان مبدأ السنة في الجاهلية.

فمن يعتمد ما فعله عمر، فإن الحسين قد استشهد بعد أن انتهت

وتاريخ بغداد ج١ ص١٤٢ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٧هـ) ج١ ص١٥٢ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٥٨ والإلمام ج٥ ص٢٩٩ وكنز العمال (ط حيدرآباد) ج١٣ ص١١٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٢٨ وميزان الإعتدال ج١ ص٢١٢ عن الطبراني، والخطيب، وابن عساكر، ومنتخب كنز العمال (هامش مسند أحمد) ج٥ ص١١١ ومقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج١ ص١٦١ وذوب النضار ص١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٣٥٤ وج٢٧ ص٢٤٩ و ٢٥٠ و ٤٥٤ عن بعض ما تقدم، وعن مفتاح النجا (مخطوط) ص١٣٦ وعن المعجم الكبير للطبراني (مخطوط) ص١٤٤.

سنة ستين، أي أن قتله «عليه السلام» كان على رأس الستين التي تمت وانتهت، وأصبحنا في سنة إحدى وستين.

ومن يعتمد التاريخ الصحيح، فإنه سيرى أن قتله «عليه السلام» كان في أواخر سنة ستين، وقبل دخول السنة التالية. أي في الشهر الحادي عشر منها، فيصح القول: إنه قتل على رأس تلك السنة.

الثالث: إن كلمة «ستين من مهاجري» تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يود لو أن السنة الهجرية بقيت على نفس الحال التي وضعها هو «صلى الله عليه وآله» عليه، وأن ما حصل من تغيير، لم يكن متوافقاً مع أغراضه «صلى الله عليه وآله».

ولولا أن علياً «عليه السلام» اقترح شهر المحرم، ليكون أول السنة الهجرية، لكانت الأمور تسير باتجاه إلغاء أصل التاريخ الهجري، واعتماد تواريخ أخرى. فراجع ما ذكرناه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، الجزء الخامس.

تقبيل موضع السم وموضع السيوف:

وقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقبل الحسن «عليه السلام» في فمه، ويقبل الحسين «عليه السلام» في نحره، وحين سئل عن ذلك بيَّن: أنه إنما يقبل موضع السم في الإمام الحسن «عليه السلام»، وموضع السيوف في الإمام الحسين «عليه

السلام»[١].

ونقول:

ما أكثر النصوص التي تهدف إلى هداية الناس، وفتح أبواب الحق أمامهم، وتحصينهم من الضلال والشك والريب.. وهي نصوص تحكي لنا أقوال وأفعال رسول الله «صلى الله عليه وآله» تجاه الإمامين الحسنين «عليهما السلام»، والتي يراد منها تعريف الناس بما سوف يجري بعده «صلى الله عليه وآله» بعشرات السنين.. مع تعمد ذكر تفاصيل وجزئيات تجعل اليقين بمظلومية الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، وبغي المعتدين عليهما، كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار، فلا يمكن لأي موجود بشري يملك ذرة من فهم وعقل أن تشتبه عليه الأمور.

لاسيما وأن هذه النصوص محصنة بالوحي، والنبوة، وهي الغيب الإلهي، الذي يجعل الشك في حصول ما يخبر عنه مساوقاً للشك في النبوة والألوهية، والخروج من الدين.

وتقبيل موضع السم، وموضع السيف هنا يؤكد هذه الحقيقة بصورة واضحة..

ويزيد الأمر قوة، وامتناعاً عن تطرق الريب والشك إليه هذه

---

(١) راجع: الأسرار الفاطمية للمسعودي ص٥٢٤ وأسرار الشهادة ص٣٩٢ و ٣٩٣ وتظلم الزهراء «عليها السلام» ص٢٩ عن ذخائر الأفهام.

الكثرة الكاثرة من الأخبار والروايات التي تكاد لا تحصر. الأمر الذي لو لم يوجب اليقين، فهو يوجب الظن على أقل تقدير.. وذكر كل هذه الجزئيات والتفاصيل سوف يوجب تراكم الظنون والاحتمالات إلى درجة تجعل ما يخبر عنه فوق مستوى البداهة..

ولكننا مع ذلك نجد وعاظ السلاطين، ومروجي الباطل يلتمسون الأعذار الواهية لأولئك الطغاة المجرمين، حتى لو كانت على حساب عصمة الرسول، أو على حساب أصل نبوته. فلا مانع من الافتراء عليه «صلى الله عليه وآله»، بل لا مانع من إثارة الشبهات حول سلامته العقلية، والعياذ بالله، بل حتى حول نبوته، من أجل أن يبقى أولئك المجرمون في منأى عن الشبهة، وأن لا تخدش قداستهم، ولا تهان كرامتهم بزعمهم.

حديث ابن عباس موضع ريب:

حكى صاحب ذخاير الأفهام، عن عبد الله بن داود، عن الثقات، عن ابن عبّاس، قال: صلّينا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم، صلاة الصبح في مسجده الآن، فلمّا فرغنا من التعقيب التفت إلينا بوجهه الكريم، كأنّه البدر في ليلة تمامه، واستند على محرابه وجعل يعظنا بالحديث الغريب، ويشوّقنا إلى الجنّة ويحذّرنا من النيران، ونحن به مسرورون مغبوطون، وإذا به قد رفع رأسه وتهلّل وجهه، فنظرنا، وإذا بالحسنين مقبلين عليه، وكفّ يمين الحسن بيسار الحسين «عليهما السلام» وهما يقولان:

مَنْ مِثْلُنا وَقَدْ جَعَلَ اللهُ جَدَّنا أَشْرَفَ أَهْلِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، وَأَبانا خَيْرَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَأُمَّنا سَيِّدَةً عَلى جَميعِ نِساءِ الْعالَمينَ، وَجَدَّتَنا أُمَّ الْمُؤْمِنينَ، وَنَحْنُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وزاد سرورنا واستبشرنا بعد ذلك، وكلّ منّا يهنّي صاحبه على الولاية لهم، والبراءة من أعدائهم.

فنظرنا نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإذا بدموعه تجري على خدّيه.

فقلنا: سبحان الله! هذا وقت فرح وسرور، فكيف هذا البكاء من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فأردنا أن نسأله، وإذا به قد ابتدأنا يقول: يعزّيني الله على ما تلقيان من بعدي يا ولديّ من الإهانة والأذى.

وزاد بكاؤه، وإذا به قد دعاهما وحطّهما في حجره، وأجلس الحسن «عليه السلام» على فخذه الأيمن، والحسين «عليه السلام» على فخذه الأيسر، فقال: بأبي أبوكما، وبأمّي أمّكما، وقبّل الحسن «عليه السلام» في فمه الشريف، وأطال الشمّ بعدها، وقبّل الحسين «عليه السلام» في نحره بعد أن شمّه طويلاً، فتساقطت دموعه، وبكى وبكينا لبكائه، ولا علم لنا بذلك.

فما كان إلاّ ساعة وإذا بالحسين «عليه السلام» قد قام ومضى إلى أمّه باكياً مغموماً.

فلمّا دخل عليها، ورأته باكياً قامت إليه تمسح دمعه بكمّها،

وأسكته (لعل الصحيح: تسكته) وهي تبكي لبكائه، وتقول: قرّة عيني وثمرة فؤادي! ما الذي يبكيك، لا أبكى الله لك عيناً، ما بالك يا حشاشة قلبي؟!

قال: خَيْراً يا أُمّاه!

قالت: بحقّي عليك، وبحقّ جدّك وأبيك إلاّ ما أخبرتني.

فقال لها: يا أُمّاه! كَأَنَّ جَدّي مَلَّني مِنْ كِثْرَةِ تَرَدُّدي إِلَيْهِ.

قالت: فداك نفسي، لماذا؟!

قال: يا أُمّاه! جِئْتُ أَنَا وَأَخي إِلى جَدِّنا لِنَزُورَهُ، فَأَتَيْناهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَبي وَأَصْحابُهُ مِنْ حَوْلِهِ مُجْتَمِعُونَ، فَدَعَى الْحَسَنَ وَأَجْلَسَهُ عَلى فَخِذِهِ الأَيْمَنِ، وَأَجْلَسَني عَلى فَخِذِهِ الأَيْسَرِ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ بِذلِكَ حَتّى قَبَّلَ الْحَسَنَ في فَمِهِ بَعْدَ أَنْ شَمَّهُ طَويلاً، وَأَمّا أَنَا فَأَعْرَضَ عَنْ فَمي، وَقَبَّلَني في نَحْري، فَلَوْ أَحَبَّني وَلَمْ يُبْغِضْني لَقَبَّلَني مِثْلَ أَخي، هَلْ في فَمي شَيْءٌ يَكْرَهُهُ؟! يا أُمّاه!

شَمّيهِ أَنْتِ!!

قالت الزهراء «عليها السلام»: هيهات يا ولدي! والله العظيم! ما في قلبه مقدار حبّة خردل من بغضك.

فقال: يا أُمّاه! كَيْفَ لا يَكُونُ ذلِكَ وَقَدْ عَمِلَ هذا؟!

قالت: والله! يا ولدي! إنّي سمعته كثيراً يقول: حسين منّي وأنا منه.

ألا ومن آذى حسيناً فقد آذاني.

أما تذكر يا ولدي! لمّا تصارعتما بين يديه جعل يقول: إيهاً يا حسن!

فقلت له: كيف يا أبتاه! تنهض الكبير على الصغير؟!

فقال: يا ابنتاه! هذا جبرئيل ينهض الحسين، وأنا أنهض الحسن.

وإنّه يا ولدي! مرّ يوماً جدّك على منزلي وأنت تبكي في المهد، فدخل أبي وقال لي: سكّتيه يا فاطمة! ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني، وكذلك الملائكة بكاؤه يؤذيهم.

وقال مراراً: اللّهمّ إنّي أحبّه وأحبّ من يحبّه. فكيف يا ولدي! تلك؟! لكن سر بنا إلى جدّك.

فأخذت بيد الحسين وهي تجرّ أذيالها حتّى أتت إلى باب المسجد، فما رأت غير الإمام والنبيّ «صلى الله عليه وآله».

فلمّا رآها النبيّ «صلى الله عليه وآله» تنفّس الصعداء وبكى كمداً، فجرت دموعه على خدّيه حتّى بلّت كمّيه.

فقالت: السلام عليك، يا أبتاه!

فقال: وعليك السلام يا فاطمة! ورحمة اللّه وبركاته.

قالت له: يا سيّدي! كيف تكسر خاطر الحسين، أما قلت: إنّه ريحانتي التي أرتاح إليها؟! أما قلت: هو زين السماوات والأرض؟!

قال: نعم، يا ابنتاه! هكذا قلت.

فقالت: أجل كيف ما قبّلته كأخيه الحسن؟! وقد أتاني باكياً، فلم أزل أسكته، فلم يتسكّت، وأسلّيه فلم يتسلّ، وأعزّيه فلم يتعزّ.

قال: يا بنتاه! هذا سرّ أخاف عليك إذا سمعته ينكدر عيشك، وينكسر قلبك.

قالت: بحقك، يا أبتاه! ألاّ تخفيه عليّ.

فبكى وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يا بنتاه! يا فاطمة! هذا أخي جبرئيل أخبرني عن الملك الجليل: أن لا بدّ للحسن أن يموت مسموماً، تسمّه زوجته بنت الأشعث «لعنها الله»، فشممته بموضع سمّه، ولا بدّ للحسين أن يموت منحوراً بسيف الشمر «لعنه الله»، فشممته بموضع نحره(١).

ونقول:

إن هذه الرواية لم تستطع أن تفوز بثقتنا بصحتها، لأكثر من سبب، فلاحظ ما يلي:

أسئلة توجب الريب في الرواية:

١ ـ إننا لم نستطع أن نعرف السند الذي يصل ما بين صاحب ذخائر الأفهام وبين عبد الله بن داود.. كما أننا لم نعلم من هم هؤلاء الثقات الذين اعتمد عليهم عبد الله بن داود لكي ننظر في أمرهم.

---

(١) تظلم الزهراء للقزويني ص٤٨ و ٤٩ و (ط أخرى) ص٧٠.

كما أن ابن عباس نفسه قد تفرد بهذه الرواية، دون سائر الصحابة الذين حضروا تلك الصلاة، وعاينوا ما جرى..

مع أن ابن عباس كان طفلاً أيضاً، لم يبلغ الحلم، فإنه إما ولد سنة الهجرة، أو قبلها بثلاث سنوات.

٢ ـ إن سياق هذه الرواية سياق قصصي، ليس هو الأسلوب الذي ألفناه في الروايات عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين.

٣ ـ ما معنى أن يصبر الحسين «عليه السلام» ساعة بعد أن قبَّله رسول الله «صلى الله عليه وآله» وشمه في نحره، ثم يقوم باكياً، ويمضي إلى أمه؟! هل أخذته غفوة طيلة تلك الساعة؟!

وهل بقي المصلون جالسين في أماكنهم فيها، أو تفرقوا؟!

وإذا كانوا قد بقوا جالسين في أماكنهم طيلة تلك الساعة؟! فلماذا جلسوا وقد انقضت صلاتهم؟!

وهل جلسوا ينتظرون الحسين «عليه السلام»؟! أو جلسوا للحديث والمسامرة؟!

وقد يقال في الجواب: إن الناس تفرقوا ولم يبق إلا النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، كما صرحت به الرواية أخيراً.

ولكن يبقى لدينا سؤال يقول: هل بقي ابن عباس في المسجد؟! أم خرج مع الناس؟! وإذا كان قد خرج معهم، فكيف أتم لنا رواية هذه الرواية؟! وإن كان قد بقي في المسجد، فلماذا، وكيف عرف ابن

عباس ما دار بين الزهراء «عليها السلام» وبين الحسين «عليه السلام»؟! وهل ذهب إليها مع الحسين، أم بقي في المسجد؟! ولماذا بقي وحده، مع النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»؟!

٤ ـ ما معنى قوله: إن الزهراء أخذت بيد الحسين «عليه السلام»، وهي تجر أذيالها حتى أتت إلى باب المسجد، فما رأت غير الإمام والنبي «صلى الله عليه وآله».

فإن بيت الزهراء «عليها السلام» لم يكن خارج المسجد، بل كان في داخله، وهو موضع دفن النبي «صلى الله عليه وآله» الآن، وبابه يفتح إلى داخل المسجد، فلا حاجة بها إلى الخروج من بيتها، والذهاب إلى باب المسجد لتنظر إن كان النبي في داخله أم لا، بل كان يكفيها أن تطل برأسها من باب بيتها، وتنظر إلى داخل المسجد، لترى النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام» في داخل المسجد، أو ليسا في داخله.

٥ ـ لم نستطع أن نعرف المبرر لأن لا يفهم الإمام الحسين «عليه السلام» تقبيل جده له بنحره على حقيقته، ولا مبرر أيضاً لأن يفسره بأنه ملالة منه وجفاء، لأن الملالة تقتضي أن لا يقبله أصلاً، وأن يعرض عنه، لا أن يشمه طويلاً، ويقبله في نحره. كما قد حصل!!

٦ ـ إن التعليل الذي نسبه إلى الإمام الحسين «عليه السلام» لا يصلح تعليلاً، فإنه قال: «كأن جدي ملني من كثرة ترددي إليه».

فأولاً: إن تردد أخيه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقل

عن تردده هو إليه، فلو أوجب ذلك الملالة بالنسبة للحسين، فلماذا لم يوجبها بالنسبة للإمام الحسن «عليهما السلام» أيضاً.

ثانياً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد مله، فلماذا يجلسه على فخذه؟! ولماذا يشمه؟! ولماذا يقبله في نحره؟! ألا يكفي ذلك كله دليلاً على عدم الملالة؟!

ثالثاً: تقول الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أبغض الحسين، ولم يحبه، لكثرة تردد الحسين «عليه السلام» إليه، مع أن كثرة التردد على شخص لا توجب بغضه لمن يتردد عليه.

ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» أبغض الإمام الحسين لِمَ يجلسه على فخذه الأيسر، ولِمَ يشمه طويلاً، ولم يقبله في نحره؟!

رابعاً: وهنا تناقض آخر، وهو: أن الحسين «عليه السلام» يقول: إن سبب ملالة جده له لعله لأنه يجد في فم الحسين شيئاً يكرهه.. وهو أنه تنبعث منه رائحة كريهة، فطلب من أمه أن تشم فمه لتتأكد من عدم وجود مثل هذه الرائحة.

وهكذا يظهر في هذه الرواية العديد من موارد التناقض والإختلاف والإرباك في تحديد السبب الذي دعا جده ليعامله هذه المعاملة.

٧ ـ إنه بالرغم من أن أمه «عليها السلام» تقسم له بالله العظيم بأنه ليس في قلب جده مقدار حبة من خردل من بغضه..

ثم تستدل له بكثير من الوقائع والكلمات الصادرة عن الرسول

«صلى الله عليه وآله» في حقه، ـ بالرغم من ذلك ـ فإن كل ذلك لم يذهب الريب والقلق من نفس ولدها.. حتى أخذته إلى جده ليتولى هو «صلى الله عليه وآله» معالجة هذه المشكلة لدى ولده.

٨ ـ واللافت: أن الرواية تذكر أن الشمر هو الذي يقتل الحسين «عليه السلام»، ولا تشير إلى يزيد المدبر والآمر، والمرسل للجيوش.

كما أنها ذكرت أن الذي يسم الإمام الحسن «عليه السلام» هو جعدة بنت الأشعث، ولا تشير إلى كيد معاوية، ودوره في إغرائها بقتله «عليه الصلاة والسلام»..

إلا إن كان الغرض هو تحديد من يباشر القتل بالسيف ودسّ السم.

هذا كله مع غض النظر عن أمور أخرى يمكن الوقوف عندها. ولعل فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الرشد والهداية.

ماذا يريد جبرئيل؟!

وجاء في رواية هلال بن جناب: أن جبريل كان عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فجاء الحسن والحسين، فوثبا على ظهره، فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لأمهما: ألا تشغلين عني هذين؟!

فأخذتهما، ثم أفلتا، فجاءا، فوثبا على ظهره، فأخذهما، فوضعهما في حجره.

فقال له جبريل «عليه السلام»: يا محمد، إني أظنك تحبهما؟!

فقال: كيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا؟!

فقال جبريل «عليه السلام»: أما إن أمتك تقتل هذا ـ يعني حسيناً ـ، فخفق بجناحه خفقة، فجاء بتربة، فقال: أما إنه يقتل على هذه التربة.

فقال: ما اسم هذه التربة؟!

قال: كربلاء.

قال هلال بن جناب: فلما أصبح الحسين في المكان الذي أصيب فيه، وأحيط به، أتي بنبطي.

فقال له الحسين: ما اسم هذه الأرض؟!

قال: أرض كربلاء.

قال: صدق رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أرض كرب وبلا. وقال لأصحابه: ضعوا رحالكم، مناخ القوم مهراق دمائهم[1].

ونقول:

ألا تشغلين عني هذين؟!:

لقد كان من الطبيعي: أنه إذا حضر جبرئيل إلى رسول الله

---

(١) راجع: نظم درر السمطين ص٢١٥ و ٢١٦ وسيرتنا وسنتنا ص٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦١٤ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٩٤٧ و ٩٤٨.

«صلى الله عليه وآله» أن تكون هناك أمور مهمة يحتاج إلى التداول بها مع الرسول، وقد تكون هذه الأمور من أخبار السماوات، أو يريد أن يبلغه أمراً من عند الله، أو يريد إبلاغه أمراً خاصاً به لا يريد أن يطلع عليه حتى أخص الناس به.

ولعل هذا أو بعضه هو السبب في طلبه «صلى الله عليه وآله» من فاطمة «عليها السلام» أن تشغل الحسنين «عليهما السلام» عنه في تلك اللحظات بالذات..

ولكنه «صلى الله عليه وآله»لم يقل للحسنين «عليهما السلام»: اذهبا إلى أمكما.. لأن المطلوب هو إشغالهما عنه، وليس المطلوب إبعادهما عنه. فإذا أمكن إشغالهما عنه، مع بقائهما في نفس المجلس، فلا ضير في ذلك.

أظنك تحبهما؟!:

وقد رأينا جبرئيل يقول للنبي «صلى الله عليه وآله» عن الحسنين «عليهما السلام»: أظنك تحبهما؟!

ونقول:

١ ـ إن من البعيد جداً أن يكون جبرئيل لا يعلم بحب النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام»، فإن هذه الزيارة من جبرئيل لم تكن الأولى.. كما أن هذه لم تكن هي المرة الأولى التي يجتمع فيها النبي وجبرئيل والحسنان.

كما أن ما رآه جبرئيل من تعامل النبي «صلى الله عليه وآله»

معهما في هذه المرة لم يكن فيه ما يدل على شيء غير عادي من الحب، أو من غيره. غاية الأمر أنهما «عليهما السلام» وثبا على ظهره، فطلب من أمهما أن تشغلهما عنه إلى حين تفرغه لهما.

ثم أفلتا منها، فعادا للوثوب على ظهره «صلى الله عليه وآله». فوضعهما في حجره..

فما هذا السؤال من جبرئيل لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أظنك تحبهما؟! إلا إن كان جبرئيل يريد من النبي أن يصرّح بهذا الأمر أولاً ليكون ذلك توطئة للإخبار بقتلهما بالسم وبالسيف.

٢ ـ إننا نرجح أن يكون المراد بالظن في كلام جبرائيل هو اليقين، لأنه استفاد يقينه من تراكم الدلائل والشواهد التي رآها من النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن بعضها ـ إن كان يفيد الظن ـ لكنها حين تجتمع تفيد ما هو فوق اليقين، وقد استعمل الظن بمعنى اليقين في القرآن في عدة آيات.

ولعل السبب في اختيار الظن للتعبير عن اليقين: أن الحب أمر قلبي لا يطلع عليه، ولا يخبر عنه بيقين إلا علام الغيوب. فلم يصرح جبرئيل بيقينه، تأدباً منه مع الله سبحانه.

٣ ـ يضاف إلى ذلك: أنه قد يكون المطلوب لجبرئيل أيضاً هو إثارة مشاعر النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا السؤال إلى أبعد مدى، لكي تأتي المفاجأة الكبرى بالإخبار بقتله، ثم بإحضار تربته «عليه السلام» ليراها «صلى الله عليه وآله» بأم عينيه أشد وقعاً، وأعظم

أثراً في إظهار عظمة النبي «صلى الله عليه وآله» في تحمله وصبره، وطاعته لله، وابتغائه رضاه.

فإن هذه المفاجأة لا يتحملها أعظم الناس حلماً وصبراً. وأكثرهم رزانة واتزاناً حتى لو كان الأمر يرتبط بولد جاهل، وعادي في ميزاته، وفي ملكاته وسماته..

فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بمن هو مثل الحسين «عليه السلام»، الذي يحمل ميزات وسمات وصفات الإمامة منذ طفولته، فهو إمام عالم حكيم حليم، معصوم بالفعل. فإن المصاب به سيكون أعظم، ووقعه أشد إيلاماً على القلب.

٤ ـ ثم إننا بغض النظر عن الاحتمالات التي ذكرناها آنفاً عن سبب قول النبي «صلى الله عليه وآله» للزهراء «عليها السلام»: ألا تشغلين عني هذين؟! نضيف هنا سبباً آخر، ولعله الأكثر أهمية، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يخف عليه أن ثمة أمراً جاء لأجله جبرئيل، وربما كان يتعلق بالحسنين «عليهما السلام»، أو بأحدهما.. وأنه قد لا يكون من الضروري أن يسمعاه، فأحب أن تشغلهما أمهما عن سماعه.

وقد مهد جبرئيل لهذا الأمر بنفس سؤاله عن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لهما..

ولكن الأمور جرت بنحو أظهر أن المصلحة كانت تكمن في سماع الحسين «عليه السلام» لهذا الأمر، لكي تتجلى ثمرة ذلك في

نفس يوم عاشوراء كما تبين من الرواية نفسها.

٥ ـ وأخيراً.. فإن جبرئيل لم يشر في هذه المناسبة إلى ما يجري للإمام الحسن من قريب ولا من بعيد.

النبي يخبر عن استشهاد مسلم بن عقيل:

حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس «رحمه الله»، قال: حدثنا أبي، عن جعفر بن محمد بن مالك، قال: حدثني محمد بن الحسين بن زيد، قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن زياد، قال: حدثنا زياد بن المنذر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:

قال علي «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟!

قال: إي والله، إني لأحبه حبين: حباً له، وحباً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون.

ثم بكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى جرت دموعه على صدره.

ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي(١).

---

(١) الأمالي للصدوق ص١٢٩ و ١٣٠ و (ط مؤسسة البعثة) ص١٩١ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٢٨٨ وج٤٤ ص٢٨٧ و ٢٨٨ وخاتمة المستدرك للطبرسي ج٩ ص١٢٢ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٤٩ وعن إثبات

ونقول:

تضمن هذا النص الإشارة إلى العديد من الأمور..

علي × والحب لعقيل:

إن عقيل بن أبي طالب هو ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان رجلاً عاقلاً، أريباً، مهاباً. ومن أهل الشهامة والكرامة، والاستقامة، وله مقامه ومكانته المرموقة.

وكان من الطبيعي أن يحب النبي «صلى الله عليه وآله» رجلاً بهذه المثابة، فهو «صلى الله عليه وآله» يقدر الرجال، وجهودهم، واتزانهم، واستقامتهم، وعقلهم، ومزاياهم الإنسانية.

إنه «صلى الله عليه وآله» يحب أياً كان من الناس، غريباً كان أم قريباً، إذا كان يتحلى بصفات الفضل، وميزات الكمال، فهل يتنكر لابن عمه؟!

فقول علي «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»: إنك لتحب عقيلاً ليس على سبيل الإنكار، أو التعجب، بل هو على سبيل الاستحسان، والاعتزاز بعقيل، والاغتباط به، والعرفان له، والابتهاج بأن مكانته محفوظة لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الهداة ج١ ص٥٢٨ وقاموس الرجال ج٧ ص٢٣٠ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٦٥٠.

إنه يريد أن يسمع الناس تقريظ رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعقيل، لكي تخلد هذه الكلمة الشريفة عنه «صلى الله عليه وآله»، وفاءً لحق عقيل وأبي طالب على حد سواء.

إني لأحبه حبين!!:

وقد أجاب النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقوله:

«إي والله، إني لأحبه حبين: حباً له، وحباً لحب أبي طالب له».

فقد أشارت هذه الكلمة الموجزة إلى عدة أمور، فمثلاً:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» بدأ كلامه بالقسم بالذات الإلهية، لكي لا يتوهم أحد أنه يقول كلامه هذا على سبيل المجاملة لابن عمه، أو لأجل تأليفه والتحبب له، واستجلاب مودته..

أو أنه يقوله على سبيل المبالغة، باستعمال الكلمات الفضفاضة التي تتسع لأكثر من احتمال.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد بين أن استحضار معنى الحب في نفسه ليس عشوائياً. بل هو تابع لأسبابه، فإذا تعددت الأسباب، فذلك يعني: أن معاني الحب التي نشأت عنها تحمل خصوصيات وسمات أسبابها، فاستحضارها يحتاج إلى معونة ومؤونة باستحضار أسبابها أولاً.. فإذا قايسنا مسببات تلك الأسباب مع بعضها البعض، فإن التفاوت بينها يكشف عن تفاوت المسببات، ويدل على تعددها، لأن حضور السبب إنما يستدعي حضور الحب الذي يحمل خصوصية ذلك

السبب، ولا يستدعي حضور الفرد الآخر الناشئ عن سبب آخر قد أثر في مسببه ميزات تسانخه، وتمنع من استحضاره، بدون مراعاة حال الأسباب المؤثرة في استحضار تلك الخصوصيات.

ولذا قال «صلى الله عليه وآله»: إني لأحبه حبين.

نعم، إنهما حبان على الحقيقة، وليس هذا التعبير لمجرد التنويع أو التلميع.

٣ ـ وقد ذكر «صلى الله عليه وآله» أن أحد الحبين هو حب عقيل نفسه، فدلنا بذلك على أن عقيلاً يحمل في عمق ذاته خصائص وميزات وفضائل تستجلب هذا الحب وتقتضيه.

٤ ـ وهناك حب آخر يمنحه النبي «صلى الله عليه وآله» لعقيل، ولكن سببه خارج عن حقيقة ذات عقيل من جهة، وداخل فيها، متمازج معها من جهة أخرى، وهو ما أشار إليه «صلى الله عليه وآله» بقوله:

«وحباً لحب أبي طالب له».

فإن حب أبي طالب لعقيل لم يكن عشوائياً، بل هو لفضائل ظهرت له في روح وفكر ونهج وأعمال وسلوكيات عقيل، ومنها بر عقيل بأبيه، وأمه، وكل من يلوذ به، وحب عقيل للفقراء، وتضحياته في سبيل الكرامة والحق، وما إلى ذلك.

فهذا حب تكريمي كان عقيل واسطة في ثبوته، فإن حب أبي طالب لعقيل حب للفضائل، والكرامة، والشهامة، والاستقامة، وللقيم،

وللخير، والحق، وللصفات الإنسانية، وللطهر، فهو حب يجب تقديره واحترامه.

وحب أبي طالب لعقيل الذي يحمل هذه المعاني يحبه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويلاحظ: أنه جعل حبه لعقيل منوطاً بنفس حبّ أبي طالب له، فلو لم يكن أبو طالب مصيباً دائماً في حبّه لم يصح جعل حبّه لأي كان كافياً في حب النبي «صلى الله عليه وآله» له، وفي هذا إشعار بعصمة أبي طالب في حبه.

٥ ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قدم الدليل العملي على طهر بيت عقيل، وعلى أنه بيت دين ووفاء، وشهامة وكرامة..

فقال: «وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون».

وكان أول باكٍ على هذا الشهيد السعيد هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما ذكرته هذه الرواية، فقد جرت دموعه «صلى الله عليه وآله» على صدره.

ثم قال: «إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي».

٦ ـ وقد قال «صلى الله عليه وآله» وهو يخبر عن قتل مسلم بن عقيل: «وإن ولده لمقتول في محبة ولدك». فيلاحظ: أنه لم يقل: إن ولد عقيل سوف يقتل دفاعاً عن ولدك، ولا قال: يقتل حمية، ولا قال: يقتل لقرابته من ولدك.

بل قال مؤكداً بإن ولام التوكيد، والجملة الإسمية: «إن ولده لمقتول في محبة ولدك». أي أن سبب قتله هو حنينه، وصفاء روحه، وانسجامه الإيماني، وقناعته الوجدانية، ووفاءُه، وسائر المعاني التي ينتجها الحب.

إن ذلك كله، هو الذي سوف يدعو ولدك ليجاهد في سبيل حفظ الحسين «عليه السلام»، والعمل إلى إيصاله إلى أهدافه، التي هي الحق والدين والقيم الإنسانية بعينها.

إخبار آخر بشهادة الحسين ×:

وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي، نقلا من خط الشهيد رفع الله درجته، نقلاً من مصباح الشيخ أبي منصور «طاب ثراه» قال: روي أنه دخل النبي «صلى الله عليه وآله» يوماً إلى فاطمة «عليها السلام»، فهيأت له طعاماً من تمر، وقرص، وسمن، فاجتمعوا على الأكل هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام»، فلما أكلوا سجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأطال سجوده، ثم بكى، ثم ضحك، ثم جلس وكان أجرأهم في الكلام علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله رأينا منك اليوم ما لم نره قبل ذلك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إني لما أكلت معكم فرحت وسررت بسلامتكم واجتماعكم، فسجدت لله تعالى شكراً.

فهبط جبرئيل «عليه السلام» يقول: سجدت شكراً لفرحك بأهلك؟!

فقلت: نعم.

فقال: ألا أخبرك بما يجري عليهم بعدك؟!

فقلت: بلى يا أخي يا جبرئيل.

فقال: أما ابنتك، فهي أول أهلك لحاقاً بك، بعد أن تظلم، ويؤخذ حقها، وتمنع إرثها، ويظلم بعلها، ويكسر ضلعها.

وأما ابن عمك، فيظلم، ويمنع حقه، ويقتل.

وأما الحسن، فإنه يظلم، ويمنع حقه، ويقتل بالسم.

وأما الحسين، فإنه يظلم، ويمنع حقه، وتقتل عترته، وتطؤه الخيول، وينهب رحله، وتسبى نساؤه وذراريه، ويدفن مرملاً بدمه، ويدفنه الغرباء.

فبكيت، وقلت: وهل يزوره أحد؟!

قال: يزوره الغرباء.

قلت: فما لمن زاره من الثواب؟!

قال: يكتب له ثواب ألف حجة، وألف عمرة كلها معك، فضحك(١).

ونقول:

ما أكثر الأحاديث الواردة عن الرسول «صلى الله عليه وآله»، الدالة على استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام».

---

(١) بحار الأنوار ج٩٨ ص٤٤ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٢٧٥ و ٢٧٦.

وقد اخترنا هذا الحديث منها، لنسجل تحفظاً عليه يتلخص بما يلي:

إن هذا الحديث يزعم: أن الغرباء هم الذين يدفنون الإمام الحسين «عليه السلام». وهذا غير صحيح.

أولاً: لما ورد، من أن الإمام لا يلي أمره إلاّ إمام مثله(١).

ثانياً: لما ورد من أن الإمام السجاد، هو الذي تولى دفن الإمام الحسين «عليه السلام»(٢).

إلا أن يقال: إن بني أسد قد ساعدوا الإمام السجاد «عليه السلام» في دفنه بحضورهم وجعلهم أنفسهم بإمرة السجاد، ورهن إشارته. مع أنه لم يحضر أحد من أهلهم وأرحامهم دفنهم.. وهذا كافٍ في صحة القول: إنهم هم الذين دفنوه، وإن كان لا يخلو من بعض التكلف أيضاً..

وسيأتي ذلك في موضعه في هذا الكتاب إن شاء الله..

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٢٨٩ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج٢ ص٧٦٣ و ٧٦٤ وبحار الأنوار ج٤٥ وص١٦٩ ج٤٨ ص٢٦٩ و ٢٧٠ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٦٦ و ٣٦٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٤٠.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص٣١٩ و ٣٢٠ وعن أسرار الشهادة ج٣ ص٢٢٥ ومقتل الحسين لبحر العلوم ص٤٦٦ وعن الأنوار النعمانية.

الوعد بالانتقام الإلهي:

وجاء في بعض النصوص قوله:

«فنزل جبرئيل «عليه السلام» وقال: يا محمد، إن الله قتل بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً من المنافقين، وسيقتل بابن ابنتك الحسين سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً من المعتدين، وإن قاتل الحسين في تابوت من نار، ويكون عليه نصف عذاب أهل الدنيا الخ..»(١).

ونقول:

من الطبيعي: أنه إذا تواصلت الأخبار بأن هذا الدين، أو هذه الدعوة سوف تتعرض لنكبات خطيرة.. وكان مصدر الأخبار هو الوحي الإلهي الذي لا يشك أحد في صدقه، وفي وقوع مضمونه، وكانت هناك مصلحة عظيمة في تعريف الناس بما سيكون، فإن ذلك لا يعني عدم حصول بعض السلبيات التي تحتاج إلى المعالجة، حتى وإن كان سبب هذه السلبيات أموراً أخرى، مثل حب الدنيا، أو النقص في الوعي الديني، أو غير ذلك.

ومن الواضح: أن الهدف من الإخبار عما سيكون هو زيادة وعي الناس، وإعدادهم لمواجهة الأحداث بثقة ويقين، وبصيرة نافذة.

لكن بعض أصحاب النفوس الضعيفة، قد ينتابهم بعض الشعور بالإحباط، وبعض الوجل والخوف، الذي قد يتسبب بخور عزائمهم،

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥ ص٣١٤ والعوالم، الإمام الحسين ص٥٩٨ و ٥٩٩ .

وشعورهم بالفشل، ورهبتهم من الآلام التي يتوقعونها.

وربما ساقهم ضعفهم هذا وحبهم للسلامة ـ بزعمهم ـ إلى التماس المسارب والمهارب التي تبعدهم عن المواجهة، حيث تتفاقم المشكلة إذا نتج من ذلك: أن يفقد أهل الحق بعض قوتهم، وأن يجد أهل الباطل فسحة، ومجالاً لجولان باطلهم، وحصوله على جرعة جرأةٍ وقوة.

من أجل ذلك، كان لا بد من معالجة هذه الحالة بإعطاء جرعة قوة وثبات لهؤلاء الضعفاء.. من خلال تعريفهم بالتدخل الإلهي، الذي لو لم يروا طرفاً منه، أو لم يتوقعوه، لوقعوا في المحذور الكبير الذي أشرنا إليه آنفاً.

وهذا ما تكفل ببيانه هذا النص، فإنه كشف عن وعد إلهي بالإنتقام من المعتدين بِضِعْفِ ما انتقم الله تعالى به لنبي الله يحيى «عليه السلام».

وقد لاحظنا أولاً: أنه وصف السبعين ألفاً الثانية الذين ينتقم الله تعالى منهم لأجل الحسين «عليه السلام» بالمعتدين(١).. الأمر الذي

---

(١) **قال بعض الإخوة الأفاضل ـ والعهدة في ذلك عليه ـ ما يلي:** الظاهر أنه ليس وصفاً للثانية، بل لكلتيهما، وأما الفصل بينهما بسبعين وسبعين فهو مثل مائة وأربعين، فلبيان الضعف بصورة مفصلة وأوضح في ذهن السامع للإشارة إلى زيادة فضل سيد الشهداء «عليه السلام» على يحيى، فهما سبعون ألفاً وسبعون ألفاً كلهم من المعتدين، كما كان السبعون ألفاً الذين قتلوا يحيى كلهم من المنافقين.

يدل على أن عقوبة الله تعالى لهم ليست سوى قصاص وعدل، وإنصاف وفضل.

ويلاحظ ثانياً: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يحصر الإنتقام بالعقاب في الدنيا، بل تعرض أيضاً لعقوبات الآخرة، لأن الناس إذا فاتهم رؤية القصاص العادل في الدنيا، فسوف ينتظرون رؤية

الفصل الثاني:

قارورة أم سلمة..

التوطئة لحديث القارورة:

روي عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ذات يوم، ودخل في أثره الحسن والحسين «عليهما السلام»، وجلسا إلى جانبيه، فأخذ الحسن على ركبته اليمني، والحسين على ركبته اليسرى، وجعل يقبل هذا تارة وهذا أخرى.

وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله، إنك لتحب الحسن والحسين؟!

فقال: وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا، وقرتا عيني؟!

فقال جبرئيل: يا نبي الله، إن الله قد حكم عليهما بأمر، فاصبر له.

فقال: وما هو يا أخي؟!

فقال: قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً، وإن لكل نبي دعوة مستجابة، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين، فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل، أنا راض بحكم ربي، لا أريد إلا ما يريده، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي، ويقضي الله في ولدي ما يشاء[١].

ونقول:

تعلق الحسنين بجدهما:

إن من يراجع الروايات الكثيرة يلاحظ: أن علاقة الحسن والحسين «عليهما السلام» بجدهما لم تكن مجرد علاقة طفل بجده الذي يلاعبه، ويهيئ له أجواء البهجة والانشراح، حتى إذا خفتت هذه الأجواء، أو تراجعت، فإن هذا الطفل سوف يبحث عن جو آخر مع شخص آخر..

بل كانت الأجواء أجواء أنس، ومحبة صادقة، وعميقة، وعلاقة روحية متجذرة، حتى إنه لا يرضى أي منهما أن ينتقل إلى كتف أبيه، ولم تكن حجته في ذلك: أنني أريد أو لا أريد، بل حجته في ذلك: أن كتف جده أحب إليه، وذلك حين جاء بهما جدهما من حديقة بني النجار.

---

(١) المنتخب للطريحي ج١ ص٨٤ و ٨٥ وأسرار الشهادة ص١٠٧ و ١٠٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٤١ و ٢٤٢ والعوالم ج١٧ ص١١٩ وج١٦ ص٣٦٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٢ ص٣٠٩ و ٣١٠.

والحسنان هنا يبادران إلى الجلوس بجانب جدهما.. ولم يكن جدهما هو الذي دعاهما، فلما جلسا إلى جانبه رفعهما «صلى الله عليه وآله» درجة أخرى، فجعلهما على ركبتيه، وجعل يقبل هذا تارة، وذاك أخرى.

جبرئيل يقطع هنا ويظن هناك:

ويأتي جبريل من السماء، ويرى هذا المشهد، ويطرح نفس السؤال الذي طرحه على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم أودع القارورة عند أم سلمة.

ولعل قضية أم سلمة والقارورة متأخرة عن هذه الحادثة، حيث يبدو أن هذه الحادثة قد جاءت تمهيداً لتلك.

وقد جاء سؤال جبرئيل هنا قاطعاً وحاسماً، فقد قال للرسول «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، إنك لتحب الحسن والحسين؟!

ولعل السبب في هذا الجزم والحتم والتأكيد بلام القسم: أن جبرئيل لم يرَ من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه المرة إلا ما يشير إلى حبه لهما.. فهو يرفعهما من جانبيه، ويضعهما على ركبتيه، ثم يقبل هذا تارة، وذاك أخرى، ولا يكتفي بمرة واحدة، بل هو يكرر ذلك مرة بعد أخرى.. وهذه دلائل ظاهرة في المطلوب.

وهذا السؤال من جبرئيل لا يخلو من إثارة وتحريك للمشاعر النبوية، لكي تصل إلى أقصى مدى، ليواجه بعد ذلك مباشرة المفاجأة

والخبر المؤلم عن موت الحسن «عليه السلام» مسموماً، والحسين «عليه السلام» مذبوحاً.

ويلاحظ هنا: أن كلمة مذبوحاً تحمل من الأذى ما لا يحمله غيرها، وتدفع بالشعور بالفجيعة إلى الحد الأقصى.

لكل نبي دعوة مستجابة:

ثم يأتي عرض جبرئيل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه اللحظة الصعبة، والأكثر إيلاماً بأن يدعو الله تعالى لولديه بأن يسلمهما من السم ومن القتل.. فإن لكل نبي دعوة مستجابة..

فإذا وضع هذا الخيار أمام عيني من يرى المصيبة واقعة بأعز من في الوجود عليه، وبمن لا يدانيه أحد بعد جده وأبيه وأمه وأخيه، في الفضل، والكرامة عند الله، ولم يجعل الله تعالى له سمياً في مخلوقاته.. نعم، إذا عرض هذا الخيار في هذه اللحظات الحساسة، ورأى صاحب المصيبة أن ثمة باباً لنجاة من جعله الله إماماً للبشر كلهم إلى يوم القيامة من هذا البلاء العظيم، فالمتوقع منه هو أن يبادر إليه باندفاع وبلهفة عارمة.

ولاسيما إذا كان هذا الباب لا يحتاج إلى كدٍ وجهدٍ وعناءٍ، بل هو سهل وميسور، ولا يحتاج في الوصول إليه إلى تعب ولا نصب.

بل هو لا يعدو كونه تفوهاً ببضع كلمات دعاء وطلب، ويحسم الأمر، ويزول الخطر، وتعود الأمور إلى مجاريها..

بين خيارين:

ولكن جبرئيل لم يعرض أمر نجاة الحسنين «عليهما السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه البساطة، بل عرضه على النبي «صلى الله عليه وآله» كخيار، يقابله خيار آخر، وضعه أمام عيني النبي «صلى الله عليه وآله»، ويمكن للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يلجأ إليه..

وبديهي: أن الإنسان العاقل واللبيب والأريب يتريث ويتأنى في أموره، ولاسيما ما كان منها له علاقة برضا الله تعالى.. ويبقى متماسكاً ورابط الجأش، حتى في مثل هذه الحالة الصعبة، فلا يندفع نحو الخيار الأسهل، والأقرب إلى مزاجه، ويتوافق مع ميوله ومشاعره.. قبل أن يعرف الخيار الآخر، فلعله هو الأولى والأفضل.

ولذلك رأينا النبي «صلى الله عليه وآله» يصغي إلى كلا الخيارين، فيرى أن أحدهما ـ كما قلنا ـ يتوافق مع الاندفاعة العاطفية المتوهجة، وينسجم مع الحنان الأبوي، والدافع الذاتي.

ولكن الخيار الآخر، وهو قبول المصيبة، وتجرع غصتها، على أن يجعلها الله تعالى ذخيرة له في شفاعته للعصاة من أمته يوم القيامة.. وإن كان هو الخيار الأصعب، ولكنه هو الذي اختاره رسول الله «صلى الله عليه وآله».

هذا الخيار هو الأصعب:

وصعوبة هذا الخيار تكمن في أن فيه إقدام الإنسان على تقديم

ولديه، وهما أفضل وأكمل ما في هذه الدنيا بعد جدهما وأبيهما وأمهما، وهما أقدس الخلق، وهما بنص رسول الله الإمامان قاما أو قعدا، ـ تقديمهما ـ للسم وللذبح على يد شرار الخلق، ويكون اختياره «صلى الله عليه وآله» له تأثير في تعرضهما لهذا المصاب، وقد كان يمكنه أن يدفعه عنهما بدعاء. أما الثمن والمقابل، فهو الشفاعة لعصاة الأمة.

الحسنان باب رحمة وهداية:

وقد يروق لبعض الناس أن يقول: هل يستحق العصاة أن يضحى من أجلهم بمثل هذين الإمامين العظيمين، وهما ابنا رسول الله، ومن أحب الخلق إلى الله ورسوله، وأن يكونا فداءً لهم، وأن يكون قتلهما على هذا النحو الفظيع والفجيع من أسباب نجاتهم؟!

ألم يكن الأولى للعصاة أن ينالوا جزاء أعمالهم بما كسبت أيديهم، وأن يبقى الخيار من الناس في منأى عن هذا البلاء، ليكونوا ذخراً للأمة، وضماناً لها من البوار والدمار، وملجأً لها في كل ما ينوبها على مر الدهور والأعصار؟!

والجواب: هو بـ «لا»، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يفكر بالأمور بهذه الطريقة الضيقة، ولا ينظر إليها من زاوية محدودة، أو شخصية.

بل هو «صلى الله عليه وآله» ينظر إلى الأمر بنحو آخر، وهو أن هذه التضحية، وهذا الإيثار يعطي الأمل بالنجاة لكل العصاة في

هذه الدنيا، ويجعل من الحسن والحسين، وسائر أهل البيت «عليهم السلام» باب رحمة وهداية لهم، ويكونون لهم ملجأ وملاذاً.. ويصيرون مهوى الأفئدة، وسلوة الحزين، وفرج المكروب، والمغيث للملهوف.

ولا يقتصر الأمر على خصوص من عصى، بل يشمل البشر كلهم.. فإن هداية البشر ونجاتهم هو مسؤولية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو الذي يعطي النبوة تمام معناها ومغزاها.

ولو اختار رسول الله بقاء شخص الحسنين «عليهما السلام» على قيد الحياة، وفرَّط بالأمة، كل الأمة لما استحق أن يكون أشرف الخلق، وأفضلهم، وأكرمهم على الله..

تربة كربلاء عند أم سلمة:

حدثنا أبي «رحمه الله»، قال: حدثنا حبيب بن الحسين التغلبي، قال: حدثنا عباد بن يعقوب، عن عمرو بن ثابت، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر «عليه السلام»، قال: كان النبي «صلى الله عليه وآله» في بيت أم سلمة «رضي الله عنها»، فقال لها: لا يدخل علي أحد.

فجاء الحسين «عليه السلام» وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي «صلى الله عليه وآله»، فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي «صلى الله عليه وآله» يبكي، وإذا في يده شيء يقلبه.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل

يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دماً، فقد قتل حبيبي.

فقالت أم سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه.

قال: قد فعلت، فأوحى الله عز وجل إلي: أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم ـ والله ـ الفائزون يوم القيامة(١).

ونقول:

١ ـ قد يحب النبي «صلى الله عليه وآله» أن يختلي بنفسه للعبادة، أو التفكر في ملكوت الله، وأسرار الخلقة، أو لغير ذلك من أسباب.. وربما كان منها الخلوة بجبرئيل الذي قد يأتيه من عند الله بأمور جليلة وخطيرة..

ولعل هذا المورد هو من هذه الموارد التي اختارها «صلى الله عليه وآله» لخلوته بجبرئيل «عليه السلام»، كما فهم من الرواية.

٢ ـ قد ظهر سبب هذه الخلوة التي أرادها رسول الله «صلى الله

---

(١) راجع: الأمالي للصدوق ص١٣٩ و (ط مؤسسة البعثة) ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ص١٢٩ ولواعج الأشجان ص٢٠ و ٢١ وإثبات الهداة ج١ ص٥٢٧ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٨٧٧.

عليه وآله» هو تهيئة الأجواء للتدبير الإلهي الرامي إلى اللطف بالأمة، وتحصينها من الإعلام المسموم، والتضليل، وتضييع الحق، لأن الله تعالى يريد إقامة الحجة على البشر جميعاً، من خلال كشف الزيف، والتعريف بالظلم والبغي الهائل الذي سيتعرض له الإمام الحسين «عليه السلام»، الذي هو أحب الخلق إلى الله وإلى رسوله، بعد أخيه، وأمه، وأبيه.

٣ ـ واللافت هنا: أن الذي جاء، واقتحم على النبي «صلى الله عليه وآله» خلوته هو خصوص الحسين «عليه السلام»، المعني مباشرة بهذه الخلوة.

٤ ـ أما هذا التحصين الذي أراده الله، فقوامه هذه المرة هو الأسلوب المستند إلى الحس المباشر، فقد جاء جبرئيل بتراب من البقعة التي يقتل عليها الحسين «عليه السلام» في كربلاء، ليجعلها وديعة في بيت أم سلمة ـ على الخصوص، لأنها المرأة التي ستعيش إلى ذلك اليوم، وهي امرأة، عرفتها الأمة بالدين والصدق، والنزاهة والطهارة، والالتزام، والتقوى.. يشهد لها بذلك أعداؤها قبل أصدقائها.

٥ ـ فإذاً كانت هذه المرأة صادقة، وتقية، وطاهرة، ويعترف لها بذلك القريب والبعيد، وكان الآتي بالتربة هو الأمين جبرئيل، والمخبر عما يجري هو الذي لا (**يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ**

يُوحَى)[١]. فلا يمكن الريب فيما تقوله.. ولاسيما إذا كان الذي يقتل في في كربلاء، كان لا يزال طفلاً، وسيكون القتل بعد أكثر من خمسين سنة، والقاتل لم يولد بعد.

وعلامة الصدق ستكون معجزة مشهودة، وهي تحول التراب دماً، وهي معجزة تسانخ الحدث المتوقع، أو الذي يراد الإخبار عنه، كما هو ظاهر.

٦ ـ إن هذا التراب قد جعل في قارورة، وأعلن على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، وهو الذي لا **(يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى)**. أن هذه القارورة إذا صارت دماً، فذلك علامة أن الحسين «عليه السلام» قد قتل.

٧ ـ ومن المعلوم: أن الحسين «عليه السلام» كان لا يزال طفلاً صغيراً، والنبي «صلى الله عليه وآله» يظهر من حبه، وحب الله تعالى ما لا يوصف، وهو يكرر ذلك بصورة دائمة ومتلاحقة، ومتواترة، بحيث لا يمكن لأحد أن يتوهم خلاف ذلك.. بل لا يتوهم أحد أن أحداً يجرؤ على أن يرمي الحسين بباقة ريحان، فهل يصدق أنه سيقطع بالسيوف، ويموت عطشاناً شهيداً غريباً؟!

٨ ـ إن هذا الإخبار النبوي ليس عن حدث قد حصل، ولا عن حدث ظهرت إرهاصات حصوله، بل عن حدث كل الأحوال القائمة

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

تناقضه وتنفيه، والخبر عنه يأتي قبل حصوله بأكثر من خمسين سنة، كما قلنا.

٩ ـ وقد كان لهذه القارورة أثر عظيم في تأكيد معنى الإمامة، وفي فضح المعتدين والباغين، وإزالة اللبس عن كثير من الأمور لدى كثير من الناس، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله.

أم سلمة متى توفيت؟!:

إن حديث القارورة التي كانت مودعة عند أم سلمة «رحمها الله»، ليكون امتلاؤها دماً علامة على استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» ـ إن هذا الحديث ـ معروف ومشهور، عند القاصي والداني[1].

وهذا الحديث يدل على أن أم سلمة ستبقى على قيد الحياة إلى ما بعد ظهور هذه المعجزة الغيبية، التي أرادها الله تعالى سبيل لطف وهداية لمن ألقى السمع وهو شهيد، وأن تكون شاهداً حياً يراه الناس بأم أعينهم حين حصول الحدث.. وليس مجرد خبر يطرق سمع الغافل، يحكي له حصول أمر غائب عنه، ثم يتداوله الناس بعد ذلك،

---

(١) مصادر هذه القضية كثيرة جداً، وتجد طائفة منها في كتاب: «سيرتنا وسنتنا» للعلامة الأميني ص٦٦ و ٧٥ ـ ٧٧ و ٩٨ و ١٣٨ وراجع كتاب: السجود على الأرض للعلامة الأحمدي ص١١٢ ـ ١١٤.

وهو يحتمل الصدق والكذب.

ولكن أيدي الخيانة لم تهدأ حتى في مثل هذا المورد، فبادرت إلى دس السم في الدسم، حيث زعم بعضهم ـ كالواقدي ـ: أن أم سلمة إنما توفيت سنة تسع وخمسين، ولها أربع وثمانون سنة(١).

وهذا يدل على أن عمرها حين بعثة النبي «صلى الله عليه وآله» كان اثنتي عشرة سنة فقط، فأم سلمة على هذا كانت أصغر من أم حبيبة بحوالي خمس سنوات، لأن أم حبيبة ـ كما يقولون ـ قد ولدت قبل البعثة بسبع عشرة سنة(٢). وهي من مهاجرة الحبشة.

وقد ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» الجزء الخامس، فصل «شخصيات وأحداث»: أن أم سلمة لم تلبث بعد استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» إلا يسيراً(٣).

---

(١) الإصابة ج٤ ص٤٢٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٣٤٤ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط صادر) ج٨ ص٩٦ والمجموع للنووي ج٢ ص١٣٨ وسبل السلام ج١ ص٣٠ وعمدة القاري ج٢ ص١٧٣ وتحفة الأحوذي ج١ ص٣٠٠ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٤٢.

(٢) الإصابة ج٤ ص٣٠٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص١٤٠ والإكمال في أسماء الرجال ص١٥٢.

(٣) مسند ابن راهويه ج٤ ص١٦ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٠٢ ومقتل

فتكون وفاتها سنة ستين، أو سنة إحدى وستين.. إذا لاحظنا تغييرهم لأول السنة الهجرية من شهر ربيع الأول إلى شهر المحرم[١].

الحسين للمقرم ص ٣٥٥.

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٤٢٢ و (ط دار الجيل) ج٤ ص١٩٢١ وأسد الغابة ج٥ ص٥٦٠ والإكمال في أسماء الرجال للتبريزي ص١٥٥ والوفيات لابن الخطيب ص٣٤.

الفصل الثالث:

هذا هو القاتل..

منام هند:

عن ابن عباس: سألت هند عائشة أن تسأل النبي تعبير رؤيا، فقال: قولي لها: فلتقصص رؤياها.

فقالت: رأيت كأن الشمس قد طلعت من فوقي، والقمر قد خرج من مخرجي.

وكأن كوكباً خرج من القمر أسود، فشد على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها، فاسود الأفق لابتلاعها.

ثم رأيت كواكب بدت من السماء، وكواكب مسودة في الأرض، إلا أن المسودة أحاطت بأفق الأرض من كل مكان.

فاكتحلت عين رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدموعه، ثم قال: هي هند.. أخرجي يا عدوة الله ـ مرتين ـ فقد جددت علي أحزاني، ونعيت إلي أحبابي.

فلما خرجت قال: اللهم العنها، والعن نسلها.

فسئل عن تفسيرها، فقال «عليه السلام»: أما الشمس التي طلعت عليها، فعلي بن أبي طالب «عليه السلام»، والكوكب الذي خرج كالقمر أسود، فهو معاوية، مفتون، فاسق، جاحد لله، وتلك الظلمة التي

زعمت، ورأت كوكباً يخرج من القمر أسود، فشد على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس، فابتلعها، فاسودت، فذلك ابني الحسين «عليه السلام» يقتله ابن معاوية، فتسود الشمس ويظلم الأفق.

وأما الكواكب السود في الأرض أحاطت بالأرض من كل مكان، فتلك بنو أمية(١).

ونقول:

إن الرؤيا تختلف من شخص لآخر، وهي تتناسب مع واقعه وحقيقته، ولها ارتباط وثيق بصفاء روحه ونفسه، وخبثها، وهي تناسب طبيعة طموحاته، وتمنياته، وما يفكر به..

ولأجل ذلك رأينا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمجرد أن سمع الرؤيا التي رأتها هند، اكتحلت عيناه بدموعه، وقال ـ مرتين ـ: هي هند! اخرجي يا عدوة الله، فقد جددت عليَّ أحزاني، ونعيت إليَّ أحبابي.

فلما خرجت لعنها «صلى الله عليه وآله» ولعن نسلها.

وما ذلك إلا لأن رؤيا هند تعبير عما تختزنه روحها من عداوة لله ولرسوله. فجاءت رؤياها منسجمة مع المسار الذي سوف تتخذه الإرادات الخبيثة التي هي نتاج طموحات وأهواء شيطانية، يغذيها

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٧٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٣٦.

الحقد الدفين، وتحركها نفوس خبيثة وموبوءة بالآثام، ومولعة بالإجرام.

وهذا الموقف النبوي يعطي: أن الأنبياء مطلعون على دخائل الأشخاص، واقفون على ضمائرهم، لأن ما في تلك الضمائر هو من جملة أعمال الناس التي تخضع لعلم الشاهدية.

والنبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يعرف حقيقة الرؤيا، ودلالاتها الواقعية، التي تخوله أن يتخذ موقفه.

وبذلك تكون رؤيا هند بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بمثابة إقرار بتلك الدلالات والأمور التي تفكر فيها، أو تعتلج في صدرها، وإخبار عن أمنياتها، وما تؤمن به، وما تخطط له.

ولكنه تعبير بأدوات لا يفهمها إلا نبي، أو وصي نبي، ليست هي من سنخ الألفاظ، بل من سنخ آخر لا يقصر عنها في الدلالة الصحيحة والدقيقة.

ولولا ذلك لما سمح النبي «صلى الله عليه وآله» لنفسه بأن يسجل لعنها، لكي يتناقله الناس من بعده.

ما لي وليزيد:

عن ابن عباس، قال: لما اشتد برسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضه الذي مات فيه، ضم الحسين «عليه السلام» إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو يجود بنفسه، ويقول: ما لي وليزيد، لا بارك الله فيه. اللهم العن يزيد، ثم غشي عليه طويلاً وأفاق، وجعل يقبل الحسين

وعيناه تذرفان، ويقول: أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل(١).

ونقول:

١ ـ إن هذا التصريح باسم قاتل الإمام الحسين «عليه السلام» قد كان قبل أن يولد ذلك المجرم بسنين كثيرة. فيكون هذا الإخبار الغيبي من دلائل النبوة، وهو حجة على كل من سمعه، أو بلغه، حتى ولو بسند ضعيف، فإن ظهور إرهاصات الحرب بين يزيد وبين الحسين بعد ذلك يكفي لتعريف الناس بصحة ما بلغهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن يمنعهم من المشاركة في جيش يزيد «لعنه الله». الذي تولى قتل الإمام الحسين «عليه السلام» وأهل بيته، وأصحابه.

٢ ـ إن هذا الموقف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجعل النصيحة التي أسداها عدد من الناس للحسين «عليه السلام» بأن لا يخرج إلى العراق، خوفاً عليه من القتل، غير ذات معنى، بل لا مبرر لها، لأن لعن النبي لقاتل الحسين «عليه السلام»، وتسميته باسمه تدل على أنه ظالم معتدٍ على الحسين «عليه السلام».. وأن الإمام الحسين بمسيره إلى العراق، لا يلقي بنفسه إلى التهلكة، بل هو محق فيما يقول

---

(١) مثير الأحزان لابن نما ص١٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٣٧ والدر النظيم ص٥٤٠ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص٢٥٧.

وفيما يفعل.

وتصبح نصيحة هؤلاء الناس بمثابة دعوة له للتخلي عن واجبه، فهي من الأمر بالمنكر، وترك المعروف.

٣ ـ يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يطلب من الحسين «عليه السلام» أن يقدم أو أن يحجم، وما ذلك إلا لعلمه «صلى الله عليه وآله» بأن الحسين «عليه السلام» يعرف تكليفه الشرعي، وسوف يفعل ما هو حق وصواب، وما لا بديل عنه.

فالذين حاولوا أن يثنوا عزم الحسين «عليه السلام» إن كانوا يعرفون بهذا الذي قلناه، فلا يلوموا من يقول: إن المصيبة بهم عظيمة، لأن ذلك معناه: أنهم يرون أنفسهم أعرف بالمصلحة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنهم أحرص على الإمام الحسين «عليه السلام» من جده «صلى الله عليه وآله». وإن كانوا لا يعرفونه، فالمصيبة بهم تكون أدهى وأعظم.

٤ ـ إن قوله «صلى الله عليه وآله»: «ما لي وليزيد، لا بارك الله فيه». يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» يعتبر أن العدوان على الحسين عدوان عليه «صلى الله عليه وآله».. وذلك لأن ما ينقمه يزيد وحزبه على الحسين «عليه السلام» هو أنه يدافع ويحامي عن أطروحة ونهج رسول الله، وينصر دينه الذي جاء به «صلى الله عليه وآله» من عند الله.. فهم يريدون إطفاء نور الله سبحانه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون.

٥ ـ وإذا كان عدوان يزيد على الحسين عدواناً على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمن الطبيعي أن تكون الخصومة والحساب في الآخرة بين المعتدي والمعتدى عليه، ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل، ولم يقل: أما إن لك ولقاتلك مقاماً بين يدي الله.

٦ ـ وأما الحديث عن الغشية، فإن كان يراد بها الغشية التي تأخذ على سمعه وبصره، وقلبه «صلى الله عليه وآله»، فهي تتنافى مع مقام شاهديته «صلى الله عليه وآله» على الخلق، فلا تصح نسبتها إليه «صلى الله عليه وآله»، فلا بد أن يقصد بالغشية معنى لا يتصادم مع خصوصية النبوة وشؤونها.. بل تكون كالنوم الذي لا ينال قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله».. بل تنام عيناه، ولا ينام قلبه.

٧ ـ قد صرحت هذه الرواية: بأن هذا الذي جرى بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين الإمام الحسين «عليه السلام» إنما كان في اللحظات الأخيرة من حياته «صلى الله عليه وآله»، لأنها تقول: إن هذا قد حدث، وهو «صلى الله عليه وآله» يجود بنفسه.

٨ ـ وآخر ملاحظة نسجلها هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ما قال في هذا الجو المتوهج بالعاطفة، المشحون بالخوف، والترقب، وحيث كانت عيون وقلوب الناس مشدودة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتكون كل حركة، أو كل كلمة تصدر منه «صلى الله عليه وآله»، هي الذكرى التي لا تنمحي من الذاكرة بسبب ما اكتنفها من

حالات وانفعالات، وما حملته من أخبار حساسة ترتبط بمستقبل أعز الناس وأحبهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والذي يعرف الناس أن ما يجري له لا ينفصل عما يجري لهم.. وسيترك آثاره إيجاباً أو سلباً على حياتهم ومستقبلهم.

الحسين يسمي قاتله:

روى الطبري بسنده عن حذيفة، قال: سمعت الحسين بن علي «عليهما السلام» يقول:

والله، ليجتمعنَّ على قتلي طغاة بني أمية، ويقدمهم عمر بن سعد. وذلك في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله؟!

فقال: لا.

فقال: فأتيت النبي فأخبرته.

فقال: علمي علمه، وعلمه علمي، وإنا لنعلم بالكائن قبل كينونته(١).

ونقول:

---

(١) دلائل الإمامة ص١٨٣ و ١٨٤ ونوادر المعجزات ص١٠٩ وفرج المهموم ص٢٢٧ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٥٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٢٨٢ وج٨ ص٦٥ والدر النظيم ص٥٣٢.

١ ـ يدل هذا الحديث على أن ما جرى في كربلاء لم يكن بقرار مرتجل من يزيد وحده، بل هو قرار أجمع عليه طغاة بني أمية.. وكان عمر بن سعد رأس حربتهم.

وهذا يعطي: أن هؤلاء الطغاة قد تدارسوا هذا الأمر فيما بينهم، وقلبوه ظهراً لبطن، فوجدوا أنه يتوافق مع أهدافهم، وهوى نفوسهم، ومع خططهم الرامية لإطفاء نور الله تبارك وتعالى، والعودة بالناس إلى حكم الجاهلية.

٢ ـ دلت الرواية على أن الإمام الحسين «عليه السلام» بالرغم من صغر سنِّه، حيث إن عمره حين توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان ست سنوات، يخبر بأمر غيبي، ويصرح باسم من سوف يقود الجيش لقتله، ومصرحاً بأنه لم يسمع ما يخبر به من رسول الله.

٣ ـ فإذا ضممنا إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صدَّق ما قاله الإمام الحسين، قائلاً: علمي علمه، وعلمه علمي، نكون قد وجدنا أنفسنا بحاجة إلى فهم المراد، والجمع بين ما قاله الإمام الحسين «عليه السلام» وما قاله النبي «صلى الله عليه وآله»..

ونجيب:

بأن هذا يعطي: أن للأئمة وسائل مختلفة يحصلون من خلالها على معارفهم، وأن منها ما يتجاوز حدود التعليم المباشر من قبل النبي «صلى الله عليه وآله»، أو الإمام السابق، فقد يعلمون ببعض الأمور من خلال ملك يحدثهم، وقد يكون هناك نوع إشراف وارتباط

بين قلب النبي أو الإمام السابق، وقلب الإمام والوصي اللاحق. وقد نجد ما يؤيد ذلك في القول المأثور: من القلب إلى القلب سبيل(١).

وما روي، من أن الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف(٢).

وقد يجد الإنسان أن أمراً يخطر في باله، وفي نفس اللحظة يخطر ببال جليسه، وغير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

فمن يزور قبورنا؟!:

روي عن علي «عليه السلام» أنه قال ما ملخصه: إن النبي

---

(١) راجع: تفسير الآلوسي ج٢٣ ص٢١٤.

(٢) راجع: روضة الواعظين ص٤٩٢ والأمالي للصدوق ص٢٠٩ وعلل الشرائع ج١ ص٨٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٨٠ ومختصر بصائر الدرجات ص٢١٤ وراجع: المسائل السروية ص٣٧ والتحفة السنية (مخطوط) ص٨٤ ونهج السعادة ج٨ ص٢٥٤ وعون المعبود ج١٣ ص١٢٤ وراجع: بصائر الدرجات ص١٠٩ و ٤١١ وكتاب المؤمن للحسين بن سعيد ص٣٩ والإعتقادات في دين الإمامية للصدوق ص٤٨ والإختصاص للمفيد ص٣١١ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٨٨ ومدينة المعاجز ج٢ ص١٩٧ وبحار الأنوار ج٢ ص٢٦٥ وج٥ ص٢٤١ و ٢٦١ وج٦ ص٢٩٤ وج٢٥ ص١٤ وج٤٥ ص٤٠٤ وج٥٨ ص٣١ و ٦٣ و ٦٤ و ٧٩ و ٨٠ و ١٠٦ و ١٣٤ و ١٣٩ و ١٤٤ وج٦٥ ص٢٠٥ و ٢٠٦.

«صلى الله عليه وآله» زارهم يوماً، فأكل وغسل يده، ثم قام إلى مسجد في جانب البيت، فخر ساجداً، فبكى، وأطال البكاء، فما اجترأ أحد من أهل البيت على سؤاله عن شيء.

فقام الحسين «عليه السلام» يدرج حتى يصعد على فخذي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذ برأسه إلى صدره، ووضع ذقنه على رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: يا أبه، ما يبكيك؟!

فقال له: يا بني، إني نظرت إليكم اليوم فسررت بكم سروراً لم أسر بكم مثله قط، فهبط إلي جبرئيل، فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، فحمدت الله على ذلك، وسألت لكم الخيرة.

فقال له: يا أبه، فمن يزور قبورنا ويتعاهدها على تشتتها.

قال: طوائف من أمتي، يريدون بذلك برِّي وصلتي، أتعاهدهم في الموقف، وآخذ بأعضادهم، فأنجيهم من أهواله وشدائده[١].

ونقول:

حين كان الحسين يدرج:

صرحت الرواية: بأن الحسين «عليه السلام» حين حصلت هذه

---

(١) راجع: كامل الزيارات ص٥٨ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص١٢٦ و ١٢٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٣٤ و ٢٣٥ عنه، والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٢٢ و ١٢٣.

الحادثة كان يدرج. يقال: درج الصبي إذا دب، وأخذ في الحركة.

ودرج: إذا مشى مشياً ضعيفاً، ودباً. والدراجة: التي يمشي عليها الصبي أول ما يمشي(١).

وهذا يعطي: أن ما تحكيه الرواية قد حصل في السنة الخامسة من الهجرة.

ونحن نرى أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» يخاطب الحسين «عليه السلام» بما يخاطب به الرجل الكبير، ويدخله في تفاصيل ودقائق يحاول الناس عادة أن يخفوها عن صبيانهم الذين هم بعمر السبع، أو العشر سنوات حتى لا يؤذوا مشاعرهم، ولا يسببوا لهم الحزن والأسى.

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرى أن الحسين «عليه السلام» حتى وهو بعمر السنة تقريباً قادر على فهم ووعي وتحمُّل أمور يقصر عن فهمها ووعيها وتحملها من هم أكبر منه بسنوات.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» يرى أنه لا مانع من إخباره مثل هذه الأمور الشديدة، وأنه قادر على التعاطي معها بما تستحقه، وكأنه يريد له أن ينال ثواب الصبر عليها، وأن يتهيأ لها، حتى وهو في هذه السن.

---

(١) راجع: لسان العرب ج٤ ص٣١٩ مادة: درج.

فمن يزور قبورنا؟! لماذا هذا السؤال؟!:

ثم إن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يسأل عن سبب قتلهم، ولا عن قاتلهم، بل سأل عما هو أبعد من ذلك، انطلاقاً من أنه يعرف أن مهمتهم هي حفظ هذا الدين، وإيصاله إلى الأجيال المتعاقبة، وأنهم منارات هداية للناس في حياتهم، وبعد مماتهم، وأن لتعاهد قبورهم أثراً كبيراً في وجدان الناس، وفي إعطاء السكينة والسلام والطمأنينة في قلوب المؤمنين..

فإذا كانوا سيموتون قتلاً، فإنما يقتلهم أعداء الدين والشرع والقيم، ولا يكون ذلك إلا حين يصبح الوهن في الدين وأهله شاملاً، وظاهراً، وخطيراً.. ولذلك سأل «عليه السلام» عن أنه إذا كان الأمر سوف يبلغ إلى هذا الحد، فما هو مصير أهل الإيمان؟! وهل سيبقى أحد منهم يتعاهد قبورهم «عليهم السلام»؟!

فجاءه الجواب بما يسر قلبه، ويرضي وجدانه، حيث أخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأن طوائف أهل الإيمان ستبقى قادرة على تعاهد قبورهم «صلوات الله وسلامه عليهم».

يريدون برّي وصلتي:

وقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أتبع كلامه عن الطوائف من أمته التي سوف تتعاهد قبورهم بالإشارة إلى دافعهم من هذا التعاهد.. فقال: إن هذا التعاهد ليس بداعي العصبية، ولا هو على سبيل التمسك بما هو موروث من دون وعي لمضمونه، ولا هو تعاهد

ينطلق من أهداف خاصة، أو للحصول على منافع شخصية ضيقة. بل هو تعاهد واع وهادف ومسؤول، ينطلق من محبة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، والوفاء له، ولأجل صلته، والبر به «صلى الله عليه وآله»، من حيث هو رسول، يدركون قيمة صلته، وفوائد وعوائد توطيد روابطهم به «صلى الله عليه وآله».

وهذا يجعلهم أهلاً للرعاية النبوية التي سيجدونها في الموقع الذي يكونون فيه بأشد الحاجة إليها.. لأن من يهتم بنصر الله ورسوله، حيث يعز الناصر، فإنه يستحق العناية الإلهية، والرعاية والتعاهد النبوي، حيث هو بأمس الحاجة إلى ذلك منه «صلى الله عليه وآله»..

ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: «أتعاهدهم في الموقف، وآخذ بأعضادهم، فأنجيهم من أهواله وشدائده».

الفصل الرابع:

النبي ﷺ أوصى للحسنين ‘..

إعجاب النبي بالحسين ×:

قالوا: كان الحسين بن علي «عليهما السلام» ذات يوم في حجر النبي «صلى الله عليه وآله» يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما أشد إعجابك بهذا الصبي!!

فقال لها: ويلك، وكيف لا أحبه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي، وقرة عيني. أما إن أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي.

قالت: يا رسول الله، حجة من حججك؟!

قال: نعم.. حجتين من حججي.

قالت: يا رسول الله، حجتين من حججك؟!

قال: نعم.. وأربعة. [وأربعاً خ.ل.].

قال: فلم تزل تزاده، ويزيد ويُضْعِفُ، حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأعمارها(١).

---

(١) راجع: كامل الزيارات ص١٤٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٤ ص٤٥١ و (الإسلامية) ج١٠ ص٣٥١ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٢٦٩ والأمالي

ونقول:

نذكر هنا ما يلي:

لماذا تعجب عائشة؟!:

لقد كان الحسين «عليه السلام» في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله» صغير السن، والناس العاديون يقيسون الأشخاص بعدد السنوات والشهور والأيام، وما يتوقعونه من ذي سن معين من حركات، وتصرفات، اعتادوا على رؤية ما يماثلها لدى أشخاص آخرين.

وعلى هذا الأساس كانت نظرة عائشة إلى الإمام الحسين «عليه السلام»، فهي تأخذ تصورها عنه، من خلال ما رأته وعرفته ممن هم في مثل سنه. كما أنها إنما تتفاعل مع ما يتلاءم مع ميولها وطباعها، فقد يكون من يستحق الإعجاب بنظرها الصبي الجميل الصورة، أو ذلك الذي يتفنن في صياغة الأكاذيب، أو الذي يحسن اللعب بالدمى، أو الصبي القوي، الذي يقهر سائر نظرائه، وما إلى ذلك.

ولكن للنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» نظرة أخرى، أعمق، وأصدق، وأوفق بما يقتضيه ناموس الخلقة، وتفرضه مسيرة الكدح نحو الله، فإنه «صلى الله عليه وآله» يزن حركات الصغير والكبير

للطوسي ص٦٦٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٧٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٠ وج٩٨ ص٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٣٩.

وسكناتهما بموازين القيم والأخلاق، والشرع والدين.. والذي يحبه ويعجب به هو ذلك الذي يحمل في داخله قلباً رحيماً، ويكون عاقلاً وحكيماً، جامعاً لكل صفات الكمال والفضل، وسمو الروح، والنبل، وما إلى ذلك..

ولأجل ذلك تعجبت عائشة من إعجاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصبي لا ترى فيه ما يلائم طبعها، ويتوافق مع ميولها وأخلاقها.

بين الحب، والإعجاب:

ثم إن عائشة قد سألت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن سبب إعجابه بهذا الصبي، ولم تسأله عن سبب حبه له..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» أجابها بنحو متضمن للحب وللإعجاب معاً، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: «وكيف لا أحبه، ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي الخ..».

فهل الحب والإعجاب شيء واحد؟! وإذا كانا شيئين، فلماذا جمع «صلى الله عليه وآله» بينهما؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن الإعجاب والحب شيئان، فالحب علاقة وانشداد روحي إلى ذات الشخص، لمزايا ومعانٍ يجدها فيه.. أما الإعجاب بالشيء، فهو مجرد أن يجد في الشخص خصوصية تستثير عجبه، وإن لم يحصل التعلق الروحي بنفس الشخص.

فكأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لمس من عائشة: أنها تريد أن تقول: إن معاملة النبي «صلى الله عليه وآله» للإمام الحسين «عليه السلام» بطريقة مميزة لا تعني شدة حبه له، بل هو يحبه كما يحب أي جدٍ سبطه وحفيده. ولكن هناك حركات، أو خصوصيات في الحسين «عليه السلام» هي التي تثير عجب الرسول «صلى الله عليه وآله»، فيبدو، وكأنه يحبه بصورة فريدة، وبدون ذلك، فليس للحسين «عليه السلام» ما يميزه عن غيره ممن هم في مثل سنه.

فأعاد «صلى الله عليه وآله» الأمور إلى نصابها، وأكد على أن في الحسين «عليه السلام» ميزات وصفات هي فوق حدود تصور عائشة وسواها.

فهو ثمرة فؤاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يملك من السمات والكمالات ما تقر به عينه «صلى الله عليه وآله».

ثم ترقى «صلى الله عليه وآله»، فربط حبه وإعجابه بما هو أعظم من أن يدركه البشر، ولا يعلمه إلا الله..

ويتضح ذلك: مما قرره «صلى الله عليه وآله» من مثوبة زيارة الإمام الحسين «عليه السلام» بعد وفاته، فإن من زار الحسين «عليه السلام» بعد وفاته كان له ثواب تسعين حجة بأعمارها.

وإنما تدرج مع عائشة في ذكر مراتب المثوبة ابتداءً من حجة واحدة إلى أن بلغ تسعين حجة في أعمارها، لأنه يريد أن يفهمها أن الأمر فوق إدراك البشر مهما سموا في العلم والمعرفة والإيمان، ولا

يدركه إلا الأنبياء وأوصياؤهم بتعليم من الله تعالى.

**أوصى النبي صلى الله عليه وآله إلى علي × والحسنين ': **

١ ـ روى علي بن الحكم، عن زياد بن أبي الحلال، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هل أوصى إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» مع أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

قال: نعم.

قلت: وهما في ذلك السن؟!

قال: نعم. ولا يكون لسواهما في أقل من خمس سنين(١).

٢ ـ وفي نص آخر عن أبي بصير: أن الإمام الباقر «عليه السلام» قال رداً على المختارية الذين زعموا أن محمد بن الحنفية إمام: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوصى إلى علي والحسن، والحسين، فلما مضى علي «عليه السلام» أوصى إلى الحسن والحسين. ولو ذهب يزويها عنهما لقالا له: نحن وصيان مثلك، ولم يكن ليفعل ذلك.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٩ ص٣٧٦ و (الإسلامية) ج١٣ ص٤٣٩ والوافي ج٢ ص٣٢٨ وج٢٤ ص١٦٩ و ١٧٠ والحدائق الناضرة ج٢٢ ص٥٦٥ وجواهر الكلام ج٢٨ ص٤٠٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص٢٢٤.

وأوصى الحسن إلى الحسين، ولو ذهب يزويها عنه لقال: أنا وصي مثلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن أبي، ولم يكن ليفعل ذلك. قال الله عز وجل: **(وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ)**(١). هي فينا وفي أبنائنا(٢).

٣ ـ وعن أبي جعفر «عليه السلام»: أوصى رسول الله إلى علي والحسن، والحسين، وهما صبيان(٣)

ونقول:

علينا ملاحظة ما يلي:

هكذا فهموا رواية الإمام الصادق ×:

هناك من يقول: إن المقصود بالحديث الأول المروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، هو الوصية بالأمور المالية، والولاية على

---

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنفال، والآية ٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الكافي ج١ ص٢٩١ و ٢٩٢ وإثبات الهداة ج١ ص٤٤٣ و ٤٤٤ وكنز الدقائق (تفسير) ج٥ ص٣٧٩ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤١٣ والوافي ج٢ ص٢٧٩ و ٢٨٠ ومرآة العقول ج٣ ص٢٦٤ و ٢٦٥ ونور الثقلين (تفسير) ج٢ ص١٧١.

(٣) دلائل الإمامة ص٢٣١ وراجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٣٨ و ١٣٩ وإثبات الهداة ج١ ص٤٨٦ وبحار الأنوار ج٢٣ ص٢٨٦ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٥٠٥ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٤٤٠ و ٤٤١.

الوقف، ونحو ذلك، فقد حكم الفقهاء بأن الوصية فيهما جائزة، بلا فرق بين الكبير والصغير، وبين المميز وغيره، وبين البالغ خمس سنين، ومن زاد أو نقص عن ذلك، وقالوا: إن الحديث المتقدم عن الإمام الصادق «عليه السلام»، الذي يشترط الخمس سنين في صحة الوصية للطفل لم يعمل به الفقهاء، بل ظاهر النصوص والفتاوى خلافه(١).

وقد يقال: إنه يمكن أن يقال: إن عدم عمل الفقهاء بالحديث المذكور، قد يكون في غير محله، وذلك إذا قلنا: إن المقصود بالحديث المشار إليه: أن الوصية إلى الحسنين صحيحة مطلقاً. وتصرفهما نافذ في جميع أدوار وسني، وأيام حياتهما، أما الوصية لغير الحسنين «عليهما السلام»، فهي مشروطة ببلوغ خمس سنين، والوجه في ذلك: أنه قد دل الدليل على أن الحسنين كانا قادرين على التصرف الصحيح، وهما في عمر السنة، والسنتين، أو أكثر، أو أقل.. وقد صدقت ذلك كلمات ومواقف وتصرفات الرسول «صلى الله عليه وآله» معهما، ونزول الآيات في حقهما. ولكن لا يحق لغير الحسنين «عليهما السلام» التصرف إلا بعد صيرورته مميزاً، صحيح التصرف، وهو إنما يكون كذلك غالباً حين بلوغه خمس سنوات فما

(١) راجع: جواهر الكلام ج٢٨ ص٤٠٣ و ٤٠٤ والحدائق الناضرة ج٢٢ ص٥٦٥.

بعدهما.

فظهر بذلك: أن الرواية لا تمنع من الوصية للصغير والكبير، والمميز وغيره، ولكنها تمنع من تصرفات من لم يبلغ الخمس سنين لعدم إحراز بلوغه درجة التمييز قبل هذا السن. فيوجب تصرفاً وفساداً لا مبرر له.

المعنى الأقرب إلى القبول:

غير أننا نقول:

إننا لا نرتضي تفسير الرواية بهذا الوجه ولا بذاك، ولا نرتضي أيضاً بموقف الفقهاء منها، بل نقول:

إنها خارجة عن مورد البحث من الأساس، لأنها ناظرة لمقام الإمامة. شاهدنا على ذلك: أن السؤال الذي وجه إلى الإمام الصادق «عليه السلام» إنما كان عن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي والحسنين «عليهم السلام» في آن واحد.

فأجابه «عليه السلام» بالإيجاب، وأن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد أوصى إلى الثلاثة معاً..

وفي الرواية الثانية نجد: أن أبا جعفر قد أبطل إمامة ابن الحنفية بنفس هذه المعادلة التي سئل عنها الإمام الصادق «عليه السلام»، وهي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أوصى لعلي والحسنين «عليهم السلام» في آن واحد.

فلم يكن علي «عليه السلام» يملك إقصاء الحسنين «عليهما السلام»، ويعطي الإمامة لرجل لرجل آخر، كولده محمد مثلاً، لأن الحسنين «عليهما السلام» سوف يحتجان عليه بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نصبهم في آن واحد.. كما أن الحسن لم يكن قادراً على إقصاء الحسين، وإعطائها لأحد ولده، لأن الحسين «عليه السلام» سيحتج عليه بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جعل له الولاية له «عليه السلام» في نفس الوقت الذي جعلها فيه للحسن «عليه السلام».

فسياق الرواية الثانية عن الإمام الباقر «عليه السلام»، وموضع الكلام فيها هو الإمامة.. وقد ارتكزت في إبطال إمامة ابن الحنفية إلى أن المعيار هو النص والوصية الصادرة من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وإنما نص على علي والحسنين «عليهم السلام».

والإمامة بعد الحسين «عليه السلام» إنما تكون ـ بحسب نص آية **(وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ)**(١) ـ للإمام السجاد «عليه السلام»، ثم للباقر، والصادق، إلى أن ينتهي الأمر بالإمام الحجة «صلوات الله عليهم أجمعين».

وهذا هو ما قرره «عليه السلام» بقوله أخيراً: «وهي فينا وفي أبنائنا». يعني الإمامة.

---

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنفال، والآية ٦ من سورة الأحزاب.

لماذا خمس سنين؟!:

يبقى هنا سؤال يقول: إذا كان مراد الإمام «عليه السلام» أن الوصية لعلي والحسنين «عليهما السلام» معناها النص على إمامة كل واحد منهم بصورة تراتبية، أوضحته الرواية الثانية التي ردت على مقالة المختارية ـ إذا كان الأمر كذلك ـ فكيف نفهم اشتراط الخمس سنين في غير الحسنين «عليهما السلام»؟! ولماذا استثني الحسنان دون سواهما من هذه القاعدة؟!

والجواب عليه قد ظهرر مما أشرنا إليه آنفاً، من أن هذا الشرط إنما هو بملاحظة تعامل الناس العاديين مع أمثال هذه الأمور. فيتعاملون مع صغير السن على أنه طفل، لا عبرة بأقواله وأفعاله، ما لم يصل إلى مرحلة التمييز والفهم والإدراك. ويرون أن أكثر من كان في سن الخامسة فما دونها ليس بهذه المثابة، بل ولا يعدونه مميزاً بين الأمور، ويعرف الحسن من القبيح، وما إلى ذلك.

ولكن الأمر بالنسبة للحسنين «عليهما السلام» مختلف، فإن الآيات القرآنية، وأقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهما، وتعامله معهما تعامل الكبار، فتراه يشركهما في حكم سد الأبواب، والنبي «صلى الله عليه وآله» أخذ البيعة منهما، وهما بعمر سنتين وثلاث، ثم ما ظهر منهما «عليهما السلام» من تصرفات، وما صنعه الله تعالى لهما، وأظهره على أيديهما من كرامات، ـ إن ذلك ـ قد عرَّف الناس: أن أعمارهما لا تدل على مستوى إدراكهما، ولا تعبر

عن واقعهما، وما حباهما الله تعالى به.

فصحت الوصية لهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والإخبار عن إمامتهما في حال صغر سنهما «عليهما السلام»، بل من حين ولادتهما.

حديث أم أسلم:

روى الكليني «رحمه الله» ما ملخصه: أن أم أسلم التي كانت قد قرأت كتب الأمم السالفة، وفيها: أن لكل نبي وصياً، جاءت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وسألته عن وصيه من هو؟!

فقال لها: «من فعل فعلي هذا فهو وصيي..

ثم ضرب بيده إلى حصاة من الأرض، ففركها بأصبعه، فجعلها شبه الدقيق، ثم عجنها، ثم طبعها بخاتمه، ثم قال: من فعل فعلي هذا، فهو وصيي في حياتي وبعد مماتي.

قالت: فخرجت من عنده، فأتيت أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقلت: بأبي أنت وأمي أنت وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: نعم يا أم أسلم. ثم ضرب بيده إلى حصاة، ففركها، فجعلها كهيئة الدقيق. ثم عجنها، وختمها بخاتمه. ثم قال: يا أم أسلم، من فعل فعلي هذا فهو وصيي.

فأتيت الحسن «عليه السلام» وهو غلام، فقلت له: يا سيدي أنت وصي أبيك؟!

فقال: نعم يا أم أسلم، وضرب بيده وأخذ حصاة، ففعل بها كفعلهما.

فخرجت من عنده، فأتيت الحسين «عليه السلام» ـ وإني لمستصغرة لسنه ـ فقلت له: بأبي أنت وأمي، أنت وصي أخيك؟!

فقال: نعم يا أم أسلم، ايتيني بحصاة، ثم فعل كفعلهم.

فعُمِّرت أم أسلم حتى لحقت بعلي بن الحسين بعد قتل الحسين «عليه السلام» في منصرفه، فسألته: أنت وصي أبيك؟!

فقال: نعم، ثم فعل كفعلهم «صلوات الله عليهم أجمعين»(١).

وقد روي نفس هذا المضمون مع بعض الإضافات والاختلافات، ولكنهم قالوا: إن القضية كانت مع أم سليم، وذكروا: أنها امرأة من النمر بن قاسط، وليست أم سليم الأنصارية، ولا أم سليم الدوسية، ولا الثقفية، ولا أم سليم الخافضة، التي كانت تخفض الجواري في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

---

(١) الكافي ج١ ص٣٥٥ و ٣٥٦ وإثبات الهداة ج٢ ص٤٠٣ ومدينة المعاجز ج٤ ص٣٠٧ ـ ٣٠٨ وج١ ص٥١٦ ـ ٥١٨ وج٣ ص٢٥٠ ـ ٢٥١ و ٤٦٧ ـ ٤٦٨ وينابيع المعاجز ص١٧٥ و ١٧٦ ومرآة العقول ج٤ ص١٠٥ و ١٠٦ والوافي ج٢ ص١٤٦ و ١٤٧ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٩ ص٣٨٧.

(٢) مقتضب الأثر ص٣٠٧ ـ ٣١٢ و (المكتبة العلمية ـ قم) ص٢٠ و ٢١ وإثبات الهداة ج٢ ص٥٨٦ و ٥٨٧ وبحار الأنوار ج٢٥ ص١٨٥ ـ ١٩٠

وهذه القضية رواها غير الشيعة، لكن النص المرتبط بالإمام الحسين «عليه السلام» فيها جاء هكذا: «فخرجت من عنده، فلقيت الحسين «عليه السلام»، وكنت عرفت نعته من الكتب السالفة بصفته، وتسعة من ولده أوصياء بصفاتهم، غير أني أنكرت حليته لصغر سنه.

فدنوت منه، وهو على كسرة رحبة المسجد، فقلت له: من أنت يا سيدي؟!

قال: أنا طلبتك يا أم سليم. أنا وصي الأوصياء، وأنا أبو التسعة الأئمة الهادية. أنا وصي أخي الحسن. وأخي وصي أبي علي. وعلي وصي جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فعجبت من قوله، فقلت: ما علامة ذلك؟!

فقال: ايتيني بحصاة.

فرفعت إليه حصاة من الأرض.

قالت أم سليم: لقد نظرت إليه وقد وضعها بين كفيه، فجعلها كهيئة السحيق من الدقيق. ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء، فختمها بخاتمه. فثبت النقش فيها، ثم دفعها إلي وقال لي: انظري فيها يا أم سليم، فهل ترين فيها شيئاً؟!

قالت أم سليم: فنظرت، فإذا فيها رسول الله «صلى الله عليه

وأسرار الشهادة ص١٧٠ والثاقب في المناقب ص٥٦٢ و ٥٦٣ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٩ ص٣٨٨ ـ ٣٩٢.

وآله»، وعلي، والحسن والحسين، وتسعة أئمة «صلوات الله عليهم» أوصياء من ولد الحسين «عليهم السلام»، قد تواطأت أسماؤهم إلا اثنين منهم: أحدهما جعفر، والآخر موسى. وهكذا قرأت في الإنجيل.

فعجبت، ثم قلت في نفسي: قد أعطاني الله الدلائل، ولم يعطها من كان قبلي، فقلت: يا سيدي، أعد عليَّ علامة أخرى!

قالت: فتبسم، وهو قاعد، ثم قام، فمد يده اليمنى إلى السماء، فوالله، لكأنها عمود من نار تخرق الهواء، حتى توارى عن عيني. وهو قائم، لا يعبأ بذلك، ولا يتحرّز، فأسقطت وصعقت، فما أفقت إلا به.

ورأيت في يده طاقة من آس، يضرب بها منخري، فقلت في نفسي: ماذا أقول له بعد هذا؟!

وقمت وأنا ـ والله ـ أجد إلى ساعتي رائحة هذه الطاقة من الآس. وهي ـ والله ـ عندي، لم تذو، ولم تذبل، ولا تنقص من ريحها شيء، وأوصيت أهلي أن يضعوها في كفني.

فقلت: يا سيدي، من وصيك؟!

فقال: من فعل مثل فعلي. الخ..»(١).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٩ ص٣٨٩ و ٣٩٠ عن مقتضب الأثر ص٣٠٨ ـ ٣١٢ و (المكتبة العلمية ـ قم) ص١٨ ـ ٢١ وإثبات الهداة ج٢ ص٥٨٦ و ٥٨٧ وبحار الأنوار ج٢٥ ص١٨٥ ـ ١٩٠

ونقول:

متى جرى هذا؟!:

ولا ريب في أن هذا الحديث قد جرى في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكن ليس في هذا النص ما يدل على تاريخ حصول ذلك بالشهر والسنة بالتحديد، ولكننا نعلم: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يزل يهتف باسم علي «عليه السلام»، ويؤكد على إمامته من بعده كلما وجد إلى ذلك سبيلاً. وكانت ذروة ذلك أخذه البيعة له من أكثر من مئة ألف من المسلمين فيما عرف بيوم الغدير، حين رجوعه «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع، قبل استشهاده «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً.

فمن البعيد أن تكون أم أسلم، أو أم سليم، أو غيرها لم تسمع بهذه البيعة، الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى أن سؤالها النبي «صلى الله عليه وآله» عن وصيه قد كان قبل حجة الوداع.

ويبدو: أن هذه المرأة كانت تعيش في منطقة نائية، ولم تسمع الشيء الكثير من أقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمير المؤمنين، وأبنائه الطاهرين «عليهم السلام».. وإن كانت قد سمعت بشيء من ذلك، فلعلها أرادت التأكد والتوثيق لما سمعت.

وأسرار الشهادة ص١٧٠ والثاقب في المناقب ص٥٦٢ و ٥٦٣.

المعجزة هي الجواب:

إن طرق إثبات الوصاية والإمامة مختلفة، ولكن أيسرها، وأقربها إلى وجدان الناس هو النص الصريح من الله ورسوله.. وإظهار المعجز الذي لا يكون إلا من نبي أو وصي نبي.

وهذا المعجز قد يكون علماً خاصاً لا يتيسر لأحد من الناس العاديين، كالإخبارات الغيبية عن أمور لا سبيل للبشر إليها، ثم ظهور صحة ما أخبر به.

وقد يكون فعلاً لا يصدر إلا من نبي أو وصي نبي، كإبراء الأكمه والأبرص، وتسبيح الحصى بيده، وكهذا الفعل بالحصى التي تصير شبه الدقيق إذا فركها الإمام أو النبي بإصبعه، يعجنها، ويطبعها بطابعه.

أو نحو ذلك من التصرفات التي تدخل في سياق الفعل الإعجازي.

وقد اختار «صلى الله عليه وآله» أن يعطي أم أسلم هذه العلامة على الإمامة، لأنه لو اكتفى بالنص، والتعيين المباشر، فإن هذا النص قد ينتهي أمده، وتصبح الاستفادة منه بعد ذلك رهناً بإرادات الآخرين، الذين قد يلجأون للتكتم عليه، أو إنكاره، أو للتشكيك فيه، من خلال التشكيك بصدق من ينقله، أو بسلامة حفظه، وقد يلجأون إلى التأويل، أو إلى التحريف والتبديل في مضمونه، وقد.. وقد..

ولكن إذا كانت علامة الإمامة أمراً معجزاً يراه الناس بصورة مباشرة وحية في لحظة صدوره من الإمام، فلا يبقى سبيل للتملص أو

التخلص منه إلا بالجحود، والإنكار للواضحات، وإنما يضر هذا بفاعله، ويدينه، ويفضحه، ولا يؤثر على سائر من شاهد وعاين. أو فقل: لا يعطي عذراً لمن عاين وشاهد لمشاركة الجاحد في جحوده.

العلامة وفعلية معنى الإمامة:

ومن الفوائد والعوائد لهذه العلامة: أنها تكرس معنى الإمامة في الإمام بصورة فعلية، ولا يبقى مجال للتعلل: بأنه «صلى الله عليه وآله» إنما أخبر عن حصول معنى الإمامة في هذا الشخص أو ذاك، في وقت ما في المستقبل. حيث يصبح من الممكن ادِّعاء حصول البداء في هذا الأمر، لأسباب لا يعلمها إلا الله تعالى.

ولأجل ذلك، فإن أم أسلم حين التقت بعلي، والحسن، والحسين في ذلك اليوم، أو في تلك البرهة القصيرة في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، كما دل عليه قولها: بأنها أتت الحسن «عليه السلام» وهو غلام، وأتت الحسين «عليه السلام»، وهي مستصغرة لسنّه.

وقد صنع كل واحد منهم ما صنع رسول الله «صلى الله عليه وآله». وظهرت نتائج صنعه في تلك الحصيات، فذلك يعني ثبوت معنى الإمامة في علي والحسن، والحسين «عليهم السلام» في نفس تلك اللحظة، ولا مجال للقول: بأن الإمامة ستحصل لعلي بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، أو أنها ستحصل للحسن «عليه السلام» بعد استشهاد أبيه، وستحصل للحسين «عليه السلام» بعد استشهاد أخيه، فإنه كلام لا معنى له. ولا منطق يساعده.

وأما اشتراط أن تكون إمامة الحسن «عليه السلام» بعد استشهاد أبيه، وإمامة الحسين بعد استشهاد أخيه، فإنما يراد بها: أن التصدي الفعلي لشؤون الإمامة من قبل الإمام اللاحق إنما يكون بعد استشهاد الإمام السابق.. فالإمامة مجعولة له من النبي نفسه، وانتهى الأمر. ولا يراد بها: أن معنى ومقام الإمامة سيجعل له بعد استشهاد أبيه، أو أخيه.

الثقافة تسهل الهداية :

وقد لاحظنا: أن أم أسلم، أو أم سليم، التى اطلعت على كتب الأمم السالفة قد أدركت أن لكل نبي وصياً، وعرفت صفته، ولم يبق أمامها سوى تحديد شخصه، ومعرفته بصورة مباشرة، وهذا يدل على أن العلم والمعرفة يسهل على الإنسان المتوازن الوصول إلى الحق، ويهيئوه لقبوله.

واللافت: أن أم أسلم قد عرفت نعت الحسين من كتب تلك الأمم، وقد أنكرت صغر سنه، فلم تطبق ـ لأول وهلة ـ النعت على المنعوت، والصفة على الموصوف. والذي أخرجها من حيرتها هو أنها لما سألته: من أنت يا سيدي؟!

قال: أنا طلبتك يا أم سليم. أنا وصي الأوصياء. أنا أبو التسعة إلخ..

فإن جوابه هذا كان كافياً وشافياً لها، فقد أعلمها بأنها إنما تبحث عنه، وأعلمها ـ بالرغم من صغر سنه ـ بكل ما كانت تريده من بحثها

عنه.

ولكنها أرادت أن تتوثق من الأمر، فقد يقول لها قائل: لعلها كلمات خطرت على بال صبي صغير، فطفحت على لسانه، ولعله قد سمع من الآخرين هذا النوع من الكلام، فأعاد ما سمعه..

فطلبت منه علامة تثبت ما قاله، فكانت العلامة هي ما يفعله الإمام بالحصاة على النحو الذي شاهدته من النبي، وعلي، والحسن «صلوات الله وسلامه عليهم».

إيتيني بحصاة:

وقد ذكر النص الثاني: أنه «عليه السلام» لم يبادر هو إلى اختيار الحصاة، بل طلب من أم سليم أن تكون هي التي تختار أي حصاة شاءت، وتناوله إياها.

وهذا أيضاً يقطع دابر أي شك أو ريب من أهل الريب، والباطل في أن يكون هو «عليه السلام» قد اختار، أو أعدَّ حصاة تتفتت إذا فركت بالأصابع.

وإذا كان أحد يريد أن يبالغ في الجحود، فيدعي: أن الصدفة هي أوصلت إلى هذه الحصاة الرخوة إليه، فإن ثمة أمراً آخر قد حسم الأمر، وهو: أن الحصاة التي صارت دقيقاً قد أصبحت ياقوتة حمراء، قد ثبت النقش الذي أراده «عليه السلام» فيها.

هل ترين فيها شيئاً؟!:

١ ـ ولم يقتصر الأمر على هذا، بل ناولها «عليه السلام» لأم سليم، وقال: انظري فيها يا أم سليم، هل ترين فيها شيئاً؟!

وقد كان «عليه السلام» عارفاً بما فيها، ولكنه أراد أن يثير رغبة أم سليم بالنظر فيها، لترى فيها دلالة أخرى من دلائل إمامته..

وقد رأت فيها أسماء النبي والأئمة، وهي نفس الأسماء التي قرأتها في الإنجيل.

٢ ـ واللافت: أن الإنجيل المتداول بين أيدي الناس في أيامنا هذه لا يتضمن هذه الأسماء.. وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على أنه ليس هو نفس الإنجيل الذي قرأته أم سليم.

ويدل على أن الإنجيل الحقيقي كان موجوداً في تلك الفترة، ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون هناك إنجيل محرَّف يتداوله الناس، ويحاولون إشاعته، وهذا الأمر يحتاج إلى بحث وتمحيص، نسأل الله أن يوفق أهل الفضل للقيام به على أتم وجه، بل إن هناك دلائل قرآنية وغيرها تشير إلى أن التوراة الحقيقية كانت موجودة في عهد الرسول، ولكن أحبار اليهود كانوا يحاولون ترويج مكتوبات أخرى لتضليل الناس بها.

تسبيح الحصى في يد الحسين ×:

وروي في حديث: أنه «صلى الله عليه وآله» دفع الحصى إلى

الحسن والحسين «عليهما السلام»، فسبحت في أيديهما. ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الحصى لا يسبحن إلا في يدي نبي، أو وصي نبي. والحسن والحسين من عترتي، وأوصيائي، وخلفائي[(١)].

وعن زيد بن أرقم، قال: سبع حصيات سبحن في كف رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فوضعها في يد الحسن بن علي «عليه السلام»، فسبحن، كما سبحن في كفه.

ثم وضعها في كف الحسين «عليه السلام»، فسبحن في كفه.

وكل من حضر من الصحابة أخذ الحصيات، ولم يسبحن في أيديهم.

فسئل «عليه السلام» عن ذلك، فقال: الحصى لا يسبحن إلا في كف نبي، أو وصي نبي. الحديث[(٢)].

ونقول:

قلنا أكثر من مرة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان حريصاً على إعطاء الناس معايير وضوابط توصلهم إلى الحق، وتحصنهم من

---

(١) إثبات الهداة ج٢ ص٥٥٢ عن كتاب تحفة الطالب للشيخ محمد بن علي العاملي الشامي، نقلاً عن كتاب المصابيح، من كتب العامة.

(٢) إثبات الهداة ج٢ ص٥٦٠ عن كتاب تحفة الطالب للشيخ محمد بن علي العاملي الشامي، نقلاً عن كتاب المصابيح، من كتب العامة.

الوقوع في براثن الاستغلال والتضليل، فجعل سبيلهم إلى معرفة الإمام والإمامة النص الصريح الصادر عن النبي أو الوصي.

فإن حاول المغرضون والطامعون إنكار النص، أو العبث بالنص، بالتصرف والتحريف، أو ادِّعاء نصوص موازية، أو تأويل مضمونه، أو ما إلى ذلك، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد أرشد إلى ما يدفع غائلة هذا العدوان الهادف إلى العبث بمستقبل الناس عن طريق تزوير الحقائق، والتضليل. فبين للناس: أن هناك طريقاً آخر يضمن لهم التمييز بين الصحيح والسقيم، وبين السليم والمزيف. وهو العلم الخاص الذي يختص الله به نبيه ووصيه..

فإذا لم يستطع العلماء حسم هذا الأمر لأسباب قاهرة، أو خوفاً من سلطة ماكرة وفاجرة، فهناك طريق ثالث، وهو إظهار المعجزة التي لا يقدر عليها من البشر أحد سوى الأنبياء وأوصيائهم، ومنها تسبيح الحصى في يد النبي والوصي..

فما قرره لنا هذا الحديث يدخل في نطاق العمل على صيانة فكر، وعقائد الناس، كما قلنا.

وعدم تسبيح الحصى في يد من ليس بوصي بعد تسبيحه بيد الأوصياء يزيل كل شك، ويدفع أية شبهة، ويبطل كل ادِّعاء مزيف.

ولا نستطيع أن ننفي هنا أن يكون هدف البعض من أخذ الحصى لكي يسبح في يده، فلم يحصل على ما أراد، هو: أن لديه طموحاته لادِّعاء ما لا يستحق، ويسعى إلى أمر لا يملك المؤهلات له.

الفصل الخامس:

في وفاة الرسول صلى الله عليه وآله..

هذا هو الإرث العظيم:

١ ـ الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن الزبير بن أبي بكر، عن إبراهيم بن حمزة الزبيري، عن إبراهيم بن علي الرافعي، عن أبيه، عن جدته بنت أبي رافع [عن أمها] قالت: أتت فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بابنيها الحسن والحسين «عليهما السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شكواه الذي توفي فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك، فورثهما شيئاً.

[وفي نص آخر: انحل ابني هذين يا رسول الله(١). أو: يا رسول الله، هذان ابناك فانحلهما](٢).

فقال: أما الحسن، فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين، فإن له جرأتي وجودي [سخائي](٣).

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٣ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٩.

(٢) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٤.

(٣) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ وبحار الأنوار ج٤٣

زاد في نص آخر: أن فاطمة قالت: رضيت يا رسول الله، فلذلك كان الحسن حليماً مهيباً، والحسين نجداً جواداً(١).

وسند الخصال هكذا: الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن محمد بن علي، عن عبد الله بن الحسن بن محمد، وحسين بن

ص٢٦٣ عنه، وروضة الواعظين ص١٥٦ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٥ عن كتاب السؤدد، عن سفيان بن سليم، وعن الإبانة عن العكبري بالإسناد إلى زينب بنت رافع، والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٤٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٨٤ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٧٠ والمعجم الأوسط ج٦ ص٢٢٢ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٤٢٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٧ ص٢٦٨ وج١٢ ص١١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢٩ و ٢٣٠ وأسد الغابة ج٥ ص٤٦٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٠ والإصابة ج٨ ص١٥٨ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٩٩ وعن الإرشاد للمفيد ص١٦٩ وإعلام الورى ص٢١٠ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٤١٢ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٢٣ وكشف الغمة ج٢ ص١٣٩ ونفس الرحمن ص٢٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٠٨ و ٧٠٩ وج١٨ ص٥٤٥ و ٥٤٦ وج٢٥ ص٥٠٥ وج٢٦ ص٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ وج٢٧ ص٦٠ وج٣٣ ص٥٩٢ .

(١) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩٣ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٩ وشرح الأخبار ج٣ ص١٠٠ و ١٠١.

علي بن عبد الله بن أبي رافع، عن شيخ من الأنصار، يرفعه إلى زينب بنت ابن أبي رافع، عن أمها(١).

٢ ـ الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن محمد بن جعفر، عن إبراهيم بن محمد، عن صفوان بن سليمان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: أما الحسن فأنحله الهيبة والحلم، وأما الحسين فأنحله الجود والرحمة(٢).

ونقول:

الزهراء ÷ تطلب توريث الحسنين:

قد يدور في خلد الباحث الأريب: أن يكون حديث طلب الزهراء «عليه السلام» توريث ولديها الحسن والحسين «عليهما السلام» مفتعلاً بهدف الإيحاء بصحة الحديث الذي أطلقه أبو بكر حين وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله»، ومنع بموجبه الزهراء «عليها السلام» عن إرثها.. وهو الحديث الذي نسبه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»:

---

(١) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٣ عنه.

(٢) الخصال (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣هـ ق) ص٧٧ و ٧٨ وقرب الإسناد ص١١٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٣ و ٢٦٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠١ ونفس الرحمن ص٢٩٩.

«نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»(١).

وهو الحديث المخالف لنص القرآن، على قانون التوريث، ولم يستثن أحداً حتى الأنبياء الذين صرح بتوريثهم أيضاً كما في قوله تعالى: **(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ)**(٢)، وقوله تعالى على لسان زكريا

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢١٠ وج٥ ص٨٢ و ١٥٣ ومسند أحمد ج١ ص٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٠٠ وج٧ ص٦٥ وج١٠ ص١٤٣ وج١٧ ص٢٥٧ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٧٦ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٥ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٦٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص١٩٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٥٣ وج١٤ ص٥٧٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٨ ص١٥٢ والإكمال في أسماء الرجال ص١٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣١٥ وكنز العمال ج٥ ص٦٠٤ وتركة النبي «صلى الله عليه وآله» لحماد بن زيد البغدادي ص٨٢ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٢٢ والسقيفة وفدك للجوهري ص١٠٧ والعمدة لابن البطريق ص٣٩٠ و ٣٩١ والطرائف لابن طاووس ص٢٥٨ و ٢٥٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٢٢ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١١١ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤١٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٤٠ وشرح أصول الكافي ج٧ ص٤٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٥ ص٥٣٥ وج٣٣ ص٣٥٦ .

(٢) الآية ١٦ من سورة النمل.

«عليه السلام»: **(فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)**(١). وغير ذلك.

غير أن علينا أن نتذكر في هذا السياق ما يلي:

أولاً: أن الحسنين «عليهما السلام» لا يرثان من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع وجود أمهما التي هي ابنته لصلبه «صلى الله عليه وآله»، إذ لا يرث السبط مع وجود من هو متقدم عليه في طبقة الإرث.

وهذا يدل على أن المقصود بالإرث في طلبها هو الإرث المعنوي، الذي يدل على أن الحسنين «عليهما السلام» يجمعان الصفات الجميلة والجليلة وتميزهما عن سائر البشر، ليعرف الناس أهليتهما لمقام الإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والاضطلاع بالمهمات التي لا يتولاها إلا نبي أو وصي نبي يحمل ميزاته، ويتحلى بصفاته على أتم وجه.

ولأجل ذلك جاءها الجواب منه «صلى الله عليه وآله» بما يؤكد هذا المعنى، حيث لم يقل لها: نحن معاشر الأنبياء لا نورث السبط مع وجود الطبقة السابقة عليه، لأنه «صلى الله عليه وآله» يجل الزهراء «عليها السلام» عن أن تقصد الإرث للمال، لأنها تعلم: أن ولديها ليسا من طبقة من يرثه فعلاً، لأنها متقدمة عليهما في الطبقة الإرثية كما

(١) الآيتان ٥ و ٦ من سورة مريم.

قلنا.

بل قال لها: إنه يورثهما من صفاته التي تتجلى فيهما بصورة تامة، بعد تجليها بأخيه علي «عليه السلام». لتكون دليلاً قاطعاً لكل عذر فيما يرتبط بإمامتهما.

ثانياً: إننا نشك في أن تكون الزهراء «عليها السلام» قد طلبت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» توريث ولديها حتى لما هو من قبيل السمات والصفات، فإن الصفات والسمات أيضاً غير قابلة للتوريث، لأن التوريث يستبطن معنى الانتقال القهري، ولا مجال لهذا المعنى في صفات الفعل التي هي مرهونة بالاختيار، وتحتاج للمبادرة.

وبذلك يتضح أيضاً: أن نقل هذه الصفات للغير لا يمكن أن يكون على سبيل الجعل والاعتبار، كما هو الحال في نقل الملكية من شخص لآخر.. فإن الأفعال ليست من الأمور الاعتبارية كالملكية والرقية والزوجية، وما إلى ذلك..

ثالثاً: إن الروايات قد اختلفت في بيانها لحقيقة ما طلبته الزهراء «عليها السلام»، فإن بعضها وإن كان قد ذكر أنها طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يورثهما.. لكن بعضها الآخر ـ كما ظهر مما تقدم ـ يقول: إنها طلبت منه «صلى الله عليه وآله» أن ينحلهما، وأنها «عليها السلام» قالت: «انحل ابنيّ هذين يا رسول الله. أو: يا رسول الله، هذان ابناك فانحلهما».

ولعل هذا المعنى هو الأقرب للاعتبار، إذا فسرنا النحلة بأنها إعطاء بلا مقابل.

وقد أعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحسن «عليه السلام» صفات: «الهيبة، والسؤدد، والحلم». ونحل الحسين «عليه السلام»: «الشجاعة والجود، والنجدة، والرحمة».

وذلك بما بثه فيهما من علوم ومعارف، وما غرسه في عمق وجودهما من خلق كريم، وما عايناه ووجداه فيه من أسوة وقدوة، وما تجلى لهما من بركة وخير وفضل في هذه الصفات.

فالنبي أعطاهما بمختلف أساليب العطاء، وهما قد أخذا، وأحسنا الأخذ، لكل ما نحلهما إياه.

التمييز بين الحسنين في الصفات:

ويبقى هنا سؤال عن سبب هذا التمييز بين الحسنين «عليهما السلام» فيما نحلهما النبي «صلى الله عليه وآله» إياه من صفات وميزات؟!

وسؤال آخر: عن فاقدية كل أخ أيضاً للصفات التي أعطيت لأخيه، كما أشير إليه ما في ذيل إحدى الروايات، حيث قالت: «فلذلك كان الحسن حليماً مهيباً، والحسين نجداً جواداً».

ونجيب:

بأنه لا يوجد تمييز ولا تميُزٌ بين الحسنين «عليهما السلام» في

الصفات، بل كل منهما كان يجمع الصفات كلها، فلم ينقص صفات أحدهما عن صفات أخيه الآخر، ولم يزد عليه في اية واحدة منها.. ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشار إلى تجلي صفات معينة في الإمام الحسن «عليه السلام»، وأن ذلك إنما هو بحكم طبيعة الظروف التي سوف يعيشها، والأوضاع التي سيواجهها.

فإن ما يسمى بالصلح الذي جرى بينه وبين معاوية، كان أعظم نصر، ولكن الكثيرين لم يفهموا معناه ومغزاه، ولم يدر بخلدهم ما سيترتب عليه من ثمرات وبركات، فانزعجوا، واطلقوا ألسنتهم بالنقد والاعتراض.. وربما تجاوز الحدود الكثيرون منهم أو من غيرهم ممن اتخذوا من ذلك ستاراً للبوح بما في نفوسهم، في التعبير عن انزعاجهم.. فاحتاج «عليه السلام» إلى معاملتهم بالعفو والحلم، والصبر على سوء تصرفهم، ووعورة أخلاقهم.

كما أنه حين كان يرى أن بني أمية ـ ولاسيما معاوية ـ يحاولون التأثير على ضعفاء النفوس، واجتذاب الناس إليهم عن طريق إظهار أبهة الملك، والعظمة، والشوكة، والهيبة، وتهوين أمر آل علي «عليه السلام»، وحمل الناس على التجرؤ عليهم، والاستخفاف بهم، وكسر هيبتهم. فقد احتاج الإمام الحسن «عليه السلام» إلى إظهار السؤدد والهيبة، والقوة، حفظاً للناس من السقوط في براثن معاوية وبني أمية.

أما الإمام لحسين «عليه السلام»، فقد اقتضت ظروفه التي عاشها مع الأخطبوط الأموي، الباغي، والمتجرئ على انتهاك أعظم

الحرمات ـ احتاج ـ إلى إظهار الشجاعة في الموقف، وإلى الدفاع عن الحق بحزم، وعن المظلومين باستبسال وفداء وتضحية، ونجدتهم من موقع الحاجة، فكان أن تجلت فيه سمات الشجاعة والنجدة.

كما أنه حين يرى استئثار بني أمية بالأموال، وحرمان الآخرين منها، وإذلالهم في الحصول عليها.. كان لا بد أن تتجلى فيه سمات الجود والكرم والسخاء، في مساعدته لأهل الحاجة.

كما أن صفات الرحمة لا بد أن تتجلى فيه بأبهى صورها، وهو يرى معاناة المسحوقين، ويعيش آلامهم ومراراتهم.

النبي ﷺ يشم الحسنين ' قبيل موته:

قالوا: «ودعا النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن والحسين قرب موته، فقربهما وشمهما، وجعل يرشفهما، وعيناه تهملان»(١).

ونرى: أن هذا النص يحتاج إلى بيان. فإن هذه الدموع الغزيرة لم تكن لمجرد توقع أنه سوف يموت، فإنه «صلى الله عليه وآله» أصبر الصابرين، وأعظم المتوكلين.. بلا ريب.

ولكن الحقيقة هي: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعلم بما سيجري على هذين الإمامين بالذات. ولطالما قبَّل أحدهما في فمه،

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٣٣ وج٤٣ ص٣٨١ والمحجة البيضاء ج٨ ص٢٧٨ وكشف الغمة ج١ ص١٨.

والآخر في نحره في إشارة منه إلى كيفية قتلهما. وقد أخبر «صلى الله عليه وآله» في مرات كثيرة بما يجري على الحسنين «عليهما السلام».. لا لشيء، إلا لأنهما يريدان حفظ شريعة جدهما، وضمان سلامة الدين.

ولكي يتذكر الناس هذه اللحظات التي هي بالغة الحساسية، لأنها لحظات قريبة من ساعة موت جدهما، ومعاملته «صلى الله عليه وآله» معهما تدل على مكانتهما من جدهما، وأن هذه المكانة والعلاقة العاطفية الجياشة إلى أقصى مدى قد استمرت إلى آخر لحظات حياته «صلى الله عليه وآله»، فلا يستطيع أحد أن يدَّعي أن أمراً قد طرأ، وأوجب تعكير صفو هذه العلاقة.

إذن، فكل ما سوف يواجه به أعداء الله الحسنين «عليهما السلام» من مكاره وأذايا سيكون مضاداً تماماً لمنهج وطريقة وأهداف، وسياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله» معهما.

وتكون النتيجة هي: تصويب كل ما يصدر من الحسنين «عليهما السلام»، وتخطئة كل مناوئيهما في ما يقولون ويفعلون.

ليلة الحزن:

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم، عن أبيه «عليهما السلام» قال: لما كانت الليلة التي قبض النبي «صلى الله عليه وآله» في صبيحتها دعا علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، «عليهم السلام» وأغلق عليه وعليهم الباب، وقال: يا فاطمة، وأدناها منه، فناجاها من

الليل طويلاً، فلما طال ذلك خرج علي ومعه الحسن والحسين، وأقاموا بالباب..

إلى أن تقول الرواية عن علي «عليه السلام»: «وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان قدميه، ويبكيان بأعلى أصواتهما»(١).

ونقول:

دعاهم، وناجاها:

صرحت الرواية المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا ليلة وفاته علياً وفاطمة، والحسنين «عليهم السلام». فلما دخلوا عليه أغلق الباب عليه وعليهم، ثم ناجى فاطمة طويلاً دون سائرهم.

والسؤال هو: لماذا دعاهم، وناجاها دونهم. فإن المناجاة هي الانفراد بالحديث مع الغير، دون أن يسمع الحاضرون الآخرون؟!

وقد روي: أنه إذا كان ثلاثة، فلا يتناجى منهم اثنان دون صاحبهما. فإن ذلك مما يحزنه ويؤذيه(٢).

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٩٠ ـ ٤٩٢ عن الطرائف لابن طاووس ص٣٨ ـ ٤٤ وعن مصباح الأنوار ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) الكافي ج٢ ص٦٦٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص١٠٥ و (الإسلامية) ج٨ ص٤٧٢ ومرآة العقول ج١٢ ص٥٦٢ ومشكاة الأنوار ص١٨٩ و ٣٣٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٩٩ وج٢ ص٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٦٩ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢٥٠.

وفي الروايات الأخرى: لا يتناجى اثنان دون الثالث، أو دون صاحبهما (فإن ذلك مما يغمه)[١].

---

(١) الكافي ج٢ ص٦٦٠ وهداية الأمة ج٥ ص١٥٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص١٠٥ و (الإسلامية) ج٨ ص٤٧٢ وراجع: مستدرك الوسائل ج٨ ص٣٩٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٦٤ وغوالي اللآلي ج١ ص١٤٦ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٠٠ وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٣٢ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٤٦ وصحيح البخاري ج٧ ص١٤٢ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٨٢ وصحيح مسلم ج٧ ص١٣ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٤١ وسنن الترمذي ج٤ ص٢٠٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٣٢ ومجمع الزوائد ج٤ ص٨١ وج٨ ص٦٣ وفتح الباري ج١١ ص٦٩ و ٧١ وج١٢ ص٣٧٥ وعمدة القاري ج٢٢ ص٢٦٧ و ٢٦٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٩٣ ومسند الحميدي ج١ ص٦١ وج٢ ص٢٨٧ ومسند ابن الجعد ص١٨٣ و ٣٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص١١٧ والأدب المفرد للبخاري ص٢٥٠ ومسند أبي يعلى ج٤ ص٣٣٢ وج٩ ص٥٠ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٣٤٢ و ٣٤٤ و ٣٤٦ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٤٣ و ١٥٦ و ٢٨١ و ٣٣٤ وج٥ ص١٧٤ والمعجم الصغير ج٢ ص٩ والمعجم الكبير ج٩ ص١٨٦ وج١٠ ص١٤٠ و ١٨٩ وج١٢ ص٢١٤ ومسند الشاميين ج١ ص٤١٢ وشعب الإيمان ج٧ ص٥١٠ والاستذكار ج٨ ص٥٧١ و ٥٧٢ والتمهيد لابن عبد البر ج١٥ ص٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ ورياض الصالحين ص٦٣١ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٢٦ والجامع الصغير ج١ ص١٢٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٩ ص٢٨ و

فالنهي عن النجوى إذا كان لأجل أن من لم يشارك فيها، ولم يسمع ما قاله المتناجيان سوف يحزن، فلا ريب في أن علياً «عليه السلام» والحسنين «عليهما السلام» لا يحزنون إذا ناجى النبي ابنته فاطمة الزهراء «عليها السلام»، فلا يكون هذا المورد مشمولاً للنهي.

غير أن من الواضح: أن هذا الذي حدث يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يرى علياً، والحسنين «عليهم السلام»، وسائر الناس مناجاته لابنته، ولكنه لا يريد لهم حتى لعلي والحسنين «عليهم السلام» أن يسمعوا مضمون المناجاة، ربما لأن ذلك يؤثر على عواطف الحسنين «عليهما السلام»، ويسبب لهما الحزن الشديد.

كما أنه إذا رأى الناس: أن علياً والحسنين «عليهم السلام» قد

---

٤٥ و ٤٦ وج١٦ ص٣٣١ وكشف الخفاء ج١ ص٩٧ وج٢ ص٣٧٠ وتفسير البغوي ج٤ ص٣٠٨ والمحرر الوجيز ج٥ ص٢٧٨ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٤٧ وفتح القدير ج٥ ص١٨٨ وأضواء البيان ج٤ ص١٩٣ والتفسير الوسيط للزحيلي ج٣ ص٢٦١٣ والتاريخ الكبير ج٢ ص٣٠٥ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٩٩ وج٤ ص١٤٣ و ٢٨٦ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٤ ص١٨٥ وعلل الدارقطني ج٥ ص٦٩ و ٧٠ وتاريخ بغداد ج٨ ص١٥٤ وج١٠ ص١١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٥٥ وج٢٢ ص٣٠١ وسير أعلام النبلاء ج١٤ ص٤٥٣ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٢٠.

منعوا من سماع ما يقوله النبي «صلى الله عليه وآله» لابنته «عليها السلام»، فإن ذلك سوف يثير فضول الناس، واستهجانهم، ويدفعهم إلى التساؤل عن سبب هذا الأمر الذي لم يعهد منه «صلى الله عليه وآله»، كما أنهم سوف يتساءلون عن الأمر الذي لا يصح أن يسمعه حتى علي وولداه، لكي يمهد هذا التصرف إلى حل هذا الإشكال، حين يرون بعد موته مباشرة ما يجري على فاطمة «عليها السلام» وسيدركون أن الأمر الذي ناجاها فيه كان مرتبطاً بهذه التحولات، وأن موقفها الذي رأوه كان بتوجيه من أبيها.

وقد أفصح علي «عليه السلام» لعائشة في نفس تلك الساعة عن أنه كان عارفاً بمضمون المناجاة، وأنها أمور ترتبط بما دبروه ضد علي وأهل البيت «عليهم السلام» بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» من قبل، حيث أعدوا العدة للوثوب على مقام الخلافة، وأخذه من صاحبه من دون حق.

فقد صرحت نفس الرواية: بأن عائشة قالت له حين خرج «عليه السلام» مع ولديه، حتى صاروا بباب البيت، وعائشة وسائر الناس كانوا خلف الباب: لأمر ما أخرجك منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخلا بابنته دونك في هذه الساعة.

فقال لها علي «عليه السلام»: قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له، وهو بعض ما كنت فيه وأبوك وصاحباه الخ..

وهذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان بصدد إيكال مهمة

لفاطمة ترتبط بما كان بعض الأصحاب قد دبره بليلٍ.

حزن الحسنين ‘:

ولا شك في أن لحزن الحسنين الشديد، وبكائهما العالي، بل بأعلى الأصوات، وتقبيلهما قدمي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ـ إن لذلك ـ دلالاته وإشاراته..

فأولاً: لا يمكن لأحد أن يتهم الحسنين «عليهما السلام» اللذين هما بعمر الأطفال بالتصنع وافتعال البكاء، فهما صادقان في هذا الحزن بلا شك..

ولا بد أن يقارن بين حزنهما البالغ هذا وبين ما سمعه من أن أبا بكر قال لعلي «عليه السلام» حين موت رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما لي أراك متحازناً؟!

فقال له «عليه السلام»: إنه قد عناني ما لم يعنك..

ففوجئ أبو بكر بالأمر، واضطر أن يدعي أنه هو الآخر حزين على الرسول، فراجع(١).

فأبو بكر لا يرى مبرراً لحزن علي «عليه السلام» الذي رباه رسول الله «صلى الله عليه وآله» منذ صغره، وعاش معه أكثر

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣١٢ وكنز العمال ج٧ ص٢٣٠ و (ط مؤسسة الرسالة) ج٧ ص١٥٩ وحياة الصحابة ج٢ ص٨٤ ونهاية الإرب ج١٨ ص٣٩٨ و ٣٩٩.

حياته، وزوَّجه ابنته سيدة نساء العالمين، وآمن هو بنبوته. وجاهد وضحى بكل ما يستطيع في تأييده ونصرته.. فبالرغم من هذا وسواه يصف حزن علي «عليه السلام» بأنه تحازن!!

والفرق بين الحزن والتحازن، كالفرق بين البكاء والتباكي. فإذا كان علي «عليه السلام» بنظر أبي بكر متحازناً، فهل كان يرى أن غير علي من سائر الناس يمكن أن يحزن على النبي حقيقة؟!

وهل يمكن أن نصدق أن أبا بكر قد حزن على النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يحزن عليه علي؟!

ولكن جواب علي «عليه السلام» لأبي بكر وضعنا أمام أمرين:

أولهما: أن قوله: لقد عناني ما لم يعنك. قد تضمن إشارة إلى الدليل على صدق علي «عليه السلام» في حزنه هذا على النبي «صلى الله عليه وآله»، وأن اتهام أبي بكر له بالتحازن غير صحيح. وهذا الدليل هو أن فقد الرسول «صلى الله عليه وآله» خسارة لعلي «عليه السلام»، لأنه هو المستفيد الأكبر من بركات وجوده.

الثاني: إن جوابه هذا قد اضطر أبا بكر إلى أن يدَّعي الحزن على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن يبحث عن الأدلة والشواهد على صحة دعواه هذه.

أي أن جواب علي «عليه السلام» قد ساق أبا بكر إلى الوقوع في التناقض، فإن ادِّعاءه الحزن لا يتلاءم مع ما دل عليه سؤاله لعلي «عليه السلام». ولاسيما حين اختار كلمة «متحازن»، لا كلمة

«حزين».

وثانياً: إن هذا الحزن الشديد من الحسنين «عليهما السلام» قد حصل ـ في حين كان النبي «صلى الله عليه وآله» لا يزال على قيد الحياة، فكيف كان حزنهما بعد حصول الوفاة؟! وهل كانا يبكيان انطلاقاً من عوامل نفعية وشخصية، كالاستجابة لداعي القرابة والرحم، أو لأجل فقد من كانا قد أنسا به، واعتادا عليه. أو لأنهما وجدا لديه فيضاً من الحب والرعاية، وكثيراً من الاهتمام، والحنان؟! أم أن الأمر أبعد من ذلك؟!

ونجيب:

بأن ذلك كله، وإن كان له تأثير في إثارة العاطفة، وهيجان النفس بالحزن إلى درجة البكاء.

ولكن ليس بالضرورة أن يصل الأمر إلى حد البكاء بأعلى أصواتهما. فالحقيقة هي أن هذا الحزن البالغ أقصى مداه إنما هو نتاج جهد عقلي، ووجداني بفداحة الخسارة، وتبلور إحساس روحي بعظمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفسه، وبقيمته كرسول، وأنهم يفقدون به أفضل وأشرف الكائنات، وأعظم البركات، وأجلّ النعم الإلهية على جميع المخلوقات.

فليس بكاؤهما «عليهما السلام» بكاءً شخصياً أنانياً، ضيق الأفق ومحدوداً بحدود الزمان، أو المكان، أو الأشخاص، أو ما إلى ذلك.. بل هو بكاء أئمة كشف الله لهم الحجب، وأراهم ما لا يراه غيرهم،

وعرَّفهم الكثير الكثير من الأسرار التي أهلتهم لأن يكونوا الأئمة للخلق، والهداة إلى الحق.

تزود النبي صلى الله عليه وآله من الحسنين ‘:

وقالوا: إنه حين أغمي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرض موته جاء الحسن والحسين «عليهما السلام» يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأراد علي «عليه السلام» أن ينحيهما عنه، فأفاق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: يا علي، دعهما، أشمهما ويشماني، وأتزود منهما ويتزودان مني(١).

ونقول:

نحتاج هنا إلى توضيح بعض الأمور، فنقول:

هل أغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله؟!:

تقول الرواية: إنه حين أغمي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرض موته جاء الحسنان الخ.. والسؤال هو: هل يعرض الإغماء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! بمعنى أنه هل يمكن أن يفقد «صلى الله عليه وآله» الوعي أو الشعور بمن حوله؟!

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٣ و ٢٩٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٢١ و ٥٢٢ والأمالي للصدوق ص٧٣٦.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن الناس وإن كانوا ينظرون إلى النبي «صلى الله عليه وآله» على أنه بشر مثلهم في كل الأمور، ولكن الميزان ليس هو نظرة الناس، وإنما الميزان ما يخبرنا عنه الله ورسوله، والذي وجدنا النصوص متضافرة على تأكيده: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن كان بشراً، ولكنه ليس مثلهم في كل حالاته، لأنه قد سبقهم إلى نيل كرامات الله، وحباه الله بألطافه، ومنحه الكثير مما حرم البشر أنفسهم منه، ومع ذلك نقول:

في البشر القويُّ والضعيف، والعالم والجاهل، والعاقل والمجنون، والذكي والغبي الخ..

فالناس إذا رأوا النبي «صلى الله عليه وآله» ينام، فقد يتوهمون أن نومه كنومهم، مع أنه «صلى الله عليه وآله» قد صرح: بأن عينيه تنامان، ولا ينام قلبه.

ثانياً: أن للنبي «صلى الله عليه وآله» مقام الشاهدية على الخلق.. فلا بد أن يكون نومه لا ينافي شاهديته.

فإذا رأى الناس أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أغمي عليه، فإن هذا الإغماء لا بد أن لا يزيد على حالة النوم التي قال عنها هو نفسه: إنها لا تصل إلى حد فقد الشعور بمن حوله، لأن قلبه لا ينام.. ولأن له ذلك المقام. كما أن موت الأنبياء والشهداء لا يمنع من معرفتهم

بالأمور[١]. ولهذا البحث مجال آخر.

الصياح والبكاء:

تقدم: أن بكاء وصياح الحسنين «عليهما السلام» وحزنهما الشديد على النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن لمجرد فقد جدهما القريب، والحبيب، والأنيس، والجليس، وغير ذلك مما يعود إليهما كأشخاص.

وإنما لما هو أكبر وأهم وأخطر من ذلك، فإنهما يحزنان لأجل فقدهما، وفقد المخلوقات، بل الكائنات كلها الخير والكمال، والنعمة الإلهية بأتم وأجلى مظاهرها..

أشمهما، ويشماني:

وقد ظهر من قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: أنه يريد أن يشم الحسنين «عليهما السلام»: أن الحسنين «عليهما السلام» لو كانا مجرد طفلين عاديين، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يظهر تجاههما من العاطفة والمحبة إلا ما يتناسب مع حالهما وميزاتهما..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف أنهما «عليهما السلام» أفضل خلق الله تعالى بعد أبويهما وجدهما. ويرى فيهما كل الخير والكمال والميزات التي يحبها الله ورسوله، ويأنس بها. فهو «صلى

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٨ ص٣١٥ ـ ٣١٧.

الله عليه وآله» يحبهما بمقدار ما يحب هو هذه الأمور..

وإذا شمهما «عليهما السلام»، فإنما يشمها فيهما، ولأجل ذلك كانا «عليهما السلام» ريحانتاه من الدنيا.

وبنفس هذه الروحية وهذه النظرة، وهذا الفهم للأمور، وهذا التفكير يشم الحسنان جدهما أيضاً.. مما يعني: أنهما يملكان من العقل والوعي والمعرفة ما يجعلهما قادرين على فهم الأمور على حقيقتها.

الأمر لعلي ثم للحسن ثم للحسين ٨:

جاء في بعض النصوص الاحتجاجية ـ إما لعلي «عليه السلام»، أو لأبي ذر ـ: أن المتكلم قال(١) في جملة ما قال: «لقد علمتم، وعلم خياركم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: الأمر بعدي [لعلي بن أبي طالب]، ثم لابنيَّ [منه] الحسن والحسين، ثم للطاهرين من ذريتي»(٢).

ونقول:

---

(١) إن العبارة التي ذكرناها يحتمل أن تكون من تتمة كلام أبي ذر «رحمه الله»، ويحتمل أن تكون من كلام أمير المؤمنين «عليه السلام».

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٠٠ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٩٥ والدرجات الرفيعة ص٢٣٧ وراجع: اليقين لابن طاووس ص٣٣٩ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٤٠ ونهج الإيمان ص٥٨١.

١ ـ إن هذا النص يثبت: أن الحسنين «عليهما السلام»، اللذين كانا حين موت رسول الله «صلى الله عليه وآله» صغيرين، بعمر ست وسبع سنوات معصومان مطهران، وأن هذه العصمة والطهارة سوف تستمر، وأنهما «عليهما السلام» يجمعان كل الصفات والميزات، والشرائط التي يفترض توفرها في الإمام، من العلم، والشجاعة، والطهارة، والعصمة، وغير ذلك.

٢ ـ يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد نص هنا أيضاً على بنوة الحسنين «عليهما السلام» له.

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد بين أن في ذريته طاهرين، فالإمامة تكون لهم، دون سواهم، فدلنا بذلك على أنه ليس لبني أمية، ولا لبني العباس، ولا لغيرهم حق في تولي الأمر من بعده، لأنهم ـ أولاً ـ ليسوا من ذريته، ولأنهم ـ ثانياً ـ لا يمكن أن يدَّعوا الطهارة لأنفسهم.

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله»، وإن لم يبين قصده من كلمة الطهارة، ولكن معناها المقصود كان قد شاع وذاع، ولاسيما بعد نزول آية التطهير.

التزود من الطرفين:

والأهم من ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» أخبر بأنه يريد التزود منهما، ويريد لهما أيضاً: أن يتزودا منه. وهذا يعني: أن ثمة شيئاً منهما سوف يبقى مع الرسول، ليكون زاداً له في رحلة الآخرة، وأن

شيئاً سوف يبقى لهما بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» سيكون زاداً لهما في حياتهما في الدنيا، وفي سفرهما إلى الآخرة أيضاً.

والزاد هو ما يستفاد منه في تغذية ونماء، وحفظ استمرار شيء آخر يراد له البقاء، فقد يراد تغذية الروح، وقد يراد تغذية العقل، أو تغذية الوجدان، أو تغذية البدن، أو غير ذلك.

فقد يكون لبعض الذكريات، أو المعارف، أو الأعمال، كالعبادات، أو المواقف والتصرفات ـ قد يكون لها ـ دور في تغذية بعض الملكات، وفي تقوية روح الصمود، أو الصبر في مواجهة المصاعب.. أو تعطي قوة على العبادة، وتكون زاداً يفيد في تنشيط الحركة في طلب مرضاة الله، أو في خدمة عباده، أو في الدفاع عن المظلومين، أو ما إلى ذلك.. فإذا شم الحسنان «عليهما السلام» رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنما منه يشمان عبق النبوة بما لها من دفقات روحية، ومن تعاليم وقيم أخلاقية، ومن سمو في النظرة، وصفاء في التفكير، ويقظة للوجدان.

أما التزود للآخرة حين يشم النبي «صلى الله عليه وآله» الحسنين «عليهما السلام»، فقد يكون لأجل أن نفس إظهار هذه المحبة والرعاية منه «صلى الله عليه وآله» لهما سوف تمنحهما قوة وصلابة، وتجعل لهما موقعاً في ضمير الأمة يمكنهما من حفظ الدين. وبما أن أعمال الخلائق من موجبات رفعة مقام الرسول «صلى الله عليه وآله»، فإن تصرفه هذا سيؤدي إلى قوة الدين وأهله، وستكثر

الطاعات، ويندحر الباطل، وهذا زاد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يوجب رفعة مقامه في الآخرة. فإنه «صلى الله عليه وآله» بما بذله من جهد في تأكيد مقام الحسنين «عليهما السلام» في الأمة، وفي تعريف الأمة بما لهما عند الله إنما يهيئ زاده في الآخرة حتى حين يقبلهما ويشمهما، ويصرح بحبهما وحب الله لهما. مما يؤدي إلى إفشال مكر الماكرين، فيرتفع بذلك درجات رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد يكون بغير ذلك.

اشتراك الحسنين ' في التغسيل والصلاة:

١ ـ وقد أوصى النبي علياً «عليه السلام» إذا أراد تغسيله، بقوله: «وأحضر معك فاطمة، والحسن والحسين «عليهم السلام»، من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي»[1].

٢ ـ كما أن مما أوصى به النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» فيما يرتبط بالصلاة عليه أنه قال:

«يا علي، كن أنت وابنتي فاطمة، والحسن والحسين، وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبر خمساً وانصرف. وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة.

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٩٢ و ٤٩٣ وج٧٨ ص٣٠٤ عن الطرائف لابن طاووس ص٤٢ وعن مصباح الأنوار ص٢٧٠ وراجع: الصراط المستقيم ج٢ ص٩٤.

قال علي «عليه السلام»: بأبي وأمي، من يؤذن غداً؟!

قال: جبرئيل «عليه السلام» يؤذنك.

قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون علي فوجاً فوجاً، ثم نساؤهم، ثم الناس بعد ذلك»(١).

وعن سلمان: «..فلما غسله وكفنه، أدخلني، وأدخل أبا ذر، والمقداد، وفاطمة، وحسناً وحسيناً «عليهم السلام»، فتقدم وصففنا خلفه وصلى عليه الخ..»(٢).

ونقول:

الحسنان إمامان:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام» بأن يشرك الحسنين في الصلاة عليه، مع أنهما كانا ـ بنظر الناس ـ طفلين، ثم أمره بأن يحضرهما غسله وهما بنفس هذا العمر.

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ وج٧٨ ص٤٢ و ٤٣ و٤٥ عن الطرائف، وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٥٠ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩.

(٢) ملاذ الأخيار ج٢ ص٤٧٧ و ٤٧٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩ والاحتجاج للطبرسي ص٨٠ و (ط دار النعمان) ج١ ص١٠٥ و ١٠٦ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٠٦ وج٧٨ ص٣٨٥ والأنوار البهية ص٤٧ وغاية المرام ج٥ ص٣١٥.

وأمره أيضاً بأن يشرك الزهراء «عليها السلام» في الغسل وفي الصلاة.

وهذا قد يشير:

إلى أن نظرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الحسنين «عليهما السلام»، وهي تعبر عن الوحي الإلهي، ليست كنظرة الناس إليهما.. فإن مشاركتهما في الصلاة على النبي «صلى الله عليه وآله» قد تكون من منطلق كونهما إمامين معصومين، والمعصوم هو الذي يصلي على المعصوم..

وعنصر العصمة هذا لعله هو السبب في إشراك فاطمة «عليها السلام» في التغسيل وفي الصلاة..

ولأجل مقام الإمامة والعصمة صلى الإمام الجواد «عليه السلام» على أبيه، وصلى الإمام الهادي على الإمام الجواد، وصلى الإمام الحجة على الإمام العسكري.

إذن جبرئيل:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن جبرئيل هو الذي يؤذن علياً «عليه السلام» بالصلاة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولعله لأنه يشترط في الصلاة على الميت إذن الولي، والولي لأشرف المخلوقات، وأفضل الكائنات هو رب العالمين، فهو الذي يأذن بالصلاة عليه، وجبرئيل هو المبلغ لهذا الأمر عن الله سبحانه.

ولعل ذلك لأجل تشريف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من

جهة، وتكريم علي «عليه السلام» من جهة أخرى.

تغسيل الميت، والنظر إلى عورته:

وتقدم: أن مما أوصى به النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» أن يحضر معه فاطمة والحسنين «عليهم السلام»، من غير أن ينظروا إلى شيء من عورته.

ونقول:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» قد غسل النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في قميصه(١).

ثانياً: ورد في الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لا يحل أن يرى مجرَّدي إلا علي(٢).

والمقصود بالعورة التي لا يجوز لأحد رؤيتها من النبي «صلى الله عليه وآله» هو جسده الذي يواريه القميص، فإنه يجوز لعلي «عليه السلام» رؤيته، ولا يجوز لغيره من البشر. أما العورة المعهودة، فإن رؤيتها حرام على كل الناس، من النبي «صلى الله

---

(١) هناك نصوص كثيرة دلت على ذلك، فراجع كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٩ ص٣٨ ـ ٤٢.

(٢) مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٩٤ والعمدة لابن البطريق ص٢٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٣٣ والإيضاح لابن شاذان ص٥٣٤.

عليه وآله» ومن غيره، في الحياة وبعد الممات.

وقد رووا: أن علياً «عليه السلام» قد عصب عيني الفضل بن العباس حتى لا يرى شيئاً مما يواريه القميص من جسده الشريف، وذلك لحرمة رؤية ذلك على الناس، كحرمة رؤية العورة نفسها.

ويبدو: أن هذا هو المقصود من نهي النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» عن أن يرى الحسنان وأمهما «عليهم السلام» شيئاً من عورته. فإن مراده «صلى الله عليه وآله»: أن لا

ملحـــق:

الحسين يسأل أبا هريرة!!:

زعم بعض المؤرخين: أن الإمام الحسين «عليه السلام» سأل أبا هريرة عن دخول رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله عز وجل، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه إلخ..(١).

ونقول:

أولاً: إن أبا هريرة ليس من العارفين بأحوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يسأله عنه..

ثانياً: من أين اطلع أبو هريرة على ما يفعله النبي «صلى الله عليه وآله» حين دخوله إلى بيته؟! ومن أين عرف مقدار ما يمنحه لأهله من وقته، وما يمنعه عنهم؟!

ثالثاً: ألم يكن علي «عليه السلام» أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأعرف بمدخله ومخرجه من أبي هريرة؟! فلماذا لم يسأل الحسين أباه «عليهما السلام»؟!

رابعاً: إن الحسين «عليه السلام» نفسه أعرف برسول الله

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص١٧٨.

«صلى الله عليه وآله» من أبي هريرة، ومن سائر الناس. ما عدا أهل بيت الرسول «صلى الله عليه وآله».

رواية الجزيرة الخضراء:

وقد زعمت رواية الجزيرة الخضراء: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد حجة الوداع قرأ القرآن من أوله إلى آخره، وكلما مر بموضع فيه اختلاف بيّنه له جبرائيل «عليه السلام»، وعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» يكتب ذلك في درج من أدم. وذلك بحضور جماعة منهم: الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وحسان بن ثابت، فالجميع قراءة أمير المؤمنين «عليه السلام»(١).

ونحن لا نريد أن نتوسع في الكلام حول هذا النص المزعوم، بل نكتفي بالقول: بأن هذه الرواية ساقطة من أساسها، وقد كتبنا حول هذه الرواية المزعومة كتاباً باسم الجزيرة الخضراء.. وقد بيّنّا فيه أنها لا يمكن الاعتماد عليها، ولا الأخذ بمضامينها، لكثرة المؤاخذات التي ترد عليها..

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢ ص١٥٩ ـ ١٧٤ والنص موجود أيضاً في تبصرة الولي ص٢٤٣ ـ ٢٥١ وثمة مصادر أخرى قد أوردته ولكنها قد نقلته عمن ذكرنا، ولذا فلا حاجة إلى ذكرها.

ومن أراد التوسع في البيان، فليراجع الكتاب المشار إليه، أو يكتفي بهذه الإلماحة العابرة على قاعدة: الحر تكفيه الإشارة.

إخبار غيبي على مائدة الطعام:

ذكرت بعض الروايات: أن حذيفة بن اليمان دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يوم التاسع من ربيع الأول، وعنده علي والحسنان «عليهم السلام»، وهم يأكلون مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو يخبرهم بمقتل رجل في هذا اليوم تصدر منه أمور هائلة، تجاه أهل البيت «عليهم السلام»(١).

ونقول:

ماذا عن التاسع من ربيع الأول؟!:

هناك من يريد أن يطبق هذا الإخبار الغيبي على عمر بن الخطاب، مدَّعياً أنه قتل في التاسع من ربيع الأول.. ويمكن تأييد قوله هذا بما قالت الرواية الآنفة الذكر: أنه سيفعله، وهو إحراق بيت الوحي، ورد شهادة علي، واغتصاب فدك، ولطم وجه الزهراء الخ..

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣١ ص١٢٠ ـ ١٣٢ وج٢٠ ص٣٣٢ وج٩٥ ص٣٥١ ـ ٣٥٥ وهوامش البحار، عن كتاب زوائد الفوائد، وعن دلائل الإمامة، وعن مصباح الأنوار للشيخ هاشم بن محمد، وعن الأنوار النعمانية، وراجع: مستدرك الوسائل ج١ ص١٥٥ عن الشيخ المفيد، والعقد النضيد والدر الفريد ص٦٠ ـ ٦٤ والمحتضر ص٩٣ ـ ١٠١.

ولكن ما يرويه كثيرون عن تاريخ وفاة عمر، لا يساعد على قبول هذا، فقد ذكروا: أن عمر قتل في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة(١).

بل ادُّعي الإجماع على ذلك(٢).

فلا مجال للخروج عن هذا الإجماع إلا بدليل..

ونحن وإن كنا قد بحثنا هذا الأمر في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وأثبتنا من خلال محاسبات معينة: أن الأرجح هو أن يكون قد قتل في شهر ربيع الأول.. ولكن إيراد جميع ما ذكرناه هناك سيكون استطراداً طويلاً ومملاً، فمن

---

(١) راجع: الإستيعاب ج٣ ص١١٥٢ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ ص٤٣٩ والوافي بالوفيات ج٢٢ ص٣٠٤ والبداية والنهاية ج٧ ص١٥٥ وبحار الأنوار ج٣١ ص١١٣ و ١١٥ و ١١٨ و ١١٩ وج٥٥ ص٣٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٣٦٥ ومسار الشيعة ص٤٢ والعدد القوية ص٣٢٨ و ٣٢٩ والمصباح للكفعمي (ط مؤسسة الأعلمي سنة ١٤١٤ هـ) ص٦٧٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٦٦ والمعجم الكبير للطبراني ج١ ص٧٠ وفتح الباري ج٩ ص١٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص١٠٩ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤ ص٤٦٣ و ٤٦٦ والكنى والألقاب ج٣ ص١٦٧ ومصادر ذلك كثيرة جداً.

(٢) راجع: المصباح للكفعمي (ط مؤسسة الأعلمي سنة ١٤١٤ هـ) ص٦٧٧ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٣٧٢ وج٣١ ص١١٩.

أحب أن يطلع على ما قلناه، فليراجع كتاب الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٤، فصل: قتل عمر، واتهام علي «عليه السلام».

إنما هو علم من ذي علم:

تقول الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يخبر علياً والحسنين «عليهما السلام» أموراً لم تقع، ويفصلها لهم بدقة، مع انها أمور هائلة، وخطيرة جداً على أهل البيت «عليهم السلام» بما فيهم علي والحسنان، ولها مساس مباشر بالحالة العاطفية، وبالكيان، والعنفوان، وهي محزنة، ومثيرة لهم إلى أقصى الدرجات.

فلولا أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف أن الحسنين «عليهما السلام»، بالرغم من صغر سنهما كانا في مستوى الحدث، وأنهما قادران على تحمل هذه الأمور الكبيرة والخطيرة، لما أخبرهما بها، ولكان اختار الزمان والمكان اللذين لا يكونان حاضرين فيهما.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» إنما يمنحهما ويغذوهما بعلم الإمامة، ومن الواضح: أن المعرفة بالحوادث الكبرى قبل وقوعها، يساهم في إعداد الإنسان لمواجهة هذه الأمور الخطيرة بالوعي والفكر، والصبر، والثبات، لا بالإنفعال العاطفي، والاستعظام، كما يفعله الناس العاديون في مثل هذه الأحوال.

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يختار وقت تناول الطعام ليخبر علياً الحسنين «عليهم السلام» بهذه الأخبار المرة، لأن الإنسان الهادف،

والمسؤول لا يهتم للطعام والشراب، بل يهتم بهدفه الأسمى، ويلتذ بالتفكير والتدبير، والعمل من أجل الوصول إليه، والحصول عليه.

كما أنه قد يكون من جملة أهدافه «صلى الله عليه وآله»، من إخبارهم أثناء الطعام، هو: أن يظهر من خلال ذلك: أن مرارة الخبر، لا تخرجهما عن دائرة الإتزان والتعقل، ووضع الأمور في نصابها. وهذا يدلل على بعد نظرهما، وحسن تقديرهما للأمور، وأن لذائذهما الجسدية لا قيمة لها في مقابل لذائذهما الروحية، باكتساب العلوم والمعارف.

٤ ـ إن ما عاينه حذيفة بن اليمان قد دلنا على أن ما يخبر به الأئمة الطاهرون المعصومون «عليهم السلام»، ليس مجرد استشراف للأمور، ولا هو من قبيل الخواطر السانحة، التي يطلقونها على سبيل الحدس والتخمين، وإنما هي علم من ذي علم، اختصهم الله تعالى، ورسوله «صلى الله عليه وآله» به ليكون علامة الإمامة، والدليل على اختيار الله تعالى لهم هداة، وقادة للعباد، وأمناءه في البلاد.

ويكون هذا العلم الخاص، هو العاضد والشاهد على سلامة النص على إمامتهم، والدافع للناس للزوم الالتزام به، والانتهاء إليه.

رواية محمد بن حرب الهلالي:

حدثنا أبو علي أحمد بن يحيى المكتب قال: حدثنا أحمد بن محمد الوراق قال: حدثنا بشر بن سعيد بن قلبويه المعدل، بالرافقة قال:

حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني قال: سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد «عليه السلام»، فقلت له: يا بن رسول الله، في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها؟!

فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني، وإن شئت فسل.

قال: قلت له: يا بن رسول الله، وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟!

فقال: بالتوسم والتفرس. أما سمعت قول الله عز وجل: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)**(١). وقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله.

قال: فقلت له: يا بن رسول الله، فأخبرني بمسألتي.

قال: أردت أن تسألني عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لِمَ لَمْ يطق حمله علي «عليه السلام» عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته، وما ظهر منه في قلع باب القموص بخيبر، والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً. وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يركب الناقة والفرس والحمار، وركب البراق ليلة المعراج، وكل ذلك دون علي في القوة والشدة.

قال: فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يا بن رسول الله،

---

(١) الآية ٧٥ من سورة الحجر.

فأخبرني.

فقال: إن علياً «عليه السلام» برسول الله تشرَّف، وبه ارتفع، وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك، وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل.

ولو علاه النبي «صلى الله عليه وآله» لحطّ الأصنام لكان «صلى الله عليه وآله» بعلي مرتفعاً وشريفاً وواصلاً إلى حط الأصنام.

ولو كان ذلك كذلك، لكان أفضل منه. ألا ترى أن عليا «عليه السلام» قال: لما علوت ظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها.

أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله، وقد قال علي «عليه السلام»: أنا من أحمد كالضوء من الضوء.

أما علمت أن محمداً وعلياً «صلوات الله عليهما» كانا نوراً بين يدي الله عز وجل، قبل خلق الخلق بألفي عام، وأن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟!

فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم: هذا نور من نوري، أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي، وأما الإمامة فلعلي حجتي ووليي، ولولاهما ما خلقت خلقي.

أما علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رفع يد علي «عليه

السلام» بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، فجعله مولى المسلمين، وإمامهم. وقد احتمل الحسن والحسين «عليهما السلام» يوم حظيرة بني النجار، فلما قال له بعض أصحابه: ناولني أحدهما يا رسول الله؟!

قال: نِعْمَ الراكبان، وأبوهما خير منهما، وأنه «صلى الله عليه وآله» كان يصلي بأصحابه، فأطال سجدة من سجداته، فلما سلم قيل له: يا رسول الله، لقد أطلت هذه السجدة، فقال «صلى الله عليه وآله»: إن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعاجله حتى ينزل، وإنما أراد بذلك «صلى الله عليه وآله» رفعهم وتشريفهم، فالنبي «صلى الله عليه وآله» إمام ونبي، وعلي «عليه السلام» إمام ليس بنبي ولا رسول، فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوة.

قال محمد بن حرب الهلالي: فقلت له: زدني يا بن رسول الله؟!

فقال: إنك لأهل للزيادة. إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حمل علياً «عليه السلام» على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده، وإمام الأئمة من صلبه، كما حول رداءه في صلاة الاستسقاء، وأراد أن يعلم أصحابه بذلك: أنه قد تحول الجدب خصباً.

قال: قلت له: زدني يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال: احتمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» يريد بذلك أن يعلم قومه أنه هو الذي يخفف عن ظهر رسول

الله «صلى الله عليه وآله» ما عليه من الدين والعِدات، والأداء عنه من بعده.

قال: فقلت له: يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، زدني؟!

فقال: احتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله، وما حمل إلا لأنه معصوم لا يحمل وزراً، فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً. وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي: يا علي، إن الله تبارك وتعالى حمَّلني ذنوب شيعتك، ثم غفرها لي، وذلك قوله تعالى: **(لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)**(١). ولما أنزل الله تبارك وتعالى عليه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم)**(٢). قال النبي «صلى الله عليه وآله»: «**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)**، وعلي نفسي وأخي أطيعوا علياً، فإنه مطهر معصوم لا يضل ولا يشقى»، ثم تلا هذه الآية: **(قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)**(٣).

قال محمد بن حرب الهلالي: ثم قال جعفر بن محمد «عليه السلام»: أيها الأمير، لو أخبرتك بما في حمل النبي «صلى الله عليه

---

(١) الآية ٢ من سورة الفتح.

(٢) الآية ١٠٥ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٥٤ من سورة النور.

وآله» علياً عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعاني التي أرادها به، لقلت: إن جعفر بن محمد لمجنون، فحسبك من ذلك ما قد سمعت.

فقمت إليه وقبلت رأسه، وقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته(١).

ونقول:

لا نريد التعليق على متن الرواية، فإنها أشارت إلى بعض المقاصد التي لا نرى حاجة إلى البحث حولها. وسنكتفي بالإشارة هنا إلى سند الرواية وحسب، فنقول:

من هو محمد بن حرب؟!:

كأن سياق هذه الرواية يشي: بأن محمد بن حرب كان من الموالين لأهل البيت «عليهم السلام»، أو هو على الأقل من غير المعاندين. بل قوله «عليه السلام»: إنك لأهل للزيادة، يدل على أكثر من ذلك بكثير.

---

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٥٣٢ ـ ٥٣٧ ومعاني الأخبار ص٣٥٠ ـ ٣٥٢ وعلل الشرايع ج١ ص٢٠٦ ـ ٢٠٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٧٣ ـ ١٧٥ وغاية المرام ج٤ ص٣١٢ ـ ٣١٤ وج٦ ص٢٨٢ ـ ٢٨٣ والأربعون حديثاً للشهيد الأول ص٦٩ ـ ٧٣ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤٠٨ باب ١٣٩ و (ط مؤسسة البعثة) ج٣ ص٥٧٦ ـ ٥٧٨ وج٥ ص٨٥ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٧٩ ـ ٨٢ وينابيع المودة ج١ ص٤٢٣.

ولكن هناك أمران يثيران الشبهة حول هذه النقطة بالذات:

أولهما: قول ابن أبي الحديد المعتزلي: محمد بن حرب من الإباضية(١). والإباضية فرقة من الخوارج الذين لا يوالون علياً وأهل البيت «عليهم السلام».

الثاني: إنه كما زعموا كان أمير مكة، أو المدينة، أو على شرطة البصرة، أو على شرطة المدينة.

ومن المعلوم: أن الخلفاء الأمويين والعباسيين على حد سواء، لا يولون هذه المناصب من يوالي علياً وأهل بيته «عليهم السلام»، أو من يتعاطف معهم.

ويلاحظ: أن هذه الرواية تقول عنه ما هو أكثر من مجرد التعاطف، ففيها: أنه قال للإمام: زدني يا بن رسول الله، فقال «عليه السلام»: إنك لأهل للزيادة.

كما أن هذا الحديث قد تضمن أموراً لا يطيق روايتها أباضي، ولا أموي، ولا عباسي، مثل حديث خلق علي والنبي قبل خلق الخلق بألفي عام، وارتباط ذلك بالإمامة معلوم ومفهوم..

والظاهر: أن محمد بن حرب قد ولي شرطة المدينة والبصرة(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص٧٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٣٥ وراجع: لسان العرب ج٥ ص١٦٣ وج٧ ص٤٧١ عن ابن بري.

وقد صرحوا: بأن محمد بن حرب الهلالي كان على شرطة محمد بن سليمان(١).

وقال وكيع: أخبرني محمد بن الجهم السمري صاحب الفراء؛ قال: كان في سنة خمس ومائتين على قضاء البصرة يحيى بن أكثم وعلى الشرطة محمد بن حرب الهلالي وعلى الصلاة عبد الله بن جعفر بن سليمان وعلى كورة حلة عمرو بن زياد الدهقان.

فقال سهل بن هارون الكاتب:

أثبنا الخمس والمائتين بالشبهات والغلط(٢)

وإذا كان محمد بن حرب الهلالي على شرطة البصرة سنة ٢٠٥ هـ. فإن الإمام الصادق «عليه السلام» قد استشهد قبل هذا التاريخ بنحو سبع وخمسين عاماً، فكم كان عمر محمد بن حرب الهلالي حين سأل الإمام الصادق هذه المسائل؟! فإن كان عمره عشرين سنة، فهل يعقل أن يكون قد تولى إمارة المدينة أو تولى شرطتها بعمر عشرين سنة؟!

ويبدو من بعض النصوص أيضاً: أنه ولي صدقة البصرة وقضاءها بالشراكة مع عبد الله بن سوار(٣).

---

(١) الأغاني ج١٩ ص١٠٠.
(٢) أخبار القضاة لوكيع ج٢ ص١٦٣.
(٣) أخبار القضاة لوكيع ج٢ ص١٥٥.

وهذا كله يشير إلى أنه لم يكن من أصحاب الأئمة المقربين، ومن الموالين الموثوقين.

وأخيراً، فإن روايته هذه تقول: إنه كان أمير المدينة، لكن الشيخ الطوسي يقول: إنه كان أمير مكة(١).. وإن لم يعين لنا «رحمه الله» تاريخ إمارته على مكة، ولا حددت هذه الرواية تاريخ إمارته على المدينة.

لكن ابن سعد يقول: إنه تولى شرطة مكة أيضاً، كما تولى شرطة البصرة(٢).

وفي جميع الأحوال نقول:

الظاهر: أن هذا الرجل لم يكن من أهل الاستقامة، فقد قالوا: كان محمد بن حرب الهلالي يتعشق سلسل المغنية، التي لم تكن مولاته، بل كانت لبعض المغنين بالبصرة(٣).

ابتلاء الحسين × بالمختار:

روى الكشي، عن ابن سنان، عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه قال: إنَّا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب

---

(١) رجال ابن داود ص١٦٨ وقاموس الرجال ج٩ ص١٨٤ عنه، وطرائف المقال للبروجردي ج١ ص٥٧٣ ومعجم رجال الحديث ج١٦ ص١٩٨ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٣٥.

(٣) الأغاني ج١٠ ص٢٧٥.

علينا..

ثم ذكر «عليه السلام»: أن مسيلمة كان يكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعبد الله بن سبأ كان يكذب على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي «عليه السلام» قد ابتلي بالمختار إلخ..(١).

وقد ناقش أحد الباحثين هذه الرواية: بأن الإمام الحسين «عليه السلام» قد استشهد قبل أن يظهر المختار. فمتى ابتلي الحسين بالمختار؟!

وهل يكون قتل المختار لقتلة الحسين «عليه السلام» ابتلاءً له؟!

وإن كان ابتلاؤه به أنه قد قتل قتلته «عليه السلام»، فنقول: كيف صح اعتبار هذا من كذب المختار على الإمام الحسين «عليه السلام»؟! الخ..

ونجيب:

أولاً: إن الكذب على الشخص قد يكون في حال حياته، وقد يكون

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٣٠٥ وراجع ص١٠٨ و (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج٢ ص٥٩٣ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٩٠ وبحار الأنوار ج٢ ص٢١٧ وج٢٥ ص٢٦٣ والرسائل الرجالية للكلباسي ج٣ ص٢٨٩ وقاموس الرجال للتستري ج٩ ص٦٠٠.

بعد موته أو استشهاده «عليه السلام».

ثانياً: إن المختار كان معاصراً للإمام الحسين «عليه السلام»، فيمكن أن يكون الحسين «عليه السلام» قد ابتلي به في حياته، ثم تاب المختار بعد استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»..[1].

(١) لا بأس بمراجعة كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٢٦ ص٧٨ ـ ٨٠.

القســـم الثاني:

من عهد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.. إلى عهد علي ×

الباب الأول:

في عهـــد أبي بكـــر..

الفصل الأول:

أحداث السقيفة وفــدك..

الحسنان في خضم اغتصاب الخلافة:

لقد كان للحسنين «عليهما السلام» حضور في خضم الأحداث التي جرت بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ونحب أن نذكر بعض النصوص المرتبطة بهما أولاً، ثم نعقب ذلك بما نرى أنه يفيد في الإيضاح، والبيان، وسنحاول أن نقتصر على ما يرتبط بهما «عليهما السلام»، فنقول:

الحسنان ' في الهجوم على الدار:

١ ـ روي: أن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال للمفضل:

«ولا كيوم محنتنا بكربلاء، وإن كان يوم السقيفة، وإحراق النار على باب أمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة، وزينب، وأم كلثوم، وفضة..»(١).

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ج٢ ص٥٣٢ عن نوائب الدهور، للسيد الميرجهاني ص١٩٤ و ٢٩٢ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤١٧ و ٣٩٢ والهداية الكبرى للخصيبي (ط بيروت) ص٤١٧ وبحار الأنوار ج٥٣ ص١٤ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ والعوالم ج١١ ص٤٤١ و ٤٤٣ وحلية الأبرار ج٢ ص٦٥٢.

٢ ـ وهناك حديث آخر عن أبي جعفر «عليه السلام» أشار فيه أيضاً إلى «الحطب الذي جمعاه، ليحرقا به علياً، والحسن والحسين»(١).

٣ ـ وذكر العياشي حديثاً مطولاً، جاء فيه: «..فأمر بحطب، فجعل حوالي بيته، ثم انطلق عمر بنار، فأراد أن يحرق على علي بيته، وفاطمة، والحسن، والحسين «صلوات الله عليهم»، فلما رأى علي ذلك، خرج، فبايع كارهاً غير طائع»(٢).

ولكن جاء في النصوص: أنه «عليه السلام» بقي على موقفه، وكان يقبض يده، ولكن أبا بكر هو الذي زحف إليه، ومسح على يده، ثم قالوا: بايع، بايع.

٤ ـ وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثم إن عمر احتزم بأزاره، وجعل يطوف بالمدينة، وينادي: ألا إن أبا بكر قد بويع له، فهلموا إلى البيعة، فينثال الناس يبايعون.

فعرف أن جماعة في بيوت مستترون، فكان يقصدهم في جمع

(١) دلائل الإمامة للطبري (ط النجف) ص٢٤٢ و (ط مؤسسة البعثة) ص٤٥٥.

(٢) تفسير العياشي ج٢ ص٣٠٦ ـ ٣٠٨ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٥٦٣ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص١٩٩ و ٢٠٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج٧ ص٤٧٠ ـ ٤٧٢ وغاية المرام ج٥ ص٣٣٧ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٣٠ و ٢٣١.

كثير، ويكبسهم، ويحضرهم المسجد، فيبايعون(١).

حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي «عليه السلام»، فطالبه بالخروج. فأبى.

فدعا عمر بحطب ونار وقال: والذي نفس عمر بيده، ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه.

فقيل له: إن فاطمة بنت رسول الله، وولد رسول الله، وآثار رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه!! وأنكر الناس ذلك من قوله.

فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم! أتروني فعلت ذلك؟! إنما أردت التهويل(٢).

وعند ابن قتيبة: أنه حين هدد بإحراق البيت على من فيه قيل له: إن في الدار فاطمة.

فقال: وإن(٣).

---

(١) وهذا المعنى أيضاً رواه ابن أبي الحديد المعتزلي، فراجع..

(٢) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص١٨٦ ـ ٢٠٣ و (ط دار النعمان) ج١ ص٩٧ ـ ١٠٥ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٠٤ و ٢٠٥ وبيت الأحزان ص٧٩ و ٨٠.

(٣) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٩ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٢٩.

فاطمة وعلي والحسنان ^ يزورون الصحابة:

قال سلمان الفارسي «رحمه الله»: فلما كان الليل حمل علي «عليه السلام» فاطمة «عليها السلام» على حمار، وأخذ بيد ابنه الحسن والحسين «عليهما السلام»، فلم يدع أحداً من أهل بدر [وبيعة الرضوان]، من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه في منزله، وذكر له حقه، ودعاه إلى نصرته.

فما استجاب له من جميعهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلّقين رؤوسهم، معهم سلاحهم، وقد بايعوه على الموت.

قال: فأصبح ولم يوافه منهم أحد غير أربعة.

قلت لسلمان: من الأربعة؟!

قال: أنا، وأبو ذر، والمقداد، والزبير بن العوام.

[قال:] ثم أتاهم من الليلة الثانية، فناشدهم [الله].

فقالوا: نصبحك بكرة، فما منهم أحد وفى غيرنا.

ثم أتاهم في الليلة الثالثة، فما وفى أحد غيرنا[1].

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٢٠٦ و ٢٠٧ و (ط دار النعمان ص١٣٨٦هـ) ج١ ص١٠٧ و ١٠٨ وكتاب سليم ج٢ ص٥٨٠ و ٥٨١ و (طبعة أخرى) ص١٤٨ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٢٨ وج٢٨ ص٢٦٧ والأنوار العلوية

وفي نص آخر: إنهم كانوا يقولون: قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر، ما عدلنا به.

فقال علي «عليه السلام»: أفكنت أدع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ميتاً في بيته، لم أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟!

فقالت الزهراء «عليها السلام»: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، وقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه[١].

ولنا أن نسألهم أيضاً: ألم تكن في عنقهم جميعاً بيعة يوم الغدير التي أعطوها لعلي «عليه السلام» بأمر من رسول الله «صلى الله

ص٢٨٥ ومجمع النورين للمرندي ص٩٧ وغاية المرام ج٥ ص٣١٥ و ٣١٦ وج٦ ص٢٦ ونفس الرحمن للنوري ص٤٨٢ وبيت الأحزان ص١٠٨ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص١١٥.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٣ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٩ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٣٠ والسقيفة وفدك للجوهري ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٥٢ و ٣٥٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٠٤ والغدير ج٥ ص٣٧٢ وج٧ ص٨١ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٠٨ والوضاعون وأحاديثهم ص٤٩٤ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٢٥ وغاية المرام ج٦ ص١٨ وبيت الأحزان ص٨٢ و ١٠٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٢٩٥ وج٣٣ ص٣٦٤ و ٣٦٦ و ٣٦٧.

عليه وآله» قبل سبعين يوماً من وفاة الرسول؟!

وقد كتب معاوية إلى علي «عليه السلام» يذكر ذلك، فقال له: «وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يدي ابنيك: الحسن والحسين يوم بويع الخ..»(١).

ونقول:

إن المتأمل في حديث حمل علي «عليه السلام» فاطمة الزهراء، والحسنين «عليهم السلام» إلى بيوت أعيان الصحابة يجد أن الاستجابة في البداية كانت ضعيفة جداً، ثم بعد مرور حوالي شهرين أو أكثر كانت المبادرة إلى احتجاج اثني عشر رجلاً من كبار الصحابة على أبي بكر، فزاد خوف الذين استولوا على الأمور.

ويبدو: أن ذلك جعلهم يفكرون بجدية، بالتخلص من علي «عليه السلام» وأهل بيته.

ونستطيع أن نبين ما نرمي إليه ضمن المطالب والفقرات والعناوين التالية، مع إشارات ترمي إلى توضيح أو تصحيح بعض ما يحتاج إلى التوضيح أو التصحيح، فلاحظ ما يلي:

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٤٧ وسفينة النجاة للتنكابني ص٣٤٥ وغاية المرام ج٦ ص١٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٦٦ وبيت الأحزان ص١٠٠ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣١٣ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٠٥.

استجابة الزبير:

ذكر الحديث المتقدم: أن الذين استجابوا لطلب الزهراء «عليها السلام» بالنصرة هم: سلمان وأبو ذر، والمقداد، والزبير..

وفي هذا نظر وذلك لما يلي:

١ ـ هناك من يقول: فما أجابه سوى ثلاثة رهط فقط(١).

٢ ـ وفي نص آخر: «فما أعانها أحد، ولا أجابها، ولا نصرها» (٢).

٣ ـ إن سائر الروايات لا تذكر الزبير في جملتهم، بل تذكر عماراً عوضاً عنه(٣).

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٦ الهداية الكبرى للخصيبي ص٤١٢ والعقد النضيد للقمي ص١٥٠ وراجع: الدرجات الرفيعة ص٢١٣.

(٢) الإختصاص للمفيد ص١٨٣ ـ ١٨٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٨٩ ـ ١٩٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٨ ص٤٢٢ ـ ٤٢٤ والعوالم ج١١ ص٦٤٧ ح٢ واللمعة البيضاء ص٣٠٩ ـ ٣١٢ ومجمع النورين للمرندي ص١٢١ ـ ١٢٤.

(٣) الإحتجاج ج١ ص١٨٨ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج١ ص٩٨ و ٢٨١ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٠ ومجمع النورين للمرندي ص٧٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٢٨ وج٢٨ ص١٩١ وج٢٩ ص٤١٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٧٩ ونفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي ص٥٧٩ ومستدرك الوسائل ج١١

كما أننا لم نعد نرى أو نسمع للزبير أية حركة بعد أن أخذوا سيفه منه.

مدى استجابة الصحابة وبني هاشم:

وفي نص آخر عن علي «عليه السلام»: أنه حين أخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بما يكون بعده قال:

«فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إلي إذا كان كذلك؟!

فقال: إذا وجدت أعواناً، فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً كف يدك، واحقن دمك، حتى تلحق بي مظلوماً.

فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» اشتغلت بغسله وتكفينه، والفراغ من شأنه، ثم آليت على نفسي يميناً: أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت.

ثم أخذت بيد فاطمة «عليها السلام»، وابنيَّ الحسن والحسين «عليهما السلام»، فدرت على أهل بدر، وأهل السابقة، فناشدتهم حقي، ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد.

ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا علي إلا السكوت، لما علموا من وغارة صدور القوم، وبغضهم لله ورسوله، ولأهل بيت

ص٧٤ والعقد النضيد للقمي ص١٥٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٣٨.

نبيه..» (١).

ونقول:

نفهم من الروايات المتقدمة، ومن نصوص عديدة أخرى: أن الذين كانوا في موقع المناوئ لأمير المؤمنين «عليه السلام»، كانوا جادين في سعيهم إلى قتله «عليه السلام»، وقتل فاطمة والحسنين «عليهما السلام»، بالإضافة إلى زينب وأم كلثوم، وفضة.

ويكفي في الدلالة على جديتهم في هذا الأمر: قول النبي «صلى الله عليه وآله» له: «وإن لم تجد أعواناً كف يدك، واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً».

وفي رسالة معاوية لمحمد بن أبي بكر قال معاوية: «فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه، وخالفه على أمره. وهمَّا به الهموم، وأرادا به العظيم..»(٢).

---

(١) الإحتجاج ج١ ص١٥٧ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج١ ص٩٨ و ٢٨٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٩١ وج٢٩ ص٤١٩ و ٤٦٧ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١١٥ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٧٥.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص١١ ـ ١٣ و (تحقيق شارل پلا) ج٣ ص٢٠٠ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٧٢ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٥٧٧ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص١١٩ وصفين للمنقري ص١٢٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة

وعن الإمام السجاد «عليه السلام»: أن عمر قال لعلي «عليه السلام» إذا امتنع عن البيعة: «إذاً والله الذي لا إله إلا هو تضرب عنقك»(١).

وهناك نصوص عديدة أخرى تدل على ذلك.

تعدد المحاولة:

ويبدو: أن محاولة القتل هذه قد تعددت، ولا نقصد منها ما يشمل الاتفاق مع خالد بن الوليد على قتله «عليه السلام» في حال الصلاة ـ كما ذكرناه في بعض مؤلفاتنا(٢).

بل نقصد: أن محاولات قتله قد تعددت في سياق محاولاتهم أخذ البيعة منه «عليه السلام». كما أن محاولات الإحراق أو التهديد به قد تعددت أيضاً. بملاحظة تعدد الهجوم على بيت فاطمة «عليها السلام».

فقد هوجم هذا البيت في اللحظات الأولى من فراغ أمير المؤمنين «عليه السلام» من دفن النبي «صلى الله عليه وآله»، وحصرت

والتاريخ ج٦ ص٤٤ وغاية المرام ج٥ ص٣٠٩ وج٦ ص١٢٣.

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ص ٦٥ و ٦٦ و (بتحقيق المحمودي سنة ١٤١٥هـ) ص٣٧٦ ـ ٣٧٨ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص١٧٥ و ١٧٦.

(٢) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١١ ص٢٧.

الزهراء «عليها السلام» بين الحائط والباب، وعصرت حتى أسقط جنينها «محسَّن».

ثم هوجم مرة أخرى في اليوم التالي، فقد روى المفيد «رحمه الله»: أنه حين كان أبو بكر على المنبر، يبايع له، كانت جماعة تهاجم بيت علي والزهراء «عليهما السلام» بقصد إحراقه، فقد لقي ثابت بن قيس علياً «عليه السلام» في العالية بالمدينة، فقال له: ما شأنك يا أبا الحسن؟!

فقال: أرادوا أن يحرقوا علي بيتي، وأبو بكر على المنبر يبايع له، ولا يدفع عن ذلك، ولا ينكره(١).

ثم هوجمت الزهراء «عليها السلام»، وضربت مرة أخرى في قضية اغتصاب فدك منها، بعد استشهاد أبيها بعشرة أيام.

وهناك هجوم آخر ذكرته رواية الإحتجاج عن عبد الله بن عبد الرحمان تقول: إن هجوماً قد حصل بعد مضي أيام من البيعة لأبي بكر، حيث جاء عمر بن الخطاب في جمع كثير إلى منزل علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وحاولوا إحراقه، ولكنه لم يحدد عدد هذه الأيام.

---

(١) الأمالي للمفيد ص٣٨ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ص٤٩ و ٥٠ حديث ٩ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٣١ و ٢٣٢ عنه، وغاية المرام ج٥ ص٣٣٤ .

ثم كان الهجوم الأخير ـ ولعله الأقوى والأكثر حشداً ـ بعد أكثر من شهرين، وقد بذلت محاولة لإحراق البيت بما فيه. وكانت هذه المحاولة أكثر جدية هذه المرة. كما سيتضح.

لماذا أكثر جدية؟!:

ويبدو: أن سبب هذه الجدية: هو أن الذي أثار حفيظة القوم، وأكد شعورهم بالحاجة إلى التخلص من أهل هذا البيت بما فيه، كباراً وصغاراً: هو رؤيتهم أنهم ـ وعلى رأسهم علي «عليه السلام» ـ ما فتئوا يعملون على إيقاظ ذاكرة الناس، ويضعون أمام أعينهم بيعتهم لعلي «عليه السلام» يوم الغدير، بأمر من الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويذكّرونهم بما كانوا قد سمعوه ووعوه من أقوال، وما عاينوه من أحوال وأفعال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما أنزل الله من آيات بينات في حق أهل البيت «عليهم السلام»، مما يؤكد مكانتهم عند الله، وموقعهم في هذا الدين، وأنهم هم الأئمة الطاهرون، الذين اختارهم الله هداة لعباده، وقادةً في بلاده.

والذي زاد الطين بلة: أنهم رأوا علياً «عليه السلام» يحمل زوجته فاطمة الزهراء «عليها السلام» وولديه «عليهما السلام»، ويطوف بهم على بيوت المهاجرين والأنصار لطلب نصرتهم، وإقامة الحجة عليهم، ومطالبتهم بالوفاء ببيعتهم، وبالعودة إلى العمل بأوامر الله ورسوله، والالتزام بما ألزمهم به.

وقد رأوا كيف أن طائفة من كبار أصحاب رسول الله «صلى الله

عليه وآله»، وكانوا ـ كما قيل ـ حين وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» غيَّباً، أو أن أكثرهم كان غائباً، قد رجعوا إلى أنفسهم، ويتوقع أن يلحق بهم غيرهم، ولاسيما من الأنصار ـ رأوا كيف أنهم ـ بدأوا يفكرون بالتصدي لأبي بكر، ومنعه من صعود منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فبادر اثنا عشر رجلان من هؤلاء الكبار، فمشوا إلى أبي بكر، واحتجوا عليه بما أفحمه، ولم يجد له جواباً مقنعاً ومقبولاً.

وفي هذا المناسبة بالذات. كان أقصى ما عنده أن قال لهم:

وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني.

فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا لكع، إذا كنت لا تقوم بحجج قريش، لم أقمت نفسك هذا المقام؟! والله لقد هممت أن أخلعك، وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة.

وبعد ثلاثة أيام جاءهم خالد بن الوليد [المخزومي]، ومعاذ، وغيرهما بجموع من الناس. ويبدو أن هؤلاء كانوا من المنافقين الذين كانوا حول المدينة، وهم: جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار.

(**وقد ذكر الطبري وغيره:** أنهم دخلوا المدينة، فتضايقت بهم سككها، وأن عمر بن الخطاب قال حينئذٍ: فلما رأيت أسلم أيقنت بالنصر)(١).

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٢٢ وتلخيص الشافي ج٣ ص٦٦

وخرج هؤلاء شاهرين سيوفهم، حتى أتوا مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتهددوا أصحاب علي «عليه السلام».

فتصدى لهم خالد بن سعيد بن العاص، وسلمان الفارسي، وحسم علي «عليه السلام» الأمر، وأمر أصحابه بالانصراف.

ثم إن عمر تحزم بإزاره، وجعل يطوف بالمدينة، وينادي: ألا إن أبا بكر قد بويع، فهلموا إلى البيعة.

ويبدو: أن مراده أن أبا بكر قد بويع من قبل علي «عليه السلام»، فأراد من الناس أن يأتوا للبيعة مرة أخرى، للتوثق والاطمينان بعد الذي حصل.

ثم عرف عمر أن جماعة في بيوت مستترون، فكان يقصدهم في جمع كثير، ويكبسهم، ويحضرهم المسجد، فيبايعون.

حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي «عليه السلام»، فطالبه بالخروج، فأبى، فدعا بحطب ونار، وأقسم ليحرقن الدار بمن فيها.

فقيل له: إن فيها فاطمة، والحسن والحسين، وآثار رسول الله.

وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٣٥ و ٣٢٦ والشافي للسيد المرتضى ج٣ ص١٩٠ وراجع: الكامل لابن الأثير ج٣ ص٣٣١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٤٠ والجمل للمفيد ص١١٩.

ثم احتجت عليهم فاطمة بحديث الغدير وغيره(١).

ويبدو: أن استخراج أمير المؤمنين «عليه السلام» من بيته، والإتيان به ملبباً، حتى مسح أبو بكر يده على يده قد حصل في هذه المرة، وبذلك تكون النتيجة هي: أن علياً «عليه السلام» لم يبايع حتى رأى الدخان يخرج من بيته(٢). كما ورد في النصوص.

---

(١) راجع ما تقدم في الإحتجاج ج١ ص٢٠١ ـ ٢٠٤ والخصال، باب الاثني عشر، وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٠٤ و ٢٨٦

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص١١٧ و ١١٨ وإثبات الهداة ج٢ ص٣٥٩ و ٣٦٧ و ٣٦٨ والعقد الفريد ج٤ ص٢٦٨ والإيضاح لابن شاذان ص١٦١ والإمامة والسياسة ج١ ص١٨ وسير أعلام النبلاء (سير الخلفاء الراشدين) ص١٧ ومجموع الغرائب للكفعمي ص٢٨٨ ومروج الذهب ج١ ص٤١٤ وج٢ ص٣٠١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٣٠ وج ١٧ ص١٦٨ و ١٦٤ وج٦ ص٥١ وج٢ ص٤٧ و ٤٦ وج٢٠ ص٢٤ و ١٧ وميزان الإعتدال ج٣ ص١٠٩ وج٢ ص٢١٥ والإمامة ص٨٢ (مخطوط) توجد نسخة مصورة منه في مكتبة المركز الإسلامي للدراسات في بيروت. ولسان الميزان ج٤ ص١٨٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤٣٠ (ط المعارف) وكنز العمال ج٣ ص١٢٥ وج٥ ص٦٣١ و ٦٣٢ والرسائل الاعتقادية (رسالة طريق الإرشاد) ص٤٧٠ و ٤٧١. ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج٢ ص١٧١.

وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج١ ص٦٢ وضياء العالمين (مخطوط) ج٢

ما الدليل على الشهرين؟!:

وإنما قلنا: إن هذا الذي حصل قد كان بعد أكثر من شهرين، لأن

ق٣ ص ٩ و ١٠٨ عن العديد من المصادر والنص والإجتهاد ص٩١ والسبعة من السلف ص١٦ و ١٧ والغدير ج٧ ص١٧٠ ومعالم المدرستين ج٢ ص٧٩ وعن تاريخ ابن عساكر (ترجمة أبي بكر) ومرآة الزمان.

وراجع: زهر الربيع ج٢ ص١٢٤ وأنوار الملكوت ص٢٢٧ وبحار الأنوار ج٣٠ ص١٢٣ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤١ و ٣٥٢ ونفحات اللاهوت ص٧٩ وحديقة الشيعة ج٢ ص٢٥٢ وتشييد المطاعن ج١ ص٣٤٠ ودلائل الصدق ج٣ ق١ ص٣٢.

وراجع: الخصال ج١ ص١٧١ و ١٧٣ وحياة الصحابة ج٢ ص٢٤ والشافي للمرتضى ج٤ ص١٣٧ و ١٣٨. والمغني لعبد الجبار ج٢٠ ق١ ص٣٤٠ و ٣٤١. ونهج الحق ص٢٦٥ والأموال لأبي عبيد ص١٩٤ (وإن لم يصرح بها).

وراجع ايضاً: مجمع الزوائد ج٥ ص٢٠٣ وتلخيص الشافي ج٣ ص١٧٠ وتجريد الإعتقاد لنصير الدين الطوسي ص٤٠٢ وكشف المراد ص٤٠٣ ومفتاح الباب (أي الباب الحادي عشر) للعربشاهي (تحقيق مهدي محقق) ص١٩٩ وتقريب المعارف ص ٣٦٦ و ٣٦٧ واللوامع الإلهية في المباحث الكلامية للمقداد ص٣٠٢ ومختصر تاريخ دمشق ج١٣ ص١٢٢ ومنال الطالب ص٢٨٠.

وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢١٩ وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٥٧٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٤٧ والسقيفة وفدك للجوهري ص٤٨.

خالد بن سعيد بن العاص كان من جملة المحتجين على أبي بكر، وقد واجه عمر حين جاء بجمعه الكثير، وهدد أصحاب علي «عليه السلام» بصلابة وقوة.

وخالد هذا كان حين وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» باليمن، وقد تأخرت عودته إلى المدينة إلى شهر[١].

وبعد عودته تربص ببيعته شهرين[٢]. فيكون قد بايع أبا بكر بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بثلاثة أشهر.

ويدل على هذا التأخير: ما ورد في رواية مطولة، عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، من أنه بعد اغتصاب فدك من الزهراء «عليها السلام» ـ وكان ذلك بعد عشرة أيام من وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»[٣] ـ احتجت الزهراء «عليها السلام» على أبي بكر، حيث تقول الرواية:

«فقامت مغضبة، وقالت: اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها،

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٨٨.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٨٧ و ٣٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٧٨.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١١ والسقيفة وفدك ص١٠٠ والطرائف لابن طاووس ص٢٦٤ وراجع: البحار ج٢٩ ص٢٣٩ ومناقب آل أبي طالب ص٤١٨ وعن بلاغات النساء ج٢ ص١٤٦ و (ط بصيرتي ـ قم) ص١٤ ومواقف الشيعة ج١ ص٤٧٣.

فاشدد وطأتك عليهما.

ثم خرجت، وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين «عليهما السلام» معها، وهي تقول:

يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا الله، فإني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بايعتموه: أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم.

ففوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ببيعتكم.

قال: فما أعانها أحد، ولا أجابها، ولا نصرها»(١).

فإذا كان الإحراق الأخير لبيت الزهراء «عليها السلام» قد حصل بعد ما ذهبت إلى بيوت المهاجرين والأنصار، وطلبت نصرتهم، وكانت هذه المبادرة قد استغرقت أربعين يوماً.. وكانت بعد مضي عشرة أيام، فذلك يعني: صحة ما قلناه، من أن الإحراق قد حصل بعد حوالي شهرين من وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» على أقل تقدير.

إحراق الجميع هو المطلوب:

يفهم من النصوص المتقدمة: أن المقصود بالإحراق ليس علياً وحده، بل كان إحراق فاطمة الزهراء أيضاً مقصوداً أساسياً لهم، لأن

(١) راجع: الإختصاص ص١٨٣ ـ ١٨٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٩٣.

وجود السيدة الزهراء «عليها السلام»، وموقفها هو الذي أحرجهم، وفضح أمرهم إلى أقصى الحدود.

فجاش الحقد عليها في نفوسهم، فلماذا لا يتخلصون منها بالإحراق، أو بأية وسيلة كانت إذا أمكنهم ذلك؟!

كما أن بقاء الحسنين «عليهما السلام» سوف يثير أمامهم متاعب كثيرة. وذلك لأجل المكانة التي تبوّآها في ضمير ووجدان الأمة، بسبب ما نزل فيهما من آيات، وما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقهما، وما صنعه لهما، وما ظهر منهما من جدارة لكل ما حباهما به الله ورسوله، وأهّلهما له.

وقد زاد الطين بلة: أنه «صلى الله عليه وآله» جعل لهما مقام الإمامة بعد أبيهما.

كما أن عليهم التخلص أيضاً من زينب وأم كلثوم، وفضة، حتى لا يبقى من أهل هذا البيت نافخ ضرمة، يمكن أن يذكّر الناس بما جرى على أهل هذا البيت.

وهكذا يتضح: أن مجرد التهديد بالإحراق لم يعد مقصوداً، بل أصبح الإحراق نفسه أولوية، وحاجة بالنسبة إليهم.

ادِّعاء بالتسرع، وادِّعاء بالتوبة:

ولا شك في أنهم يدركون: أن أمراً كهذا سوف يحدث صدمة كبيرة للناس، ولاسيما لدى المؤمنين منهم.. وعليهم التخلص من أية ردة فعل تنشأ عن هذا الحدث الخطير. وقد رأوا أن ذلك يحتاج إلى العمل في

أكثر من اتجاه:

١ ـ إنهم قاموا بتهيئة الأجواء إعلامياً، بإطلاق دعاوى وشائعات تجعل علياً وأهل بيته «عليهم السلام» في موقع الاتهام، وبإشاعة أنهم يخافون من الفتنة، وأن علياً وأهل بيته «عليهم السلام» هم السبب في إشاعة أجواء الفتنة هذه بين المسلمين.

وهذا ما تصدت له الزهراء «عليها السلام»، وعملت على تكذيبهم فيه، حين أعلنت بقولها: «أزعمتم خوف الفتنة؟! ألا في الفتنة سقطوا»(١).

وكان أبو بكر أطلق هذه المزعمة، فقد خطب بعد مهاجمته لبيت الزهراء مبرراً ما جرى، فقال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً قط، ولا ليلة، ولا سألتها الله تعالى قط سراً ولا علانية. ولكني أشفقت من الفتنة الخ..»(٢).

---

(١) راجع: دلائل الإمامة ص١١٦ والإحتجاج ج١ ص١٣٧ والطرائف لابن طاووس ص٢٦٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص٢٢٥ و ٢٣٨ و ٢٧٥ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤١٧ والسقيفة وفدك للجوهري ص١٤٣ وشرح الأخبار ج٣ ص٣٦ وفدك في التاريخ ص١٣٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٥١ وبلاغات النساء لابن طيفور ص١٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص١٦٠ واللمعة البيضاء ص٦٣٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٧ وراجع: الرياض النضرة ج ١ ص ٢٤١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٦٩ والمسترشد في الإمامة ص٣٧٩ و

ومن مقولات أبي بكر المشهورة قوله: «إن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها، وخشيت الفتنة»(١).

٢ ـ إنهم حشدوا أقصى ما لديهم من رجال، حتى اطمأنوا إلى أنهم أصبحوا قادرين على السيطرة، واستيعاب أية ردة فعل يمكن أن تواجههم، من خلال مئات المقاتلين، إن لم يكن الآلاف من قبيلة أسلم، وربما من جهينة، ومزينة، وغفار، وجماعات من حزبهم الذين كانوا في المدينة، وأكثرهم من المهاجرين، ومن تابعهم.

وبذلك لن يستطيع أصحاب علي مواجهة كل هؤلاء، ولاسيما إذا قتل سيدهم وزعيمهم، وأهل بيته. وأصبحوا بلا قائد، وبلا أمل يراودهم بالوصول إلى اية نتيجة.

وقد تقدم: أنهم ضربوا الزهراء «عليها السلام»، وأسقطوا جنينها.. وبعد أيام هاجموا بيت علي «عليه السلام» في جمع كثير. والحال، أن المدينة كانت آنئذٍ قرية صغيرة جداً، لا طاقة لها بمئات من المقاتلين، فضلاً عن مثل هذه الجموع. ولاسيما إذا كان شطر كبير من أهل المدينة سيشاركون المهاجمين في العمل على إخماد

---

٣٧٨ وإثبات الهداة ج٢ ص٣٨٣.

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٥٠ وج٦ ص٤٧ وأنساب الأشراف البلاذري ج١ ص٥٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٤ عنه. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص١٥٤ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٣٧ والسقيفة وفدك للجوهري ص٤٦.

أنفاس أهل المدينة.

٣ ـ أوهموا أنفسهم: أن هذه الجموع التي قد تعد بالألوف تبقى قوة احتياطية لضرب أي تحرك مفاجئ، بعد تنفيذ ما عقدوا العزم عليه. والوسيلة التي اعتمدوها هي: أن يأتوا إلى بيت علي «عليه السلام»، ويجمعوا الحطب، ويتهددوا من فيه، ثم يصعدوا في مستوى التحدي، إلى الحد الذي يسمح بإضرام النار في البيت، ثم يدَّعوا: أن أهل ذلك البيت هم الذين هاجموهم، وأثاروا الفتنة، فدارت الدائرة عليهم.

فإذا جاءت ردة فعل الناس قاسية، فلديهم من الرجال أضعاف أضعافهم، فيخمدون حركتهم، وإذا تطورت الأمور إلى الأسوأ، فلا بأس بسفك دمائهم، وقتل أعيانهم وكبارهم، وأهل الوعي فيهم، من الذين يحركونهم.

وبعد هذا وذاك، فإن بإمكانهم أن يظهروا الألم، والأسف، والحزن، وأن يشيعوا جنائزهم.

وإذا احتاج الأمر إلى ادِّعاء أنها كانت ساعة غضب، وغوغاء، ولم يمكنهم السيطرة على رجالهم وأعوانهم، أو ادِّعاء أنهم إنما قصدوا التهويل. وأن ما حصل لم يكن برغبتهم، وضمن إرادتهم.

ثم يظهرون الوجد والبكاء على علي وأهل بيته، ويتظاهروا بالندم والتوبة، ثم أن يضعوا الأحاديث على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله»: بأن الله تعالى قد غفر لمن فعل كذا، وكانوا منهم.. فلن

يبخلوا على الناس بأي شيء، ما دام لا يخلّ بسلطتهم، ولا يقلل من هيبتهم، ويضعف من هيمنتهم.

وقد علمتهم التجربة التي خاضوها، حين ضربوا الزهراء «عليها السلام» في يوم وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وأسقطوا جنينها، وهددوا بإحراق بيتها، أو باشروا ذلك ـ قد علمتهم ـ أن أمثال هذه الأعذار تنطلي على الناس.. حيث إنهم ادَّعوا التوبة مما بدر منهم، وأنهم أرادوا دفع الفتنة، فقبل الكثيرون ذلك منهم.

الحسنان ' شريكان:

ثم إن من يلاحظ النصوص، يجد ثلاثة أمور:

الأول: أن أهل البيت «عليهم السلام» بصورة عامة كانوا على يقين من أن قتل الحسنين «عليهما السلام» كان هدفاً أساسياً للمهاجمين.. وتجد الجهر بهذا الأمر في نصوص كثيرة، ولاسيما عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» في مختلف العصور والأزمنة.

وقد أنذر الناس المهاجمين، من أن تؤدي أفعالهم إلى استشهاد هذين السيدين الجليلين، ولكنهم لم يجدوا منهم ما يطمئنهم إلى عدم تعمد قتلهم، بل لم يسمعوا منهم كلمة واحدة تشير إلى عدم رغبتهم في حصول هذا الأمر، بل وجدوهم غير مكترثين لهذا الأمر، بل كان حالهم يشير إلى رغبتهم في حصوله.

الثاني: إن تعمد علي «عليه السلام» إشراك الحسنين وأمهما «عليهم السلام» في لقاء الصحابة، لمطالبتهم بما يجب عليهم، من

الوفاء ببيعة الغدير، ونصرة أهل الحق، وتنفيذ أوامر الله ورسوله، يشبه تماماً إشراك رسول الله «صلى الله عليه وآله» لفاطمة، ولهما «عليهم السلام» في قضية مباهلة نصارى نجران.

فقد دل ذلك على أن الزهراء والحسنين «عليهم السلام» شركاء في أمر الإمامة، ولا بد لهم من القيام بما يجب عليهم من إقامة الحجة على الناس في هذا الأمر الخطير الذي يكون به قوام الدين، والذي يفترض فيهم أن يبذلوا فيه كل ما لديهم حين يحتاج الأمر إلى ذلك.

وهذا يدل على أن إشراكهما في هذا الأمر ليس لأجل استعطاف الأنصار، بل لإقامة الحجة عليهم، من موقع إمامة الحسنين «عليهما السلام».

الثالث: إن سعي المناوئين لمهاجمتهما وقتلهما مع أمهما إنما هو لتجليِّ معنى الإمامة فيهما، وهذا ما كان يخيفهم. وقد أكده رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم في العديد من المناسبات. ولكنهم لا يريدون الإذعان.

الحسنان يشهدان بفدك:

قالوا: إنه بعد عشرة أيام من استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله»، استولى الحكام المناوئون لعلي وأهل البيت «عليهم السلام» على فدك(١)، وأخرجوا عمال السيدة الزهراء «عليها السلام» منها،

____

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١١ والسقيفة وفدك

بعد أن كانوا فيها عدة سنين.. وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطاها إياها، لأنها خالصة له، حيث لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

فبادرت «عليها السلام» إلى المطالبة بها، والإحتجاج على من غصبها إياها، وقالت لهم: إن أبي نحلنيها.

فقال أبو بكر: أريد لذلك شهوداً.

فبعثت إلى علي، والحسن، والحسين، وأم أيمن، وأسماء بنت عميس ـ وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة ـ فأقبلوا إلى أبي بكر، وشهدوا لها بجميع ما قالت وادَّعت.

فقال (عمر): أما علي فزوجها.

وأما الحسن والحسين فابناها.

وأما أم أيمن فمولاتها.

وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكل هؤلاء يجرون إلى أنفسهم.

ص١٠٠ والطرائف لابن طاووس ص٢٦٤ وراجع: البحار ج٢٩ ص٢٣٩ ومناقب آل أبي طالب ص٤١٨ وعن بلاغات النساء ج٢ ص١٤٦ و (ط بصيرتي ـ قم) ص١٤ ومواقف الشيعة ج١ ص٤٧٣.

فقال علي «عليه السلام»: أما فاطمة فبضعة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن آذاها فقد آذى رسول الله «صلى الله عليه وآله». ومن كذبها فقد كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأما الحسن والحسين، فابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيدا شباب أهل الجنة. من كذبهما فقد كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ كان أهل الجنة صادقين.

وأما أنا فقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد علي، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني.

وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها.

قال عمر: أنتم كما وصفتم (به) أنفسكم. ولكن شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل.

فقال علي «عليه السلام»: إذا كنا نحن كما تعرفون (ولا تنكرون)، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تقبل، فإنا لله وإنا إليه راجعون. إذا ادَّعينا لأنفسنا تسألنا البينة؟! فما من معين يعين.

وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله، فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بينة ولا حجة، **(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ**

يَنقَلِبُونَ)[(١)]»[(٢)].

وهناك نصوص أخرى فيها العديد من الإشارات واللمحات، فمن أرادها فليرجع إلى كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»، الجزء العاشر.

للإيضاح والتذكير:

ونقول:

قد تكلمنا عن موضوع فدك، والإستيلاء عليها من قبل الذين استولوا على الأمور بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»، الجزء العاشر، وفي كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً.

وسوف لن نعيد هنا ما ذكرناه هناك، بل نقتصر على ما يرتبط بالإمامين الحسنين «عليهما السلام»، وذلك على النحو التالي.

مستند ردّ شهادة الحسنين:

إن أبا بكر قد طلب من الزهراء «عليها السلام» شهوداً، فجاءته بعلي، والحسنين، وأسماء بنت عميس، وأم أيمن. بالرغم من أن جميع الناس يشهدون: أن فدكاً كانت في يدها، وعمالها كانوا فيها لعدة

(١) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول ص٢٠٣ ـ ٢٠٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٩٧ ـ ١٩٩ واللمعة البيضاء ص٣١٥.

سنوات، ولكنها أرادت أن تأتيه بمن عاين، ورأى وسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يمنح فاطمة فدكاً، وتُشْهِدُ خصوص هؤلاء على هذا الأمر.

وهم: امرأتان ـ إحداهما زوجة أبي بكر نفسه، وهي أسماء بنت عميس ـ، وعلي، والحسنان «عليهم السلام».

ورسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أشهدهم على هذا الأمر.. وكأنَّه «صلى الله عليه وآله» على اطلاع من طريق الوحي الإلهي: بأن فاطمة «عليها السلام» سوف تحتاج إلى الشهود، فاختار لها شهادة هؤلاء.

وكان اختياره لهؤلاء له أبعاد مهمة، فقد كان بإمكانه أن يشهد على هذا الأمر ثلة من كبار الصحابة، ولكنه لم يفعل، واقتصر على خصوص هؤلاء.

لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يعلم: بأن فدكاً سوف تؤخذ من فاطمة على كل حال، حتى لو شهد لها بها الناس أجمعون.

فلم يعد المهم استرجاع فدك، لأنهم لن يرجعوها.

وما دام الأمر كذلك، فليكن الثمن الذي يدفعونه كبيراً، وفادحاً.. من سمعتهم، ومن كرامتهم في الدنيا قبل الآخرة.

فكانت الخطة الإلهية هي اختيار هؤلاء للشهادة، لأن ذلك سوف يغري هؤلاء الغاصبين بالتسرع لرد شهادتهم، متذرعين بحجج واهية، وأباطيل خاوية. سرعان ما يظهر زيفها وبطلانها، كالذي

رأيناه وسمعناه، إذ ما أسهل أن يقولوا: هذه أعجمية لا تفصح، وذاك يجر النار إلى قرصه، والحسنان ابنا فاطمة أيضاً، فهما يجران النار إلى قرصهما أيضاً.

ولكن لم يكن المهم هو ضعف حجج المستولين على فدك، وبطلان أدلتهم، بل المهم هو: أن هذا الرد يتضمن تكذيباً لصريح القرآن في آية التطهير، وظهور مدى قصورهم في المعرفة بالأحكام.

والأهم من ذلك: ظهور جرأتهم بعد التذكير والتوضيح على مخالفة صريح الأوامر الإلهية، والتمرد على الشرع والدين، وعدم المبالاة بما رأوه وسمعوه، وعاينوه من توجيهات وأوامر وزواجر، صدرت من سيد الخلق أجمعين، وافضل الأنبياء والمرسلين.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» أشهد أياً كان من الناس، لتجرؤوا على تكذيبه، وقالوا: لقد حضرنا كما حضرت، ورأينا ما رأيت، ولكنك تميل مع الهوى، أو تتأثر بالعصبية، أو أنك تحت وطأة التأثير العاطفي، بما لا يصح التأثر به، أو لغير ذلك من أسباب.

فإن قيل لهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال في حق الشاهد الفلاني كذا، وفي حق ذاك الآخر كذا وكذا، فسوف يسهل عليهم القول: إننا كبرنا ونسينا، أو لم نسمع، ولم نر، ولا ندري، أو إنه «صلى الله عليه وآله» قد غيَّر رأيه فيه بعد أن حصل كذا وكذا، أو بعد أن ظهرت منه الهفوة الكذائية، أو ما إلى ذلك.

وقد يطعنون بالنبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، ويقولون: لعله

جاملهم في كلامه، أو لعله لم يطلع على ما أخفوه من سلوك، وتستروا عليه من ممارسات، فحباهم بأوسمة لا يستحقونها.

ولكن الناس يعلمون، ويرون: أن هؤلاء الصفوة. أعني علياً وفاطمة، والحسنين «عليهم السلام» قد عاشوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» طيلة حياتهم، وكانوا بمرأى ومسمع منه، ولم يزل يلهج بنشر فضائلهم، ويبين مقاماتهم، ويعرّف الأمة بما لهم عند الله، إلى آخر لحظة في حياته..

كما أن الله تعالى قد أنزل فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ولم ينزل ما ينقض تلك الآيات. والله عالم بالأسرار والخفيات، فلا يمكن أن يحابي هذا، أو أن تأخذه العصبية القبائلية، أو أن يجامل، أو أن ينسى، أو غير ذلك..

شهادة الحسنين ' بنظر الغاصبين:

وقد لفت نظرنا: أن الغاصبين لفدك لم يردوا شهادة الحسنين «عليهما السلام» لصغر سنهما، ربما لأنهم عرفوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشهدهما على كتاب ثقيف، وبايعهما في بيعة الرضوان، ولم ير صغر سنهما مانعاً من البيعة، ولا من الشهادة على كتاب يرتبط بمصير أناس آخرين. كما أنه قد باهل بهما نصارى نجران، وجعل صدقهما في الشهادة من أسباب نزول العذاب على الكاذبين.

بل لجأوا إلى ادّعاء: أن الحسنين ابنان لصاحبة الدعوى، فهما

يجرّان النار إلى قرصهما، أو أنهما فرع عنها، وشهادة الفرع للأصل لا تجوز.

ولكن قد فاتهم: أن رد الشهادة يعني: توجيه الاتهام لهما بمحاباة أمهما، وعدم الصدق في شهادتهما.. وهذا تكذيب للحسنين «عليهما السلام»، مع أن آية التطهير صرحت بطهارتهما.

فرده لشهادة الحسنين وعلي «عليهم السلام» رد لشهادة القرآن بتطهيرهم. كما أن طلب الشهود من فاطمة يعد تكذيباً للقرآن أيضاً.

ورد شهادة أم أيمن تكذيب لها.. وأعجميتها لا تمنع من الاستعانة

الفصل الثاني:

الحسنان ' في استشهاد أمهما:

كانت وفاة أمهما «عليها السلام» في السنة الحادية عشر من الهجرة[١]. وفي رواية عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أنها توفيت في

---

(١) مصباح المتهجد ص٧٩٣ ودلائل الإمامة ص٧٩ و ١٣٤ وذخائر العقبى ص٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٤٠ وبحار الأنوار ج١٦ ص٧٨ وج٤٣ ص٩ و ١٨٨ و ٢١٥ وج٩٥ ص١٩٦ والأنوار البهية ص٥٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٨ ص٢٥٣ وج٩ ص١٩٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢١١ وفتح الباري ج٧ ص٨١ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٥٠ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٦٦ والذرية الطاهرة النبوية ص١٥٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤٠٠ والإستيعاب ج٤ ص١٨٩٩ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٤٩٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٦٢ وج١٤ ص٢٥٦ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٥٢ والإصابة ج٨ ص٢٦٨ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص١٨ وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» لابن عساكر ص٤٤١ والعدد القوية ص٢٢٠ والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ ج١ ص٦٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٩ ومجمع النورين للمرندي ص٥١ وبيت الأحزان ص١٨٩ وشرح إحقاق

السنة العاشرة[1].

وكان الحسنان «عليهما السلام» حاضرين في متن هذا الحدث الجلل، ومتابعين لفصوله كلها.

ذكر الأربلي: أنه لما توفيت الزهراء «عليها السلام» كانت أسماء بنت عميس عندها، فبينما هي كذلك دخل الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقالا: يا أسماء، ما ينيم أمنا في هذه الساعة؟!

قالت: يا ابني رسول الله، ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا.

فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني.

قالت: وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: يا أماه أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدع قلبي فأموت.

قالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله، انطلقا إلى أبيكما علي فأخبراه بموت أمكما.

فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء،

الحق (الملحقات) ج١٠ ص٤٥٥ وج١٩ ص١٧٥ و ١٧٦ وج٢٥ ص٥٥٦ و ٥٥٩ و ٥٦١ و ٥٦٢ ونظم درر السمطين ص١٨١.

(١) مقاتل الطالبيين ص٥٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٥ واللمعة البيضاء ص٨٨٤ و ٨٨٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٤٧.

فابتدرهما جميع الصحابة، فقالوا: ما يبكيكما يا ابني رسول الله، لا أبكى الله أعينكما، لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما، فبكيتما شوقا إليه؟!

فقالا: (لا) أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة «صلوات الله عليها».

قال: فوقع علي «عليه السلام» على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟! كنت بك أتعزى، ففيم العزاء من بعدك، ثم قال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل

وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

ثم قال «عليه السلام»: يا أسماء، غسليها، وحنطيها، وكفنيها.

قال: فغسلوها، وكفنوها، وحنطوها، وصلوا عليها ليلاً، ودفنوها بالبقيع، وماتت بعد العصر(١).

مشاركة الحسنين ' في تغسيل أمهما:

وكانا أيضاً مشاركين فيه. وقد غسلها الإمام علي «عليه السلام» نفسه، وهي في قميصها(٢)، ولم تكشف(١).

---

(١) كشف الغمة (ط تبريز) ج٢ ص٦٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٣ و (ط أخرى) ج١ ص٥٠٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٦ والعوالم ج٦ ص٢٧٨.

(٢) اللمعة البيضاء ص٨٥٩ و ٨٦٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٩ والأنوار البهية ص٦٢ والأنوار العلوية ص٣٠٥

قال ابن جرير بن رستم الطبري: «فغسلها أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يحضرها غيره»(٢).

والظاهر من كلامه: أن الحسنين «عليهما السلام»، وأسماء،

وبيت الأحزان ص١٨٢ ومجمع النورين للمرندي ص١٥٣.

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٢ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٠٣ وكشف الغمة ج٣ ص٣٦٤ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٤ واللمعة البيضاء ص٨٨٢ والذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص١٥٥ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٥٨٧ وتنقيح التحقيق للذهبي ج١ ص٣٠٥ والقول المسدد في مسند أحمد ص٧١ ونصب الراية ج٢ ص٢٩٦ ومسند أحمد ج٦ ص٤٦١ و ٤٦٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢١١ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٤١١ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٣٩٩ والخصائص الفاطمية للكجوري ج٢ ص١٧٦ و ٥٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٤٦٣ وج٣٣ ص٣٨١ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٨ والعمدة لابن البطريق ص٣٨٩ وذخائر العقبى ص٥٤ والأنوار البهية ص٦٠ والموضوعات ج٣ ص٢٧٧ وأسد الغابة ج٥ ص٥٩٠ وتاريخ المدينة لابن شبة النميري ج١ ص١٠٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٩ وينابيع المودة ج٢ ص١٤١.

(٢) دلائل الإمامة (ط مؤسسة البعثة) ص١٣٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص٤٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٧١ وج٧٨ ص٣١٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ والهداية الكبرى ص١٧٨ واللمعة البيضاء ص٨٥٢.

وزينب، وأم كلثوم كانوا حاضرين لوفاتها، دون أن يشاركوا في غسلها، ولكن كانت أسماء والحسنان «عليهما السلام»، وربما غيرهم يلبون طلبات الإمام «عليه السلام»، فيناولونه الماء وغيره.

وقد أمرهما أبوهما حين تغسيل أمهما «عليها وعليهما السلام»: بأن يدخلا الماء[١].

وإنما تولى علي «عليه السلام» تغسيلها، لأنها صديقة، لا يغسلها إلا صديق[٢].

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص٥٣٤ و (الإسلامية) ج٢ ص٧١٧ وكشف الغمة ج١ ص٥٠٠ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٥ و ١٨٦ وج٧٨ ص٣٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٠٢ واللمعة البيضاء ص٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٦٥.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص٥٣٠ وراجع ص٥٣٣ و ٥٣٤ و (الإسلامية) ج٢ ص٧١٥ والكافي ج٣ ص١٥٩ وج١ ص٤٥٩. وبحار الأنوار ج٢٧ ص٢٩١ وج٤٣ ص٢٠٦ و ١٨٤ وج٧٨ ص٢٩٩ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٢٦٨ وسبل السلام للكحلاني ج٢ ص٩٨ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٣١ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص٣٩٧ وعلل الشرايع ج١ ص٢١٨ و ٢١٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٨٤ وشرح أصول الكافي ج٧ ص٢١٩ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٨٧ و ٤٠٢ وتهذيب الأحكام ج١ ص٤٤٠ و ٤٢٢ والإستبصار ج١ ص١٩٩ و ٧٠٣. وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٦٤ واللمعة البيضاء ص٨٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٣٧٨ وقرب

التكفين ثم الوداع:

ثم كان علي «عليه السلام» هو الذي أدرج فاطمة الزهراء «عليها السلام» في أكفانها، بعد أن حنطها من فضلة حنوط رسول الله «صلى الله عليه وآله».

١ ـ قال «عليه السلام»: فلما هممت أن أعقد الرداء، ناديت: يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضة، يا حسن، يا حسين. هلموا تزودوا من أمكم، فهذا الفراق، واللقاء في الجنة.

فلما أقبل الحسنان «عليهما السلام»، وكلماها، يقول أمير المؤمنين «عليه السلام»: إني أشهد الله أنها قد حنَّت، وأنَّت، ومدَّت يديها، وضمتهما إلى صدرها ملياً. وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعهما عنها، فلقد أبكيا ـ والله ـ ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب.

قال: فرفعتهما عن صدرها.

ثم ذكر «عليه السلام»: أنه عقد الرداء، ثم حملها على يده، وأقبل بها إلى قبر أبيها.

ثم عدل بها إلى الروضة، فصلى عليها في أهله ومواليه، وأصحابه، وأحبائه، وطائفة من المهاجرين والأنصار. ثم واراها،

الإسناد ص٤٣ وكشف الغمة ج١ ص٥٠٢.

وألحدها في لحدها(١).

٢ ـ عن ورقة بن عبد الله الأزدي، عن فضة «رحمها الله» قالت في رواية مطولة: «فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام، وهما يناديان: وا حسرتاه، لا تنطفئ أبداً.. فقدنا جدنا محمداً المصطفى، وأمنا فاطمة الزهراء، يا أم الحسن، يا أم الحسين، إذا لقيت جدنا المصطفى فاقرئيه منا السلام، وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا..

فقال أمير المؤمنين علي «عليه السلام»: إني أشهد الله أنها قد حنَّت وأنَّت، وذكر نحو ما تقدم آنفاً..

ثم قال: فرفعتهما عن صدرها، وجعلت أعقد الرداء..»(٢).

وقريب من ذلك: ما روي عن أسماء بنت عميس..(٣) أيضاً.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٩ ـ ١٨٠ باختصار، واللمعة البيضاء ص٨٥٩ و ٨٦٠ وراجع: الأنوار البهية ص٦٢ و ٦٣ والعوالم ج٦ ص٢٦١ والأنوار العلوية ص٣٠٥ ومجمع النورين للمرندي ص١٥١ ـ ١٥٤ وبيت الأحزان ص١٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٤ ـ ١٨٠ واللمعة البيضاء ص٨٥٤ ـ ٧٦١ والأنوار العلوية ص٣٠٢ ـ ٣٠٦ ومجمع النورين ص١٥١ ـ ١٥٤.

(٣) راجع: الزهراء بهجة قلب المصطفى ص٥٧٩.

الصلاة على الزهراء ÷:

أما فيما يرتبط بالصلاة على السيدة الزهراء «عليها السلام»، فنقول:

١ ـ في رواياتنا: أن الذين حضروا دفن الزهراء «عليها السلام» وصلوا عليها هم: أمير المؤمنين، والحسن، والحسين «عليهم السلام»، وعقيل، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وبريدة، ونفر من بني هاشم.

وفي رواية: العباس، وابنه الفضل.

وفي رواية أخرى: حذيفة، وابن مسعود(١).

٢ ـ وقال محمد بن جرير، بن رستم الطبري ما يلي: «..فغسلها أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يحضرها غيره، والحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى البقيع في الليل، ومعه الحسن والحسين، وصلى عليها.

ولم يعلم بها، ولا حضر وفاتها، ولا صلى عليها أحد من سائر الناس غيرهم، ودفنها في الروضة، وعفى موضع قبرها»(٢).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٦٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٣ و ١٩٢ واللمعة البيضاء ص٨٦٣ و ٨٦٨ و ٨٦٩ وروضة الواعظين ص١٥١ و ١٥٢ ومجمع النورين للمرندي ص١٥٠ وغير ذلك.

(٢) دلائل الإمامة (ط مؤسسة البعثة) ص١٣٦ و (منشورات الشريف الرضي)

وظاهر كلامه: أن الذي غسلها هو أمير المؤمنين «عليه السلام» وحده، ولم يحضرها غيره، وأن الذين حضروا وفاتها هم الذين عددهم من أبنائها وبناتها، وأن الذي حملها إلى البقيع هو علي، والحسن، والحسين «عليه السلام»، وصلى عليها علي «عليه السلام».. والظاهر: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا يأتمان به.

٣ ـ وهناك روايات تقول: إن الذين صلوا على الزهراء هم: الحسنان، وعبد الله بن عباس، وسلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد.

فصلى علي «عليه السلام» معهم(١).

ونقول:

كان ما تقدم هو ما يرتبط بالإمامين الحسنين «عليهما السلام»، اللذين كانا حاضرين حين وفاة سيدة النساء، وطبيعة، ومدى مشاركتهما في غسلها، والصلاة عليها، وحضورهما دفنها، وبعدما

ص٤٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٧١ وج٧٨ ص٣١٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ والهداية الكبرى ص١٧٨ واللمعة البيضاء ص٨٥٢.

(١) كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص٣٩٣ ودلائل الإمامة ص١٣٣ واللمعة البيضاء ص٨٧٢ و ٨٨٣ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٤ وج٤٣ ص١٩٩ و ٢٠٨ وج٧٨ ص٣١٠ ومجمع النورين للمرندي ص١٤٥ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٠٢ و ٢٩١ وبيت الأحزان ص١٧٧.

تقدم، فإننا نحب أن نذكر القارئ بما يلي:

المشاركة في التغسيل والصلاة والدفن:

لا شك في أن الحسنين «عليهما السلام» بحكم صغر السن، حيث كانا بين السبع والثمان سنوات، لا يتوقع منهما ـ بحسب طبيعة الأحوال ـ حمل الأشياء الثقيلة، فلماذا أمرهما أبوهما «عليه السلام» بأن يدخلا الماء؟!

وأمر علي «عليه السلام» تجب إطاعته على كل أحد، وبالأخص على ولديه الإمامين المعصومين، فما هو المبرر لتكليفهما بإدخال الماء ليستعمل في الغسل؟! أليس هذا متعباً لهما، وشاقاً عليهما؟!

ويجاب:

أولاً: بأنه «عليه السلام» لم يأمرهما بحمل ما يشق عليهما، أو ما يكون فوق طاقتهما. وكان يمكن أن يتعاونا على حمل ظرف واحد، يأخذ كل واحد منهما بأحد طرفيه، ويوصلانه إليه..

ثانياً: لمشاركة الحسنين «عليهما السلام» هذه دلالات وإشارات، تفرض قيامهما بهذه المهمة، لأنها تمثل ممارسة عملية لمعنى الإمامة والعصمة، والصديقية.

وهذا أيضاً هو السبب في إشراك الحسنين «عليهما السلام» في الصلاة على الصديقة الطاهرة، سيدة النساء «صلوات الله وسلامه عليها».

وتأكيد هذه المعاني وممارسة شؤون الإمامة بصورة فعلية أمر تحتاج إليه الأمة في التربية الوجدانية، في معارفها الإيمانية، وتلمس تطبيقات شؤون هذا المقام الذي اختص الله به صفوة خلقه، وقادة وهداة عباده.

فلا ضير إذاً إذا بذل الحسنان «عليهما السلام» ـ وهما بهذه السن ـ بعض الجهد، وعانيا شيئاً من التعب.

يضاف إلى ذلك: أن هذه المشاركة حق لهما، وشرف وكرامة حباهما الله تعالى بها، وجعلهما من أهلها. وكان لا بد من منحهما الفرصة لنيل ما أهلهما الله لنيله، لأن غض النظر عنه ربما كان تفريطاً بما لا ينبغي التفريط به.

من حضر الصلاة، هل حضر الدفن؟!:

يفهم من بعض النصوص السابقة: أن الذين شاركوا في الصلاة على الزهراء، هم أنفسهم قد شاركوا في دفنها «عليها السلام».

ولكن يبدو لنا: أن ذلك غير دقيق، فإنهم جمع كثير، يصل عدد من سمي لنا منهم إلى تسعة عشر رجلاً وامرأة. وأضاف بعضهم إليهم نفراً من بني هاشم أيضاً، وهذه الجماعة الكثيرة إذا حضرت التشييع، لا تخفى على الناس الذين يعيشون في المحيط حتى لو اجتمعوا ليلاً. وسيشعر الناس بأن اجتماعهم في تلك الساعة ليس مصادفة، وسيحاولون البحث عن الأسباب، وسوف يصعب إخفاء موضع دفنها «عليها السلام» في مثل هذه الأحوال.

وحتى لو لم يحضر أحد غير هؤلاء الذين قد يصل إلى خمس وعشرين نفساً، فإن إخفاء موضع القبر سيكون بمكان من الصعوبة، ولاسيما مع امتداد الزمان، وتقادم العهد، ورغبة الناس في البوح ببعض ما كتموه، ولاسيما إذا كان أمراً خطيراً كهذا الأمر، الذي يحب الناس أن يكتشفوه، ويعرفوه..

هذا فضلاً عن وجود نصوص ـ كنص دلائل الإمامة على سبيل المثال ـ تحصر حضور الدفن بـ: علي، والحسن، والحسين «عليهم السلام». ولو أضفنا إليهم بضعة أشخاص آخرين، فقد لا يصل عدد المجموع إلى ربع العدد الذي يمكن الحصول عليه من مجموع الروايات.

البنات أولاً:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين همَّ أن يعقد الرداء؛ نادى:

«يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضة، يا حسن، يا حسين. هلموا تزودوا من أمكم، فهذا الفراق».

ولا بد هنا من تسجيل بعض الملاحظات:

الملاحظة الأولى: أنه «عليه السلام» قال لأولاده: «تزودوا من أمكم، فهذا الفراق»، مع أنها «عليها السلام» قد فارقتهم بالموت قبل ساعات.

ويجاب:

أولاً: إن حصول الموت لا يعني المفارقة التامة، فإن الروح إذا خرجت من البدن لا تفارقه بصورة تامة، بل تبقى بالقرب منه، ويبقى لها نوع ارتباط بهذا الجسد، وتصل إليها الحسنات من خلاله.

ولذا يستحب زيارة القبور، وإهداء الحسنات إلى الأموات عند قبورهم، كما أن هناك زيارة خاصة بأهل القبور. وأما الأنبياء والأوصياء، ومن لهم مقام وشأن عند الله، فقد ورد في زيارتهم، قول الزائر: «أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد سلامي».

وقد صرحت الآيات القرآنية المباركة، بحياة الشهداء قال تعالى: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**(١).

والشواهد والدلائل على ما قلناه كثيرة.

ثانياً: لو أردنا أخذ الأمور ببساطة، فإننا نقول:

يكفي في دفع هذا الإشكال أن يقال: إن المقصود: أن وقت مفارقة الجسد، ودفنه، وتغييبه في القبر قد حان واقترب.

الملاحظة الثانية: إنه «عليه السلام» حين نادى أفراد العائلة بأسمائهم بدأ بذكر أسماء البنات، وأخر ذكر اسمي الحسن والحسين «عليهما السلام» مع أنهما الأكبر سناً.

---

(١) الآيتان ١٦٩ و ١٧٠ من سورة آل عمران.

ونجيب:

بأن هذا هو التصرف الحميد والسديد، خصوصاً في هذا الوقت بالذات، فإن شعور البنات بالحاجة إلى الأم، والعيش في كنفها، وتحت رعايتها يكون قوياً عادةً، الأمر الذي يثير في البنات الكثير من الرهبة، والوجل حين فقدها..

أما الأبناء، ولا نعني غير الحسنين، فعلاقتهم بأمهم تنطلق من معرفتهم بمقامها، وشعورهم بمعاناتها، وإدراكهم لفادح الخسارة بفقدها. مع شديد تألمهم لفراقها «عليها السلام».

ويمكن أن نتذكر هنا: الأوامر التي وردت عنهم «عليهم السلام»: بأنه إذا أريد توزيع شيء ما على الأولاد، فليبدأ بإعطاء البنات قبل الصبيان[١].

الملاحظة الثالثة: إنه «عليه السلام» قد ذكر فضة في جملة

---

(١) هداية الأمة ج٧ ص٣٥١ والأمالي للصدوق ص٦٧٢ و ٦٧٣ وثواب الأعمال للصدوق ص٢٠١ وروضة الواعظين ص٤٢٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٥١٤ و (الإسلامية) ج١٥ ص٢٢٧ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١١٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٢١ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٦٩ و ٩٤ و ١٠٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٨٤ وج١٠ ص٤٣٥ وميزان الحكمة ج٢ ص١١٨٨ ومعجم المحاسن والمساوئ ص٣٩٦ وإحياء علوم الدين ج٤ ص١٥٤.

البنات، واعتبر الزهراء «عليها السلام» أماً لها، ليكون هذا تطبيقاً عملياً لنظرة الإسلام للإنسان المؤمن، فإنه لا يرى فرقاً ولا فضلاً في الحقوق الإنسانية والإيمانية لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

وربما قيل أيضاً: إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» أبوَي هذه الأمة، فمن الطبيعي: أن تكون الزهراء «عليها السلام» أماً راعية لها.

حنَّت، وأنت:

صرحت الروايات المتقدمة: أنها «عليها السلام» حين أقبل الحسنان «عليهما السلام» وكلماها حنَّت وأنَّت، ومدت يديها، وضمتهما إلى صدرها ملياً، حتى جاء الهاتف من السماء يطلب من علي «عليه السلام» أن يرفعهما، فقد أبكيا ملائكة السماء.

ونقول:

إن الحنين والأنين، والضم إلى الصدر، غير بعيد عن قدرة الله تعالى، ولا يستلزم أي محذور عقلي، فقد كان عيسى «عليه السلام» يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله تعالى.

وقد قدمنا: أن علاقة الروح بالجسد، وإن كانت قد ضعفت بالموت، ولكنها لم تنقطع عن الجسد بصورة تامة ونهائية، ولأجل ذلك خاطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قتلى المشركين بعد إلقائهم في قليب بدر، وخاطب علي بعض القتلى في حرب الجمل.. وقال النبي «صلى الله عليه وآله» حينئذٍ لسائليه عن ذلك: ما أنتم

(لستم) بأسمع منهم[١]. وعدا ذلك، فإننا نزور القبر، ونقرأ القرآن عنده، ونهديه لصاحب القبر.

ولأجل ذلك يوجد حساب القبر، فيكون الحساب للروح بقرب الجسد. وقلنا: إن الأنبياء والأوصياء، وأصحاب المقامات عند الله لهم حالاتهم وخصوصياتهم التي يمتازون بها عن غيرهم، فهم يرون مقام زائرهم، ويسمعون كلامه، ويردون سلامه، وإن كان الزائر لا يسمع. كما أن الشهداء أيضاً أحياء عند ربهم يرزقون.

ولا مانع من أن يكون لبعض الأمور تأثير في إعادة شيء من القوة لعلاقة الروح بالجسد، فيما يرتبط بالمعصومين، كما جرى للسيدة الزهراء «عليها السلام»، حين ألقى الحسنان نفسيهما عليها، وكلماها.

ولعل قصة بقرة بني إسرائيل تصلح شاهداً على ذلك أيضاً، فإن ضرب المقتول ببعض تلك البقرة كان سبب إحيائه ليخبرهم بما سألوه

---

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص١٠١ وشرح صحيح مسلم للنووي ج١٧ ص٢٠١ وعمدة القاري ج٨ ص٢٠١ ومسند أبي داود ص٩ وإثبات عذاب القبر ص٦٤ والتمهيد ج٢٠ ص٢٤٠ والدرر لابن عبد البر ص١٠٦ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٩٥ وتفسير الرازي ج١٤ ص١٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٤٢ والدر المنثور ج٥ ص١٥٧ ودلائل النبوة ج٣ ص٤٨ وراجع: تصحيح إعتقادات الإمامية ص٩٢ وبحار الأنوار ج٦ ص٢٥٤.

عنه.

بل لقد صرح القرآن: بأن النوم أيضاً مرحلة قريبة من الموت، قال تعالى: (**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[١].

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر.

ملحـــق:

أحداث متفرقة..

فاطمة ÷ توصي علياً × بتزوج أمامة؟!:

في سنة اثنتي عشرة للهجرة مات أبو العاص بن الربيع، وأوصى إلى الزبير، وتزوج علي «عليه السلام» ابنته[1].

زوجها منه الزبير، لأن أباها قد أوصاه بها[2].

وقيل: إن علياً «عليه السلام» تزوج أمامة بنت أبي العاص، بوصية الزهراء «عليها السلام»، فقد أوصته بذلك، وقالت: إنها تكون

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٨٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٥٨٤ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٢٥٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤٤٣ والإكمال في أسماء الرجال ص١٥٠ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٨٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٩١ وج١٨ ص٣٩٨ وتهذيب الكمال ج٩ ص٣٢٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٤٠٠ وعيون الأثر ج٢ ص٣٦٤ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٢.

(٢) أسد الغابة ج٧ ص٢٠ و (ط دار الكتاب العربي ـ بيروت) ج٥ ص٤٠٠ والإصابة (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج٨ ص٢٤ والإستيعاب ج٤ ص٣٥١ و (ط دار الجيل) ج٤ ص١٧٨٨ والوافي بالوفيات ج٩ ص٢١٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٦٤ والكنى والألقاب ج١ ص١١٥. وراجع الهامش السابق.

لولدي مثلي(١).

أو قالت: بنت أختي، وتتحنن على ولديّ(٢).

ويروي ابن عباس عن علي «عليه السلام» قوله: أشياء لم أجد إلى تركهن سبيلاً.

إلى أن قال: وتزويج أمامة بنت زينب، أوصتني بها فاطمة «عليها السلام»(٣).

وفي بعض الروايات: أنها ولدت لعلي «عليه السلام» محمداً الأوسط(٤).

---

(١) راجع: روضة الواعظين ص١٦٨ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٣٦٠ وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٧٠ وعلل الشرايع ج١ ص١٨٨ وراجع: بحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٤ وج٤٣ ص١٨١ و ١٩١ و ١٩٩ وج٧٨ ص٢٥٣ و ٢٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٦٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣١٧ واللمعة البيضاء ص٨٦٨ و ٨٧٢ و ٨٧٥ والأنوار العلوية ص٣٠٣ ومجمع النورين ص١٥٠ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص٣٣٢.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٧ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣١٧ واللمعة البيضاء ص٨٩٠ عن مصباح الأنوار ص٢٥٩. وراجع: مجمع النورين للمرندي ص١٤٨ وبيت الأحزان ص١٦٩.

(٣) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٧٠ و (ط الأولى سنة ١٤٢٢هـ) ص٣٩٢ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٤.

(٤) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٨٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٢

قالوا: ولما جرح علي «عليه السلام» خاف أن يتزوجها معاوية، فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوجها بعده.

فلما استشهد علي «عليه السلام»، وانقضت عدتها أرسل إليها معاوية يخطبها، فأرسلت إلى المغيرة تعلمه بذلك، فتزوجها المغيرة، فولدت له يحيى، وهلكت عنده(١).

ونقول:

إن ما يعنينا في النصوص المتقدمة، وإن كان هو ما يرتبط بالإمام الحسين «عليه السلام».. حيث أوصت فاطمة علياً «عليهما السلام» بأن يتزوج أمامة، لأنها ـ كما قالت «عليها السلام» ـ تكون لولدي مثلي.

أو قالت: بنت أختي، وتتحنن على ولدي.

ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣١٧ وإمتاع الأسماع ج٦ ص٢٩٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١٢٢ والأنوار العلوية ص٤٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٦٧٥.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٤٥٢ ومجمع البحرين ج١ ص١٠٩ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٥ وعيون الأثر ج٢ ص٣٦٤ والإستيعاب ج٤ ص١٧٨٩ وأسد الغابة ج٥ ص٤٠٠ وراجع: ذخائر العقبى ص١٦١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص١٤٥ وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ج٢ ص٤١٤.

ولكن ذلك لا يمنع من أن تكون لدينا بعض التساؤلات حول النصوص المتقدمة لقصة أمامة هذه، نجملها على النحو التالي:

بنت أختي:

صرحت الرواية: بأن الزهراء «عليها السلام» قالت عن أمامة: «بنت أختي، وتتحنن على ولدي»، وقد أوردنا في كتبنا الأربعة حول موضوع بنات النبي «صلى الله عليه وآله» شواهد كثيرة تثير الريب في أن يكون للنبي «صلى الله عليه وآله» أي بنت غير الزهراء «عليها السلام»، وأسماء هذه الكتب هي:

١ ـ البنات ربائب.

٢ ـ بنات النبي أم ربائبه..

٣ ـ القول الصائب في إثبات الربائب..

٤ ـ ربائب النبي: قل هاتوا برهانكم..

إلا أن يكون مرادها «عليها السلام»: أنها أختها بالتربية والرعاية، التي أولاها إياها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنسبت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، لأنها تربت في بيته.

أشياء لا سبيل لتركها:

أما ما ذكر، من أن علياً «عليه السلام» لم يجد إلى ترك الزواج بأمامة سبيلاً، فلا ندري ما سببه؟! ولماذا جعلها في عداد الأمور المكروهة له؟! وأن الأمر النبوي والفاطمي هو الذي دعاه للقيام به،

فقد جعل الزواج بإمامة، كقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

لماذا التأخير بعد الوصية؟!:

وإذا كانت الزهراء «عليها السلام» قد أوصته بالزواج من أمامة، رغبة منها برعاية أبنائها، فلماذا تأخر زواجه منها إلى ما بعد حوالي سنتين من استشهاد الزهراء «عليها السلام»؟! فقد تزوج بأمامة بعد موت أبيها. وكان ذلك في السنة الثانية عشرة من الهجرة. ولعل الزواج قد تأخر عن هذا التاريخ أيضاً.

ولماذا أبقى أبناءه طيلة هذه المدة بلا حنان، ولا رعاية!!

إلا أن يكون قد خطبها من أبيها، فرده، فلما مات زوجه إياها الزبير..

وهذا أمر لا يمكن قبوله، فإنه لا يرد من مثل علي «عليه السلام»، بل يفتخر الناس، ويتقربون إلى الله بتزويجه.

لماذا زوجها الزبير؟!:

وحول تولي الزبير أمر زواج أمامة نقول:

أولاً: لم تكن أمامة صغيرة، ولا قاصراً لتحتاج إلى أن يوصي أبوها الزبير بها.

ثانياً: زواجها بعد موت أبيها لا يقرره الزبير ولا غيره، ولا تنتقل الولاية على التزويج للمرأة الراشدة والعاقلة بالوصية من أبيها إلى أحد. بل هي التي تستقل بتزويج نفسها.

ثالثاً: إن أبناء علي «عليه السلام» وبناته كانوا قد كبروا، وأصبحوا قادرين على تولي شؤونهم بأنفسهم، وقد رأينا كيف أن جدهم، وأمهم، وأباهم كانوا يوكلون إليهم القيام بالمهمات.

إلا أن يقال: إن الزبير كان وكيلاً عنها في إجراء صيغة الإيجاب في عقد الزواج، إن كان الخجل قد منعها.

محمد الأوسط ابن أمامة:

وذكر في كتاب سليم بن قيس، وعن الطبري[١] أيضاً: أن أمامة قد ولدت لعلي «عليه السلام» محمد الأوسط[٢]، كما تقدم، ولكننا نقول:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص١٥٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص١١٨.

(٢) رسالة في تواريخ النبي والآل للتستري (مطبوعة في آخر كتاب قاموس الرجال) ج١٢ ص٧٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٣٨٦ وأنساب الأشراف ج١ ص٤٠٠ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٩٧ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٨١ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٦٧ و ٣٦٨ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٦٦ و ٣٦٧ وج٦ ص٢٩٢ و ٢٩٣ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١٢٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٦٧٥.

أولاً: إن العسقلاني يقول: قيل: إنها لم تلد لعلي، ولا للمغيرة(١).

ثانياً: سيأتي عن ابن شهرآشوب وغيره: أنها ماتت ولم تتزوج بأحد بعده.

زواج أمامة بعد علي ×:

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» حين جرح خاف أن يتزوج معاوية أمامة، فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بأن يتزوجها بعده، فكان كذلك، فولدت للمغيرة يحيى، كما ولدت لعلي محمد الأوسط.

ونكتفي في الجواب على هذا بما صرح به ابن شهرآشوب، من أن النسوة اللواتي توفي علي «عليه السلام» عنهن، ولم يتزوجن بعده، هن:

«أمامة، وأسماء بنت عميس، وأم البنين الكلابية، وليلى التميمية»(٢).

---

(١) الإصابة ج٤ ص٢٣٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٧٨٩ وأسد الغابة ج٥ ص٤٠٠ وعيون الأثر ج٢ ص٣٦٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٠٥ و (ط المطبعة الحيدرية) ج٣ ص٩٠ وراجع: تفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٩٩ ومطالب السؤول ص٣١٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٨ وتاريخ

الأئمة (المجموعة) للكاتب البغدادي ص١٧ والهداية الكبرى للخصيبي ص٩٥ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٢ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٣٦ والدر النظيم ص٤١١ وكشف الغمة ج٢ ص٦٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٦٤٧.

الفصل الثالث:

الحسين × صلابة وانضباط..

الحسين × يشتري سيفاً:

وقالوا: إن علياً «عليه السلام» قد طوق خالد بن الوليد بقطب رحى، حين أراد خالد قتله غيلة وهو في حال الصلاة. وكان القرار هو أن يقوم بذلك بمجرد أن يقول أبو بكر: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.. فأبطأ أبو بكر عن قول ذلك، وظهر لعلي أن ثمة مؤامرة تستهدفه، فأخذ خالداً بإصبعيه من رقبته، حتى وجد عموداً من حديد، فطوّق به عنق خالد وتركه.

وجاء في بعض الروايات: أنه بعد عجزهم عن فك الطوق عن خالد، لم يجدوا سبيلاً إلى فكه إلا اللجوء إلى علي «عليه السلام» نفسه ليفكه عنه..

فذهب إليه أبو بكر ومعه خالد، وجماعة كثيرة من الناس، ليطلبوا منه ذلك، فلما وصلوا إلى منزله «وجدوا الحسين «عليه السلام» على الباب يقلب سيفاً ليبتاعه، قال له أبو بكر: يا أبا عبد الله! إن رأيت أن تستأذن لنا على أبيك.

فقال: نعم.

ثم استأذن للجماعة، فدخلوا ومعهم خالد بن الوليد الخ..»[١].

ونقول:

إن اقتناء السيوف في كل بيت أمر طبيعي في تلك العصور، فهو سيف جهاد، وسيف دفاع، وقد يستفاد منه في بعض الأمور الخدمية، إذا اقتضت الحاجة، ولم تتوفر الوسيلة لقطع اللحم والطعام، أو ذبح أو نحر الأنعام، أو ما إلى ذلك.

ولكن ما لفت نظرنا هنا: أن يكون الإمام الحسين «عليه السلام» الذي يراه الناس في عمر الطفولة يقلب سيفاً ليبتاعه. الأمر الذي يستبطن أن لديه خبرة كافية تخوله تولي هذا الأمر، فعلى الناس أن يراجعوا حساباتهم، ليدركوا أنهم أمام إنسان جامع لكل صفات الفضل والكمال، وإمام معصوم عن الخطأ، وعن القصور في جميع الشؤون والأمور.

وعليهم أن يضموا هذا المشهد إلى كثير من المشاهد التي مرت بهم في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما في اختياره كشاهد على منح الرسول «صلى الله عليه وآله» أرض فدك لوالدته فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وأخذ منه البيعة في بيعة الرضوان،

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي ص٣٧٨ ـ ٣٨٤ والأنوار العلوية ص١٤٨ ـ ١٥٣ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٦١ ـ ١٧٤ وقد رواه المجلسي عن بعض الكتب القديمة. وراجع: الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص١٦٦ ـ ١٦٩.

وأشهده على كتاب ثقيف، وكثير من الأمور الأخرى التي سبقت، وقد يأتي قسم منها في هذا الكتاب.

مكتوب على سيف الحسين ×:

قال الخوارزمي: «قيل: كان مكتوباً على سيف الحسين «عليه السلام»: البخيل مذموم، والحريص محروم، والحسود مغموم»(١).

ونقول:

نريد التذكير بما يلي:

١ ـ إن ما يكتبه الفرسان المعتدون بأنفسهم وبفروسيتهم على سيوفهم يكون في الغالب مشوباً بما يدل على الاعتداد بالنفس، مثقلاً بالادعاء، والتغني بالشجاعة، موشحاً بعبارات التخويف، والترهيب والإرعاب، وقمع الآخر وقهره، والهيمنة عليه، وقطع الصلة به..

ولكن هذا الذي كتب على سيف الحسين «عليه السلام» ـ كما نرى ـ قد اتسم بالوداعة، والرقة، والمودة للآخر، وإقامة الصلة به، وبره ومعونته، حيث ذم البخل، والحرص، والحسد، ودعا إلى نبذ هذه الأمور، وسعى إلى التنفير منها، ودعا إلى الابتعاد عنها، لأن من شأنها قطع العلاقة مع الآخر، والتقوقع والانكماش عنه إلى حد الاستئثار عنه، وحرمانه.

كما أن الحسد يدعو إلى بلورة الرغبة في حرمانه وسلب النعم

---

(١) مقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج٢ ص١٧٢.

عنه..

وقد وصف الحاسد بما دل على لزوم الإقلاع عن الحسد، لأنه صفة تجلب الغم لصاحبها.

فإذا كان السيف يشي بالقتل، ويشعر صاحبه بمزيد من القوة، وبقدرته على إزهاق الأرواح، فإن ما كتبه الحسين «عليه السلام» على سيفه يظهر الرغبة في حفظ حياة الناس، ومعونتهم، وحل مشاكلهم، وبذل الأموال التي هي ثمرة الجهد، وجنى العمر لهم، ويدعو إلى الزهد، وعدم الاهتمام بحطام الدنيا، فلا ينبغي حرمان الناس منها رغبة في الاستئثار بحطامها.

فما بالك بكراهيتهم والرغبة في سلب النعم عنهم، فضلاً عن سلب أرواحهم؟!.

فلا معنى لاعتبار الحسين «عليه السلام» رجلاً دموياً، أو قاسياً، لمجرد أنه رفض الخضوع لمنطق الظلم والعدوان، والقهر والقوة. فواجهوه بأقسى أنواع الإجرام، وقتلوا أبناءه وأهل بيته وأصحابه.

إن السيف عند الحسين وأهل البيت «عليهم السلام» ليس للقتل والإماتة، بل لإحياء النفوس والدفاع عنها، وحفظها بالدين والإيمان.

جدار يستر الحسنين ' للتخلي:

وهنا رواية عن الإمام الكاظم «عليه السلام»، نوردها بتصرف وتلخيص لا يخل بالمضمون الذي يعنينا منها، وهي كما يلي:

روى الراوندي:

عن الحسين بن الحسن، عن أبي سمينة محمد بن علي، عن جعفر بن محمد، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم الجعفري، عن أبي إبراهيم «عليه السلام» قال:

خرج الحسن والحسين «عليهما السلام» حتى أتيا نخل العجوة للخلاء، فهويا إلى مكان، وولى كل واحد منهما بظهره إلى صاحبه، فرمى الله بينهما بجدار يستتر به أحدهما عن صاحبه.

فلما قضيا حاجتهما، ذهب الجدار، وارتفع من موضعه.

وصار في الموضع عين ماء، وإجانتان. فتوضيا، وقضيا ما أرادا.

ثم انطلقا حتى صارا في بعض الطريق، عرض لهما رجل فظ غليظ، فقال لهما: ما خفتما عدوكما؟! من أين جئتما؟!

فقالا: إننا جئنا من الخلاء.

فهم بهما، فسمعوا صوتاً يقول:

(...) أتريد أن تناوي ابني محمد «صلى الله عليه وآله»، وقد علمت بالأمس ما فعلت.

(إلى أن قال:)

وأغلظ له الحسين «عليه السلام» أيضاً.

فهوى بيده ليضرب بها وجه الحسين «عليه السلام»، فأيبسها الله

من عند منكبه.

فأهوى باليسرى، ففعل الله به مثل ذلك، فقال: أسألكما بحق جدكما وأبيكما لما دعوتما الله أن يطلقني.

فقال الحسين «عليه السلام»: اللهم أطلقه، واجعل له في هذا عبرة، واجعل ذلك عليه حجة. فأطلق الله يده.

فانطلق قدامهما حتى أتى علياً «عليه السلام»، وأقبل عليه بالخصومة، فقال: أين دسستهما؟! وكان هذا بعد يوم السقيفة بقليل.

فقال علي «عليه السلام» : ما خرجا إلا للخلاء.

وجذب رجل منهم علياً «عليه السلام» حتى شق رداءه.

(ثم ذكر «عليه السلام»: أن الحسين «عليه السلام» دعا على ذلك الذي تجرأ على علي «عليه السلام»، وشق رداءه، واستجاب الله دعاءه بعد ذلك، ثم قال «عليه السلام»:)

فلما خرجا إلى منزلهما، قال الحسين للحسن «عليهما السلام»: سمعت جدي يقول:

إنما مثلكما مثل يونس إذ أخرجه الله من بطن الحوت، وألقاه بظهر الأرض، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وأخرج له عيناً من تحتها، فكان يأكل من اليقطين، ويشرب من ماء العين.

وسمعت جدي يقول: أما العين فلكم، وأما اليقطين فأنتم عنه أغنياء، وقد قال الله في يونس: **(وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ***

فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)(١).

ولسنا نحتاج إلى اليقطين، ولكن علم الله حاجتنا إلى العين، فأخرجها لنا، وسنرسل إلى أكثر من ذلك، فيكفرون، ويمتعون إلى حين.

فقال الحسن «عليه السلام»: قد سمعت هذا(٢).

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

لماذا الجدار؟!:

١ ـ تضمنت هذه الرواية حدوث معجزة للحسن والحسين «عليهما السلام»، حيث جعل الله تعالى بينهما جداراً حين أرادا التخلي، مع أنهما قد جلسا وقد ولى كل واحد منهما ظهره إلى صاحبه، فلم يعد ثمة حاجة إلى الجدار، إلا أن يكون الهدف من جعل الجدار هو تحقيق التخلي الحقيقي للإنسان بنفسه، وتضاؤل رغبة النفس في الجنوح إلى المخيلة، ومنع تنامي الإحساس حتى الباطني بالحالة التي يمكن أن يكون الطرف الآخر عليها.

وهذا غاية ما يطمح إليه المتخلي السِّير، الذي يحب أن لا تكون

(١) الآيتان ١٤٧ و ١٤٨ من سورة الصافات.

(٢) الخرائج والجرائح ج٢ ص٨٤٥ ـ ٨٤٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٣ ـ ٢٧٥ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٨٦ ـ ٣٨٩ و ٥٠٩ ـ ٥١١ .

الحال التي هو عليها حتى في متناول الأوهام والتخيلات، فإن هذا يزيد من طمأنينته، ورضاه.

وجعل الجدار بينهما بفعل إلهي، مع العلم بأنهما مصونان في أنفسهما عن الأوهام والتخيلات إنما هو لطرد مثل هذه الأوهام لدى الآخرين، ممن قصروا في فهم معنى إمامتهما وعصمتهما، ومدى تشددهما في الصون والستر.

وهذا يشبه إلى حد كبير، ما ذكرناه في كتابنا: أهل البيت في آية التطهير حول الفرق بين قوله تعالى: **(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ)**(١). وقوله: **(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ)**(٢). فإن الإرادة في النص الأول تعلقت مباشرة بشيء آخر يؤدي بنحو أو بآخر إلى إطفاء نور الله، ولم تتعلق بالإطفاء مباشرة.

أما في النص الثاني، فإن الإرادة تعلقت بإطفاء النور مباشرة.

والأمر هنا من هذا القبيل، فإن الجدار يهدف إلى إزالة التوهمات الباطلة من الأذهان السقيمة، ليذهب الرجس عن أهل البيت، ومنهم الحسنان «عليهما السلام».

٢ ـ إن هذه الكرامة الإلهية، وهي جعل الجدار، وإيجاد عين ماء للحسنين «عليهما السلام» ليتطهرا ويتوضأا بها، وإن كان عملاً لا

---

(١) الآيتان ٧ و ٨ من سورة الصف.

(٢) الآيتان ٣١ و ٣٢ من سورة التوبة.

يملك الآخرون أي اختيارٍ تجاهه، ولكن ذلك لا يرتبط بمعنى الجبر الذي يمتنع صدوره من مقام العزة الإلهية تجاه مخلوقاته فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، لأنه لا يعدو كونه فعلاً إلهياً، ولكنه ليس تصرفاً في إرادات البشر، بل يبقى للبشر الحرية في أن يفهموه ويتفاعلوا معه بصورة سليمة، وأن يستمروا في غيهم وضلالهم، فهو من قبيل المعجزة للأنبياء، فإن إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، لا يعني إجبار الناس على الإيمان بنبوة عيسى «عليه السلام»، بل تبقى لهم حرية الاختيار.

لماذا كل هذا الحقد؟!:

وذكرت الرواية: أن الرجل الذي اعترضهما، لم يكن لديه مؤاخذة عليهما، إلا أنه كان عليهما أن يخافا عدوهما، ولا يخرجا إلى ذلك المكان. وقد أخبراه بسبب خروجهما، وهو سبب وجيه، فلماذا همَّ بالبطش بهما؟!

وحتى لو توهم هو أنهما أخطأا بخروجهما، لكن من الذي أعطاه الحق بضربهما؟!

ولم يردعه صوت الهاتف الذي سمعه، بل تمادى في طلب الخصومة، وهذا أعجب وأغرب.

والأكثر غرابة من هذا وذاك: أنه حتى بعد أن ظهرت له كرامة الحسنين «عليهما السلام»، حيث أراد أن يضربه بيده اليمنى، فيبست، ولم يوقفه ذلك، بل أتبع ذلك بمحاولة ضربه بيده اليسرى، فأيبسها الله

أيضاً.

وحين أصبح عاجزاً تماماً قال لهما: بحق أبيكما وجدكما لما دعوتما الله أن يطلقني.

ولكن ذلك أيضاً لم يردعه، بل أفرغ جام غضبه في وجه أبيهما علي بن أبي طالب، في أمر لا ناقة فيه ولا جمل، ولا يعنيه من قريب ولا من بعيد، فخاصم علياً «عليه السلام»، حتى إن بعض من كان معه تجرأ على علي «عليه السلام» حتى شق رداءه.

وظني: أن هذا الرجل الذي لم تصرح الرواية باسمه كان على ثقة تامة:

أولاً: من أن للحسنين «عليهما السلام» مقامهما عند الله، وأن الله يستجيب لهما كل طلب.

ثانياً: إنه كان يعلم بأنهما لا يردان طلباً لمن أقسم عليهما بحق أبيهما وجدهما.

ثالثاً: إننا نكاد نطمئن إلى أن هذا الرجل قد اطلع على قصة سراقة بن جشعم مع النبي «صلى الله عليه وآله»، حين لحقه وهو في طريق الهجرة إلى المدينة، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ربه، فساخت قوائم فرس سراقة، فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطلق قوائم فرسه، ففعل، فعاد إلى محاولة اللحاق به،

وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات(١).

كما أنه قد رأى من الرسول «صلى الله عليه وآله»، ومن أهل بيته الكثير مما يدخل في هذا السياق، ومما يدل على حلمهم، وعلى ما حباهم الله به من كرامة، واستجابة لدعائهم.

ابنا محمد:

وقد لاحظنا: أن الصوت الذي سمعه الحسنان «عليهما السلام»، وذلك الرجل، قد قال له: أتريد أن تناوئ ابني محمد؟! فنسبهما إلى جدهما، لا إلى أبيهما.

ولعل الحكمة في ذلك هي:

أولاً: أن نسبتهما إلى جدهما ربما تؤثر المزيد من الردع والمنع له، ولو نسبهما إلى أبيه، فلربما يزداد هذا الرجل حماساً للبطش بهما، لأسباب كثيرة.

منها: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل آباءهم وإخوانهم في نصرة الرسول.. فيرون أن لهم ثارات عنده «عليه السلام». وربما توهموا: أن الظروف مؤاتية للأخذ بهذه الثارات.

ومنها: أنه هو الذي تمكن الإساءة إليه، بحجة أن لديه مشكلة

(١) الكافي ج٨ ص٢٦٣ وحلية الأبرار ج١ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج١٩ ص٨٨ ومرآة العقول ج٢٦ ص٢٥٥ والبرهان (تفسير) ج٢ ص٧٧٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٠١.

خطيرة مع الذين استولوا على الأمور بعد الرسول، ويمكن إلصاق تهمة البدء بالتعدي به وبأبنائه «عليهم السلام»، فلا بد من مواجهته والتضييق عليه ومحاصرته.

ومنها: أن المطلوب هو فرض الهيبة على أهل البيت، لأنهم هم الذين يتوقع منهم دائماً المبادرة لإعلان مظلوميتهم، والمطالبة بحقهم، فلا بد من تخويفهم، والعمل على بث اليأس في نفوسهم، واستضعافهم، وتصغير قدرهم.

الحسين × يتصدى:

لقد أغلظ الإمام الحسين «عليه السلام» لذلك الرجل، وحاول ذلك الرجل أن يضربه مرة بعد أخرى.. وتصدي الإمام الحسين «عليه السلام» هو الأنسب، فإن صغر سنه «عليه السلام» الذي ربما لم يتجاوز الست سنوات سوف يجعل التعدي عليه أبشع، وأشنع مما لو تصدى الإمام الحسن «عليه السلام».

الحسين يروي للحسن ‘:

أما فيما يرتبط بما رواه الإمام الحسين «عليه السلام» لأخيه الإمام الحسن «عليه السلام»، فنلاحظ:

أولاً: إن روايته هذه جارية على قاعدة: إياك أعني، واسمعي يا جارة. ويدل على ذلك: قول الإمام الحسن «عليه السلام»: «قد سمعت هذا».

ثانياً: إن الهدف من رواية أقوال رسول الله لأخيه: أن يعرفنا معنى ما جرى له ولأخيه بصورة أعمق وأدق.

ثالثاً: إن قول الإمام الحسن «عليه السلام» بعد سماعه ما رواه له أخوه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد سمعت هذا» يدل على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهما بكل هذا الذي جرى لهما مسبقاً.

رابعاً: إن الحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وأما اليقطين فأنتم عنه أغنياء» يدل على أن لهما «عليهما السلام» من المقام والكرامة عند الله، أكثر مما كان ليونس «عليه السلام».

خامساً: إن استغناءهما «عليهما السلام» عن اليقطين، يؤيد ما ذكرناه، من أن جعل الحائط لهما ليس لأجل حاجتهما إليه، بل لأجل إبطال تخيلات وأوهام غيرهم فيهم.

أما يونس، فقد كان هو نفسه بحاجة إلى اليقطين. وبذلك يظهر امتيازهما «عليهما السلام» على يونس «عليه السلام».

سادساً: إن قوله: «وسنُرسَل إلى أكثر من ذلك، فيكفرون، ويتمتعون إلى حين» يدلنا على:

١ ـ إنه من حين استشهاد الإمام علي «عليه السلام» في سنة أربعين، وتسلط معاوية وبني أمية على رقاب الناس، بدأت مرحلة مظلمة هيمن فيها الانحراف والضلال، واتخذ أهل الدنيا بني أمية، وسائر من كان على نهجهم أرباباً من دون الله، وعاد كثير من الناس

إلى جاهليتهم، ولم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه. كان الإمام الحسن «عليه السلام» هو حجة الله فيهم، ونوره الذي لم يتمكنوا من إطفائه، ثم كان الحسين «عليه السلام» من بعده، مصباح هدى وسفينة نجاة، في حين غرق الناس في ظلمات من الجهل، وتشبّثوا بمفاهيم وقيم الجاهلية، وتنكروا للإسلام الأصيل..

فكان «عليه السلام» الداعي إلى الله، ورضي بأن يوقظ ضمير الأمة ولو سفكت دماؤه الزكية، واستؤصل الأهل والذرية، والأصحاب الأخيار، وسبيت النساء، ومن تبقّى من الأطفال.

٢ ـ لقد كانت مهمة الحسنين «عليهما السلام» هي مهمة الأنبياء والرسل، وهذا مغزى قول الإمام الحسين «عليه السلام»: «وسنرسل إلى أكثر من ذلك، فيكفرون، ويتمتعون إلى حين».

٣ ـ إن الذين كفروا من قوم يونس قد عادوا إلى الإيمان، بعد أن كاد العذاب أن يأخذهم على بكرة أبيهم.. ولكن الذين يكفرون من أصحاب الحسنين «عليهما السلام» لن يوفقوا للتوبة، فيمتعهم الله إلى حين.

الحسين × في بانقيا:

بحذف الإسناد، مرفوعاً إلى جابر الجعفي قال: قلّد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة وضياع فدك رجلاً من ثقيف يقال له: الأشجع بن مزاحم الثقفي. وكان شجاعاً. وكان له أخ قتله علي بن أبي طالب في وقعة هوازن وثقيف.

فلما خرج الرجل عن المدينة جعل أول قصده ضيعة من ضياع أهل البيت «عليهم السلام» تعرف بـ: «بانقيا»، فجاء بغتة، واحتوى عليها وعلى صدقات كانت لعلي «عليه السلام»، فتوكل بها، وتغطرس على أهلها. وكان الرجل زنديقاً منافقاً.

فابتدر أهل القرية إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» برسول، يعلمونه ما فرط من الرجل.

فدعا علي «عليه السلام» بدابة له تسمى السابح. وكان أهداها إليه ابن عم لسيف بن ذي يزن، وتعمم بعمامة سوداء، وتقلد بسيفين، وأجلب (أجنب ظ) دابته المرتجز.

وأصحب معه الحسين «عليه السلام»، وعمار بن ياسر، والفضل بن العباس، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن العباس، حتى وافى القرية.

فأنزله عظيم القرية في مسجد يعرف بمسجد القضاء.

ثم وجه أمير المؤمنين بالحسين «عليه السلام» إلى ذلك الرجل يسأله المصير إليه.

فصار إليه الحسين «عليه السلام»، فقال: أجب أمير المؤمنين.

فقال: ومن أمير المؤمنين؟!

فقال: علي بن أبي طالب.

فقال: أمير المؤمنين أبو بكر، خلفته بالمدينة.

فقال له الحسين «عليه السلام»: أجب علي بن أبي طالب.

فقال: أنا سلطان، وهو من العوام، والحاجة له، فليصر هو إلي.

فقال له الحسين «عليه السلام»: ويلك! أيكون مثل والدي من العوام، ومثلك يكون السلطان؟!

فقال: أجل، لأن والدك لم يدخل في بيعة أبي بكر إلا كرهاً، وبايعناه طائعين، وكنا له غير كارهين.

فصار الحسين «عليه السلام» إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأعلمه ما كان من قول الرجل. فالتفت إلى عمار، فقال:

يا أبا اليقظان سر إليه، وألطف له في القول، واسأله أن يصير إلينا، فإنه لا يجب لوصي من الأوصياء أن يصير إلى أهل الضلالة، فنحن مثل بيت الله يؤتى ولا يأتي.

فصار إليه عمار، وقال: مرحباً يا أخا ثقيف، ما الذي أقدمك على مثل أمير المؤمنين في حيازته، وحملك على الدخول في مساءته، فصر إليه، وأفصح عن حجتك.

فانتهره عمار (الصحيح: فانتهر عماراً)، وأفحش له في الكلام.

وكان عمار شديد الغضب، فوضع حمائل سيفه في عنقه، فمد يده إلى السيف.

فقيل لأمير المؤمنين «عليه السلام»: إلحق عماراً، فالساعة يقطعونه.

فوجه أمير المؤمنين «عليه السلام» بالجمع، فقال لهم: لا تهابوه، وصيروا به إليَّ.

وكان مع الرجل ثلاثون فارساً من خيار قومه، فقالوا له: ويلك! هذا علي بن أبي طالب، قتلك والله وقتل أصحابك عنده دون النقطة.

فسكت القوم خوفاً من أمير المؤمنين «عليه السلام»، فسحب الأشجع على وجهه سحباً إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: دعوه ولا تعجلوا، فإن في العجلة لا تقوم حجج الله وبراهينه.

ثم قال أمير المؤمنين «عليه السلام» للأشجع: ويلك! بما استحللت أخذ أموال أهل البيت؟! وما حجتك في ذلك؟!

فقال له: وأنت فيمَ استحللت قتل هذا الخلق في كل حق وباطل؟! وإن مرضاة صاحبي لهي أحب إلي من اتباع موافقتك.

فقال علي «عليه السلام»: أيهاً عليك! ما أعرف من نفسي إليك ذنباً إلا قتل أخيك يوم هوازن، وليس بمثل هذا الفعل تطلب الثأر، فقبحك الله وترحك!

فقال له الأشجع: بل قبحك الله وبتر عمرك ـ أو قال: ترحك ـ فإن حسدك للخلفاء لا يزال بك حتى يوردك موارد الهلكة والمعاطب، وبغيك عليهم يقصر عن مرادك.

فغضب الفضل بن العباس من قوله، ثم تمطى عليه بسيفه فحل عنقه ورماه عن جسده بساعده اليمنى، فاجتمع أصحابه على الفضل،

فسل أمير المؤمنين «عليه السلام» سيفه ذا الفقار، فلما نظر القوم إلى بريق عيني الإمام، ولمعان ذي الفقار في كفه رموا سلاحهم، وقالوا: الطاعة.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أف لكم، انصرفوا برأس صاحبكم هذا الأصغر إلى صاحبكم الأكبر، فما بمثل قتلكم يطلب الثأر، ولا تنقضي الأوتار.

فانصرفوا ومعهم رأس صاحبهم، حتى ألقوه بين يدي أبي بكر.

فجمع المهاجرين والأنصار، وقال: الخ..(١).

ونقول:

المرافقون لأمير المؤمنين ×:

يلاحظ أولاً: أن الذين اصطحبهم أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى بانقيا كان ثلاثة منهم ذوي أعمار قليلة، وكان الحسين «عليه السلام» أصغرهم سناً، وعبد الله بن جعفر كان له من العمر إحدى عشرة سنة، وكان عبد الله بن عباس ما بين إحدى عشرة سنة إلى أربع عشرة سنة.

والفضل بن عباس، وعمار بن ياسر كانا في عداد الرجال، ولهما أزواج وأولاد..

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي ص٣٨٤ ـ ٣٩١ وبحار الأنوار ج٢٩ ص٤٦ ـ ٦٣ والأنوار العلوية ص٣١٣ ـ ٣٢٠.

أي أنه «عليه السلام» أخرج معه هذه الأعمار المتدرجة من سن الطفولة إلى سن الكهولة، وهو إنما خرج على هيئة المحارب للقاء عدو حاقد.

ويلاحظ ثانياً: أن أربعة من مرافقيه كانوا من بني هاشم، ومن أقرب الناس إليه، ابنه أحدهم، وهو أصغرهم، ، ثم ابن أخيه عبد الله بن جعفر، ثم ابنا عمه عبد الله بن عباس، ثم الفضل بن عباس.

وأخرج رجلاً مخزومياً، وهو عمار بن ياسر العنسي، حليف بني مخزوم، وهم حيٌّ من قريش.

ويلاحظ ثالثاً: أن الحسين «عليه السلام» هو ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيد شباب أهل الجنة، وعبد الله بن جعفر هو ابن الشهيد الطيار في الجنة، وعبد الله والفضل ابنا عباس عم النبي «صلى الله عليه وآله»، وعمار بن ياسر هو الذي تقتله الفئة الباغية..

ويلاحظ رابعاً: أن إخراج هؤلاء دون المسنين من رجال بني هاشم ومن غيرهم قد حرم مناوئيه من توجيه اتهام له، بأنه إنما خرج لحرب، أو ليفسد في الأرض، أو ليظهر الخلاف والعصيان.

ولاسيما إذا كان في المقابل سوف يصطدم بمن لديه السلاح والرجال.

لماذا أرسل الحسين × إلى الأشجع؟!:

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» قد اختار ولده الحسين «عليه

السلام» ليرسله إلى ذلك الباغي والطاغي. أعني الأشجع بن مزاحم، وهو الرجل الحاقد المتغطرس، الذي لديه السلاح، والرجال حوله يزيدونه غروراً وغطرسة، واستكباراً.

فلماذا لا يرسل عماراً ولا غيره، وكلهم كان أكبر من الحسين «عليه السلام» سناً. ألا يعد هذا تفريطاً بأعز الناس عليه؟! لاسيما وأن ذلك الرجل متوغل في العداوة له، والحقد عليه؟! وما هي الحكمة في هذا التصرف؟!

ونجيب:

أولاً: إنه أراد أن يظهر لذلك الرجل: أنه لم يأت لحربه، ولا يريد به شراً. ولذلك أرسل إليه ولده الأصغر، الذي لا يزيد عمره على سبع أو ثماني سنوات.

ثانياً: إن إرسال ريحانة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابنه، وأعز من في الوجود عليه، وسيد شباب أهل الجنة، سوف يحرج ذلك الرجل، لأنه لو بادر إلى قتله، أو أساء إليه، فإنه سيواجه ردة فعل عارمة ليس من علي وبني هاشم وحسب، بل من أكثر الناس: إما تديناً، وحباً برسول الله، أو رفضاً للعدوان على الرسول.

فكيف إذا كان الرسول بعمر الأطفال؟!

وكيف إذا كان أبوه الذي أرسله، ليدل على أنه لا يضمر العداء لمن يرسله إليه؟!

وكيف إذا كان سائر من معه لا يمكن أن يكونوا قد جاؤوا

للحرب، والطعن والضرب؟!

أجب علي بن أبي طالب:

١ ـ وذكرت الرواية: أن الأشجع قد أنكر أن يكون علي «عليه السلام» هو أمير المؤمنين، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» ـ بأمر من الله سبحانه ـ هو الذي سماه بهذا الاسم، وقد تحدثنا عن ذلك ببعض التفصيل في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»(١).

فإذا كذب هذا الرجل هذه الحقيقة، فذلك يعني: أنه يكذب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وربما كان هذا هو السبب في أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يقل له: أجب والدي علياً، أو أجب علي بن أبي طالب، بل اختار كلمة «أمير المؤمنين». بالإضافة إلى أنه يريد بإطلاقها هذا أن يشير إلى أن هذا اللقب هو لعلي «عليه السلام» دون سواه من الأساس، وأن غيره أراد أن يستولي على الخلافة، وعلى اللقب معاً.

٢ ـ إن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يناقش ذلك الرجل في إنكاره هذا، ولم يقل له: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي سماه بهذا الاسم، بل تعامل معه كما تعامل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع سهيل بن عمرو في صلح الحديبية، حيث لم يرض سهيل بإطلاق كلمة «رسول الله» على النبي محمد «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١١ ص٧١.

وطلب محوها، وأصر على أن يكتب اسم النبي، واسم أبيه.

فكتب «صلى الله عليه وآله» محمد بن عبد الله، وقال «صلى الله عليه وآله»: إني لرسول الله، وأنا محمد بن عبد الله ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم: من محمد بن عبد الله الخ..(١).

فتأسى الحسين «عليه السلام» بجده المصطفى «صلى الله عليه وآله»، وبأبيه المرتضى «عليه السلام»، فقابل فجور ذلك الرجل بالمداراة والرفق، وقال له مرة أخرى: أجب علي بن أبي طالب..

فلعله يعود إلى نفسه، ويرق ويلين ويهدأ ويستكين.. فإن كابر وطغى وبغى، فاللوم يقع عليه، وإنما على نفسها تجني براقش.

السلطان والعوام:

وقد اختار الأشجع طريق اللجاج والعناد، وإظهار العنجهية والغطرسة، فزعم أنه سلطان، وأن علياً «عليه السلام» من العوام، مع أنه نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، ووصيه، والإمام بعده..

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣٢ ص٥٤١ و ٥٤٢ وصفين للمنقري (الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢هـ) ص٥٠٨ والمسترشد ص٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٣٢ والدرجات الرفيعة ص١١٧ وينابيع المودة ص١٥٩ و (ط أخرى) ج٢ ص١٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٤١٩ ومصادر ذلك كثيرة.

أما الأشجع، فهو مجرد مأمور لإنسان قد تسلط على الأمور، مخالفاً بذلك توجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ناكثاً هو وأنصاره الذين بايعوه «عليه السلام» عن رغبة واختيار بيعتهم إياه في يوم الغدير.

ثم اعتدوا على سيدة نساء العالمين، التي من أغضبها فقد أغضب رسول الله، ومن أغضب الرسول فقد أغضب الله تعالى.

فهذا الرجل متسلط من قبل متسلط آخر، وليس سلطاناً تجب طاعته.

أما علي الذي يقول عنه الأشجع: إنه من العوام، فهو باب مدينة العلم، ووصي الرسول «صلى الله عليه وآله»، وصنوه، وأخوه، وهو الذي استولى على سلطانه الغاصبون.

أيكون مثل والدي من العوام؟!:

وقد لاحظنا: أن الإمام «عليه السلام» قال للأشجع: «أيكون مثل والدي من العوام، ومثلك يكون السلطان»؟! ولم يقل له: أتكون أنت، ويكون أبي؟! فلماذا جاء بكلمة «مثل»؟!

قد يقال: لعل سبب ذلك أحد أمرين، أو هما معاً:

الأول: إنه بذلك يكون قد تحاشى توجيه الكلام إلى الأشجع شخصياً، لكي لا يتخذ الأشجع ذلك ذريعة للإيقاع به، على أساس أنه وجه له إهانة شخصية. بل أورد الكلام على سبيل التعميم، وضرب القاعدة.

ولأجل هذا أيضاً نرى: أنه أورد الكلام بصيغة الاستفهام الإنكاري، ليعطيه فرصة للاستدلال والتبرير. فلعله يلتفت إلى عدم معقولية هذا الأمر، فيصحح، ويبين، ويوضح.

الثاني: إن كلمة «مثل» تعطي: أن على الأشجع أن يعيد النظر في مرتكزات نظرته هذه، فإن كانت تسمح بالتعميم ـ من خلال واجدية المورد للمعنى الذي اقتضى هذه القسمة ـ إلى كل من وجد فيه ذلك المعنى الذي هو القاسم المشترك. فهو في موقع الصواب، فليمض عليه، وإن لم يكن كذلك، فليعد النظر فيما قال.

وبذلك يسوقه برفق وأناة إلى إبعاد القضية عن التأثر بالمزاج الشخصي، المنطلق من أنانيته وعجرفته، ولتصبح قضية في بوتقة الجهد الفكري، لإنها بحاجة إلى بلورة وتمحيص يوصل إلى نتيجة قابلة للاعتماد..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن النتيجة هي: أن وصي الرسول، وزوج البتول، وأبا السبطين بما له من فضائل وكرامات، وميزات، وصفات، وعلم وشجاعة، وجهاد وتضحيات لا يمكن أن يكون من العوام.

الدليل العليل:

ولكن ما أجاب به الأشجع قد جاء هزيلاً وفاضحاً، حين ادعى أن السلطان هو الشخص الذي بايع أبا بكر طائعاً، غير كاره، والعوام هو الذي يبايع أبا بكر كارهاً.

ولا ندري إن كان يصح أن تنسحب هذه القاعدة على كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.. أم أن هذا خاص بتلك الساعة، وتلك البقعة، وينتهي مفعوله، لأنه كلام معاند، وفاجر حاقد!!

الفهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي:

الفصل الثالث: نِعْمَ الجمل جملكما.. ....٥

الفصل الرابع: أحداث تحتاج إلى توضيح..........................٣٧

الباب الحادي عشر: تكريم وتعظيم.. ....٦٥

الفصل الأول: لا يجير أحد على رسول الله........................
٦٧

الفصل الثاني: النبي ﷺ ساقي العطاشى.. ....٨١

الفصل الثالث: تكبيرات الافتتاح.. ....١٠١

الباب الثاني عشر: الفصول الأخيرة في العهد النبوي.. ....
١٢٣

الفصل الأول: الإخبار باستشهاد الحسين ×..................١٢٥

الفصل الثاني: قارورة أم سلمة.. ....١٥٥

الفصل الثالث: هذا هو القاتل.. ....١٦٩

الفصل الرابع: النبي ﷺ أوصى للحسنين......................١٨٥

الفصل الخامس: في وفاة الرسول ﷺ..........................٢٠٩

ملحق: من هنا وهناك.. ....٢٣٩

القسم الثاني: من عهد النبي صلى الله عليه وآله إلى عهد علي ×............ ٢٥٥

الباب الأول: في عهد أبي بكر.................................... ٢٥٧

الفصل الأول: أحداث السقيفة وفدك.......................... ٢٥٩

الفصل الثاني: في شهادة الزهراء ÷.. وبعد شهادتها........... ٢٩١

ملحق: أحداث متفرقة... ٣٠٩

الفصل الثالث: الحسين × صلابة وانضباط ٣١٩

الفهارس: ٣٤٣

الفهرس التفصيلي

الفصل الثالث: نعم الجمل جملكما.. .... ٥

نِعْمَ الجمل جملكما: ٧

النبي ﷺ هو المبادر: ١٠

قيام النبي ﷺ للحسين: ١١

لا بأس بحمل الفاضل للمفضول: ١٢

الحسنان على ظهر النبي ﷺ في الصلاة: ١٣

معالجات سريعة: ١٨

حل، حل: ٢١

تمزيق العهد لماذا؟!: ٢٦

اليهودي الذي أسلم: ٢٩

إيمان اليهودي بالله: ٣٥

الفصل الرابع: أحداث تحتاج إلى توضيح.. .... ٣٧

قبَّل زبيبته!!: ٣٩

هل هذا تصحيف؟!: ٤١

لماذا الوضوء؟!: ٤٢
من المقصود بكلام أبي ظبيان؟!: ٤٣
خلاصة وبيان: ٤٦
التطهير من بول الصبي: ٤٧
بال على ثياب جده: ٤٩
ابني!: ٥١
الغسل، والنضح: ٥١
روايات الآخرين: ٥٣
أبو الحسن، وأبو الحسين: ٥٥
الحسين × ودحية الكلبي، أو جبرئيل: ٦٠
الباب الحادي عشر: تكريم وتعظيم.................................. ٦٥
الفصل الأول: لا يجير أحد على رسول الله.......................... ٦٧
قريش تنقض العهد: ٦٩
أتتك بحائن رجلاه: ٧٢
المنطق الجاهلي: ٧٣
العواطف والمجاملات تضيِّع الحقوق:................................ ٧٤
لعل فاطمة ÷ تخضع للمؤثرات:...................................... ٧٥
اعتراض أبي سفيان:.. ٧٦
مري ابنك فيجير!!: ٧٧

ما يدري ابناي ما يجيران: ٧٨
الفصل الثاني: النبي ﷺ ساقي العطاشى.. .... ٨٢
يرتويان من لسان النبي ﷺ: ٨٤
الزهراء ÷: يا رسول الله!!: ٨٤
الكرامة الإلهية: ٨٨
لماذا لم يعطه ماءً؟!: ٨٩
هل يجزع النبي ﷺ؟!: ٩٠
النبي يسقي الحسن فقط: ٩٤
النبي يبادر ولا يكتفي بإصدار الأوامر: ٩٥
ليس الحسن أحب إليه: ٩٦
التمهيد للبيان: ٩٧
في مكان واحد يوم القيامة: ٩٨
الفصل الثالث: تكبيرات الافتتاح.. .... ١٠٣
التكبيرات السبع في أول الصلاة كيف شرعت؟!: ١٠٥
هل الروايتان متناقضتان؟!: ١٠٨
الروايات الأخرى: ١١٦
الباب الثاني عشر: الفصول الأخيرة في العهد النبوي........ ١٢٦
الفصل الأول: الإخبار باستشهاد الحسين ×.. .... ١٢٨
رؤيا فاطمة ÷: ١٣٠

وقفة مع النص: ١٣٦
متى يقتل الحسين ×؟!: ١٣٨
تقبيل موضع السم وموضع السيوف: ١٤١
حديث ابن عباس موضع ريب: ١٤٣
أسئلة توجب الريب في الرواية: ١٤٧
ماذا يريد جبرئيل؟! ١٥١
ألا تشغلين عني هذين؟!: ١٥٢
أظنك تحبهما؟!: ١٥٣
النبي يخبر عن استشهاد مسلم بن عقيل: ١٥٦
علي × والحب لعقيل: ١٥٧
إني لأحبه حبين!!: ١٥٨
إخبار آخر بشهادة الحسين ×: ١٦١
الوعد بالانتقام الإلهي: ١٦٤
الفصل الثاني: قارورة أم سلمة.. ١٦٦
التوطئة لحديث القارورة: ١٦٨
تعلق الحسنين بجدهما: ١٦٩
جبرئيل يقطع هنا ويظن هناك: ١٧٠
لكل نبي دعوة مستجابة: ١٧١
بين خيارين: ١٧٢

هذا الخيار هو الأصعب: ١٧٢
الحسنان باب رحمة وهداية: ١٧٣
تربة كربلاء عند أم سلمة: ١٧٤
أم سلمة متى توفيت؟!: ١٧٨
الفصل الثالث: هذا هو القاتل.. .... ١٨١
منام هند: ١٨٣
ما لي وليزيد: ١٨٥
الحسين يسمي قاتله: ١٨٩
فمن يزور قبورنا؟!: ١٩١
حين كان الحسين يدرج: ١٩٢
فمن يزور قبورنا؟! لماذا هذا السؤال؟!: ١٩٤
يريدون برّي وصلتي: ١٩٤
الفصل الرابع: النبي ﷺ أوصى للحسنين.. .... ١٩٦
إعجاب النبي بالحسين ×: ١٩٨
لماذا تعجب عائشة؟!: ١٩٩
بين الحب، والإعجاب: ٢٠٠
أوصى النبي ﷺ إلى علي × والحسنين ’: ٢٠٢
هكذا فهموا رواية الإمام الصادق ×: ٢٠٣
المعنى الأقرب إلى القبول: ٢٠٥

لماذا خمس سنين؟!: ٢٠٧
حديث أم أسلم: ٢٠٨
متى جرى هذا؟!: ٢١٢
المعجزة هي الجواب: ٢١٣
العلامة وفعلية معنى الإمامة: ٢١٤
الثقافة تسهل الهداية : ٢١٥
إيتيني بحصاة: ٢١٦
هل ترين فيها شيئاً؟!: ٢١٧
تسبيح الحصى في يد الحسين ×: ٢١٧
الفصل الخامس: في وفاة الرسول ﷺ ٢٢٢
هذا هو الإرث العظيم: ٢٢٤
الزهراء ÷ تطلب توريث الحسنين: ٢٢٦
التمييز بين الحسنين في الصفات: ٢٣٠
النبي ﷺ يشم الحسنين ' قبيل موته: ٢٣٢
ليلة الحزن: ٢٣٣
دعاهم، وناجاها: ٢٣٤
حزن الحسنين ' : ٢٣٨
تزود النبي ﷺ من الحسنين ' : ٢٤١
هل أغمي على رسول الله ﷺ؟!: ٢٤١

الصياح والبكاء: ٢٤٣
أشمهما، ويشماني: ٢٤٣
الأمر لعلي ثم للحسن ثم للحسين ٨:.. ٢٤٤
التزود من الطرفين:.. ٢٤٥
اشتراك الحسنين ' في التغسيل والصلاة: ٢٤٧
الحسنان إمامان: ٢٤٨
إذن جبرئيل:.. ٢٤٩
تغسيل الميت، والنظر إلى عورته:.. ٢٥٠
ملحق: ٢٥١
من هنا وهناك.. ٢٥١
الحسين يسأل أبا هريرة!!:... ٢٥٣
رواية الجزيرة الخضراء: ٢٥٤
إخبار غيبي على مائدة الطعام:... ٢٥٥
ماذا عن التاسع من ربيع الأول؟!:.. ٢٥٥
إنما هو علم من ذي علم:... ٢٥٧
رواية محمد بن حرب الهلالي: ٢٥٨
من هو محمد بن حرب؟!: ٢٦٣
ابتلاء الحسين × بالمختار: ٢٦٧
القسم الثاني: من عهد النبي صلى الله عليه وآله إلى عهد علي ×.. .... ٢٧٠

الباب الأول: في عهد أبي بكر.. .... ٢٧٢
الفصل الأول: أحداث السقيفة وفدك.. .... ٢٧٤
الحسنان في خضم اغتصاب الخلافة: ٢٧٦
الحسنان ' في الهجوم على الدار: ٢٧٦
فاطمة وعلي والحسنان ٨ يزورون الصحابة: ٢٧٩
استجابة الزبير: ٢٨٢
مدى استجابة الصحابة وبني هاشم: ٢٨٣
تعدد المحاولة: ٢٨٥
لماذا أكثر جدية؟!: ٢٨٧
ما الدليل على الشهرين؟!: ٢٩١
إحراق الجميع هو المطلوب: ٢٩٣
ادِّعاء بالتسرع، وادِّعاء بالتوبة: ٢٩٤
الحسنان ' شريكان: ٢٩٨
الحسنان يشهدان بفدك: ٢٩٩
للإيضاح والتذكير: ٣٠٢
مستند ردّ شهادة الحسنين: ٣٠٢
شهادة الحسنين ' بنظر الغاصبين: ٣٠٥
الفصل الثاني: في شهادة الزهراء ÷.. وبعد شهادتها........ ٣٠٦
الحسنان ' في استشهاد أمهما: ٣٠٨

مشاركة الحسنين ' في تغسيل أمهما:............................... ٣١٠
التكفين ثم الوداع:... ٣١٣
الصلاة على الزهراء ÷:.. ٣١٥
المشاركة في التغسيل والصلاة والدفن: ٣١٧
من حضر الصلاة، هل حضر الدفن؟!:.............................. ٣١٨
البنات أولاً:... ٣١٩
حنَّت، وأنت: ٣٢٢
ملحق ٣٢٥
فاطمة ÷ توصي علياً × بتزوج أمامة؟!: ٣٢٧
بنت أختي:.. ٣٣٠
أشياء لا سبيل لتركها: ٣٣٠
لماذا التأخير بعد الوصية؟!:....................................... ٣٣١
لماذا زوجها الزبير؟!:.. ٣٣١
محمد الأوسط ابن أمامة:.. ٣٣٢
زواج أمامة بعد علي ×: ٣٣٣
الفصل الثالث: الحسين × صلابة وانضباط.. .... ٣٣٦
الحسين × يشتري سيفاً:... ٣٣٨
مكتوب على سيف الحسين ×: ٣٤٠
جدار يستر الحسنين ' للتخلي: ٣٤١

لماذا الجدار؟!: ٣٤٤
لماذا كل هذا الحقد؟!: ٣٤٦
ابنا محمد: ٣٤٨
الحسين × يتصدى: ٣٤٩
الحسين يروي للحسن ’: ٣٤٩
الحسين × في بانقيا: ٣٥١
المرافقون لأمير المؤمنين ×: ٣٥٥
لماذا أرسل الحسين × إلى الأشجع؟!: ٣٥٦
أجب علي بن أبي طالب: ٣٥٨
السلطان والعوام: ٣٥٩
أيكون مثل والدي من العوام؟!: ٣٦٠
الدليل العليل: ٣٦١
الفهرس الإجمالي: ٣٦٦
الفهرس التفصيلي ٣٦٨